فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية

[ملحق استدراكي]

د . يوسف زيدان*

الإسكندرية مدينة زاخرةٌ بكنوز التراث العربي المخطوط ، تجتمع ذخائرها الخطية في عدة مكتبات ؛ فإلى جانب بعض المجموعات الخاصة المحفوظة في مكتبات أفراد الرجال - كمكتبة الشيخ إبراهيم حلمي القادري - توجد بها تقريبًا « عشرة آلاف مخطوطة » موزعة بين مكتبات عامة ، هي على التحديد ثلاثة : مكتبة بلدية الإسكندرية - مكتبة التراث الإسلامي بمسجد أبي العباس المرسي - المكتبة العامة لجامعة الإسكندرية .

* باحث في التراث العلمي والفلسفي العربي ، أولى اهتمامًا لـ « فهرسة المخطوطات » ، ونشر له المعهد فهرسين : فهرس مخطوطات مكتبة جامعة الإسكندرية في جزأين ، وفهرس مخطوطات مكتبة رفاعة رافع الطهطاوي في ثلاثة أجزاء .

والمخطوطات بالمكتبات الثلاث المذكورة، متفاوتةٌ من حيث الحالة العامة للحفظ، متنوعةٌ من حيث الفنون والمعارف. وقد كانت مجموعة «مكتبة الجامعة» حتى وقت قريب، أكثر مجموعات الإسكندرية انزواءً وإهمالًا، بل إن مجموع مخطوطاتها لم يكن معروفًا في عدده ومحتواه ...، فالسجل الورقي كان يحصر - إجمالًا - ثلثي محتوى المكتبة؛ ثلثٌ واحدٌ منها فقط مسجلٌ في بطاقات! وكلاهما - أعني السجل والبطاقات - بدائيٌّ تنقصه الدقة؛ فكان يُشار للكثير من المخطوطات بعبارات جُزافية مثل: مخطوطة تبدأ بقوله ...، أو: مخطوط قديم أو: مخطوطة باللغة التركية أو: كتاب سلكوتي على المطول (يقصد: حاشية عبد الحكيم الهندي السيالكوتي على شرح التفتازاني المطوّل لكتاب تلخيص المفتاح للقزويني).. وهكذا.

وفي الشهور التسعة الأخيرة من سنة ١٩٩٣ ميلادية، عكفت على فهرسة مخطوطات هذه المكتبة، فهرسةً وصفيةً تفصيليةً، حصرت لأول مرة محتوى المجموعة (١٦٥٣ عنوانًا، في ١٢٨١ مجلدًا)، وهو الفهرس الذي تفضل معهد المخطوطات العربية بنشره، فصدر في جزئين قاربا الألف صفحة: الأول صدر سنة ١٩٩٤ م، والثاني سنة ١٩٩٥م.

وكان لصدور الفهرس أثر مباشر في لفت الأنظار بقوة إلى قيمة هذه المجموعة الخطية، فبادر رئيس الجامعة بتشكيل لجنة - برئاسته - لتطوير المكتبة العامة بكل ما تحويه من مخطوطات وكتب نادرة وخرائط ووثائق، وكان لي شرف المشاركة في هذه اللجنة التي تولّت تنظيم المكتبة ونقلها من مبناها القديم البائس (الملحق بكلية الزراعة) إلى المبنى الحديث، شديد الفخامة، الذي أقامته

الجامعة بأكبر شوارع الإسكندرية ، أبي قير ، بتكلفة عالية قيل : إنها خمسة ملايين جنيه . المهم ، أن فهرس المخطوطات كان قد صدر بالفعل ، بيد أننا خلال نقل الكتب والمراجع - بعدما بدأنا بنقل المخطوطات - ظهرت لنا مجموعةٌ أخرى من المخطوطات كانت متناثرةً ، مدسوسةً بين رفوف الكتب ...، ولم تكن مسجلة أصلًا .

من هنا وجبت ضرورةُ الاستدراك على فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية - أو بالأحرى - عمل ملحق له ، يضيف إلى المحتوى الكلي هذا القدر من المخطوطات الجديدة والذي يضم ٢٥ مخطوطة ، ليرتفع رصيد المكتبة إلى ١٦٧٨ عنوانا ، تقع في ١٢٩٨ مجلدًا[(١)] . وهذه المجموعة الجديدة / القديمة ، تضم طائفة من أندر رسائل الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي ، وفيها مصحف قرآني بديع ، وعدة مخطوطات تركية ، وواحدة بالفارسية .

وعلى نفس النسق الذي فهرسنا به المكتبة في فهرسها الصادر في جزأين ، نورد فيما يلي هذا الملحق الاستدراكي الذي يشتمل على :

أولًا : المصاحف

- مصحف شريف

نسخة كاملة كتبت بقلم نسخي على ورق مصقول في القرن الثاني عشر الهجري تقديرًا . بديعة ، مزخرفة ، ملونة ، مذهَّبة بالكامل ، في غلاف

---

(١) بإضافة أوراق البردى والمخطوطات التركية والفارسية ، يصل محتوى المكتبة إلى ١٦٩١ مخطوطة (عنوان) .

مزخرف ، بها خروم قليلة ، عدد أوراقها ١٠٤ ورقة .

رقم الحفظ : ١٥/ مصاحف .

ثانيًا : مخطوطات باللغة الفارسية

- **غاية الإتقان في تدبير الإنسان**. نسخة جيدة ، كتبها حسين بن أحمد الطيب سنة ١٢٧٨ هجرية ، بقلم فارسي ، مفهرسة من أولها ، بها خروم ، أوراقها ٤٩٧ ورقة .

رقم الحفظ : ٢٤/ فارسي

ثالثًا : مخطوطات باللغة التركية

- **أسرار النقطة** ، للشيخ عبد الحليم برقصور. نسخة جيدة كتبها ولي الدين النائلي في القرن الثالث عشر الهجري تقديرًا ، بقلم نسخي ، أوراقها ١٢٩ روقة .

رقم الحفظ : ١٠٩/ تركي .

- **تجليات حقية** ، لإسماعيل حقي . نسخة جيدة ، مفككة ، كتبها عبد اللَّه سالك سنة ١١٧٥هـ ، بقلم نسخي ، أوراقها ٧٢ ورقة .

رقم الحفظ : ١١١/ تركي .

- **تحفة السفرة إلى حضرة البررة**[(١)] ، لابن عربي . نسخة مهترئة ، ضمن

---

(١) توجد منه نسخة خطية بالمخطوطات العربية بالمكتبة تحت رقم ٣٧/الأميرة فايزة .

مجموعة، كتبت بقلم معتاد حديث، بها آثار رطوبة، ملتصقة الأوراق، ناقصة من آخرها، أوراقها ١٠٠ ورقة.

رقم الحفظ: ٥٨ الأميرة فايزة.

- **دعاء رجال الغيب** (شرح بالتركية على ما ذكره ابن عربي في الفتوحات المكية عن الأولياء، ثم الدعاء لهم باللغة العربية). نسخة بديعة، مذهبة بالكامل، مزخرفة من أولها، مؤطرة بإطار ذهبي، كُتبت بقلم نسخي في القرن الثالث عشر الهجري تقديرًا، مشكولة، بها رسوم، عليها حواشٍ.

رقم الحفظ: ١١٥/ تركي.

- **ديوان الوصلة**[1]، للقسطموني (حسن الحنفي الخلوتي) نسخة بديعة، مؤطرة، مذهبة ومزخرفة، بها خروم قليلة، كُتبت بقلم نسخي دقيق سنة ١٢٤٤هـ، أوراقها ٧٨ ورقة.

رقم الحفظ: ١١٠/ تركي.

- **رجوع الشيخ إلى صباه في القوة على الباه**. نسخة جيدة كتبت بقلم نسخي في القرن الثالث عشر الهجري تقديرًا، أوراقها ٢٠٥ ورقة.

رقم الحفظ: ٢٢/ عمومية.

- **شرح الوصية المحمدية**، لجزايرلي علي أغا. نسخة بديعة، مؤطرة ملونة، مذهبة، مفهرسة من أولها، كتبت بقلم نسخي، مشكولة، كتبها محمد

---

(١) ديوان شعر صوفي، توجد منه نسخة أخرى بالمكتبة تحت رقم ٤١/تركي.

صادق (في حياة المؤلف) سنة ١٢٢٥هـ، عدد أوراقها ٣٦٥ ورقة.

رقم الحفظ: ١١٢/ تركي.

- مجموعة تشتمل على:

١- رسالة في الأمور المهمة.

٢- رسم محمدي.

نسخة جيدة، مشكولة، كُتبت في القرن الثالث عشر الهجري تقديرًا. عدد أوراقها٣٣ ورقة.

رقم الحفظ: ١١٥/ تركي.

- **هدية السالكين**، ليعقوب عفوي بن فنائي مصطفى الخلوتي السلامي. نسخة جيدة، بها خروم قليلة، كتبها السيد حافظ أحمد الحلمي الإسكندراني الخلوتي، بقلم رقعة سنة ١٢٦١هـ.

رقم الحفظ: ١١٣/ تركي.

رابعًا: المخطوطات العربية

١- الاتحاد الكوني في حضرة الإشهاد العيني بمحاضرة الشجرة الإنسانية والصور الأربعة الروحانية.

لابن عربي (الشيخ محيي الدين محمد بن علي) المتوفى ٦٣٨هـ.

(بروكلمان ١/ ٧٩٠، معجم المؤلفين ١١/ ٤٠).

أولها : يقول عبد اللّٰه الفقير إلى اللّٰه ... ابن العربي ....: هذا كتاب كريم وخطاب جسيم :

مِنَ انْتِقَاصِي إِلى كَمَالِي مِنِ انْحِرافى إِلى اعْتِدَالى

آخرها : قد أوضحت لك مقامات أمهات الأكوان ، وهو الإنسان الكلي ، والعقل الأول ، والنفس الواحدة ، والهيولي ، والجسم .. والسلام عليك ورحمة اللّٰه وبركاته .

نسخة جيدة ضمن مجموعة رسائل لابن عربي ، كتبها عبد الوهاب بن محمد الزبداني ، بقلم معتاد سميك سنة ١٣٢٤هـ .

٢٢ ق	١٦ س	٢٢×١٨ سم

موضوعها : تصوف .

رقم الحفظ : ٦٠/ الأميرة فايزة .

٢- أدعية وتوسلات صوفية

لأحمد كامل ، رئيس الخطاطين .

أولها : اللهم أنت الملك الحي القيوم الحق المبين الذي لا إله إلا هو ، أنت ربي خلقتني وأنا عبدك ..

آخرها : يا محوِّل الحَوْل والأحوال ، حوِّل حالنا إلى أحسن حال .. والحمد للّٰه رب العالمين .

نسخة جيدة ، كتبها المؤلف بقلم نسخي سنة ١٣١٤هـ ، غير مجلدة .

٣٨ ق ٩ س ٢٤×١٥,٥ سم

موضوعها : تصوف / أدعية .

رقم الحفظ : ٦١/ الأميرة فايزة

٣- تحرير البيان في تقرير شُعب الإيمان[١] ورتب الإحسان

لابن عربي (الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي) المتوفى ٦٣٨هـ .

(كشف الظنون ص ١٠٤٨، بروكلمان ١/ ٧٩٠، معجم المؤلفين ١١/ ٤٠) .

أولها : الحمد للّٰه الذي نوَّر ضمائر أرباب الدين بأنوار الإسلام والأركان .. أما بعد فهذه عجالة تُميط الخمار عن وجوه أبكار معانٍ وأسرار محتجبة بمحاسن ألفاظ نبوية ..

آخرها : وقولنا الإماطة ، إزالة أحكام الغلبات ، وغلبات الأحكام .. وهذا آخر الكتاب .

نسخة جيدة مفككة ، كُتبت بقلم نسخي في القرن الثالث عشر الهجري تقديرًا .

٢٩ ق ١٥ س ١٦× ١١ سم

موضوعها : تصوف / حديث .

رقم الحفظ : ٥٧/ الأميرة فايزة .

---

(١) شعب الإيمان : عنوان لعدة كتب ، لأبي عبد اللّٰه الحليمي . ولمحمد بن محمد الأنصاري المالقي ... وأشهرها كتاب البيهقي ، المتوفى ٤٥٨ هـ . (انظر : كشف الظنون ص ١٠٤٧) .

٤- حقيقة الحقائق

لابن عربي (الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي) المتوفى ٦٣٨هـ[1].

أولها: الحمد للَّه الذي جعل الموجودات على وجوده دليلًا .. وبعد فهذه الرسالة الشريفة لولدى في الطريقة وقرة عيني في الإرادة زاده اللَّه توفيقًا.

آخرها: وإذا فُرض أن يرتفع واحدٌ من الأعداد، تتحقَّق الحقائق من الأعداد والأنفس.. تمت هذه الرسالة.

نسخة جيدة ضمن مجموعة رسائل صوفية، كتبها محمد تاج الدين، بقلم نسخي سنة ١٣٢٢هـ.

٨ ق ١٥س ٢٥× ١٤ سم

موضوعها: تصوف.

رقم الحفظ: ٥٩/ الأميرة فايزة

٥- عَقْلَةُ المُسْتَوْفِزِ[2]

لابن عربي (الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي) المتوفى ٦٣٨هـ.

---

(١) الرسالة منسوبة في المخطوطة لابن عربي، ولعلها له بالفعل. بيد أنه هناك كتابان في التصوف بنفس العنوان: حقيقة الحقائق (التي هي للحق من وجه ومن وجه للخلائق) لعبد الكريم الجيلى، المتوفى ٨٢٦هـ. وحقيقة الحقائق (في كشف أسرار الدقائق) لابن قاضي سماونة، المقتول سنة ٨٢٣ هـ.

(٢) توجد منه نسخة أخرى بنفس المكتبة (انظر: فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية ٢/ ١٢٥)، برقم ١٥/ الأميرة فايزة.

(كشف الظنون ص ١١٥٣، بروكلمان ١/ ٧٩٠، معجم المؤلفين ١١/ ٤٠) .

أولها : الحمد لله الواهب الذي افتتح وجود السوى .. أما بعد ، قال الله تعالى « عَلِمَ » نفسه ، فعلم العالم ، فلذلك خرج على الصورة وخلق الله الإنسان ..

آخرها : أما المجرمون فلا يقيم لهم الحق يوم القيامة وزنا .. أعاذنا الله منها وإياكم أجمعين .

نسخة جيدة ، كُتبت بقلم معتاد سنة ١٢٧٢هـ .

٤٥ ق	١٩ س	٢٢×١٥ سم

موضوعها : تصوف .

رقم الحفظ : ٥٦/ الأميرة فايزة .

٦- القول المختار في الرد على الجاهل المحتار المعترض على قول الخلوتية « ونحن على ذلك من الشاهدين الذاكرين الأبرار »[1]

للنابلسي (عبد الغني بن إسماعيل الحنفي) ، المتوفى ١١٤٣هـ .

(إيضاح المكنون ٢/ ٢٥٣، بروكلمان ٢/ ٤٧٣، معجم المؤلفين ٥/ ٢٧١) .

أولها : الحمد الذي تفضَّل على فقراء طريقه المستقيم ، برؤية أحسن الوجوه من معاني الكلام .. أما بعد فيقول الحبر الهمام .. النابلسي : هذه رسالة أجبتُ بها من سألني عن قول السادة الخلوتية .

---

(١) توجد منه نسخة أخرى بنفس المكتبة (انظر : فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية ٢/ ١٩٢) ، برقم ٣٣/ الأميرة فايزة .

آخرها : قال المصنف رحمه اللّٰه تعالى ، وقد صنَّفنا هذه الرسالة في بعض يوم ، وهو يوم الأربعاء .. سنة ١٠٩١ .

نسخة جيدة ضمن مجموعة رسائل لابن عربي ، كتبها عبد الوهاب بن محمد الزبداني ، بقلم معتاد سميك سنة ١٣٢٤ هجرية .

٢٣ ق ١٦ س ٢٢× ١٨ سم

موضوعها : تصوف .

رقم الحفظ : ٦٠/ الأميرة فايزة .

٧- كتاب النصائح (في ذكر ما لايعول عليه في طريق اللّٰه سبحانه)(١)

لابن عربي (الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي) المتوفى ٦٣٨هـ .

(كشف الظنون ص ١٠٤٨، بروكلمان ١/ ٧٩٠، معجم المؤلفين ١١/ ٤٠) .

أولها : الحمد للّٰه رب العالمين .. الوجدُ الحاصل عن التواجد ، لا يعول عليه . والوجدُ الذي يكون عن مثل هذا الوجد ، لا يعول عليه ..

آخرها : التأثير الهمة لا يعول عليه ، إلا إن صحبه «بسم اللّٰه» الذي هو منك بمنزلة «كن» منه . تم بحمد اللّٰه .

نسخة جيدة ضمن مجموعة ، كتبها محمد أمين الزبداني ، بقلم معتاد ،

---

(١) فى إيضاح المكنون ٢/ ٣٤٣: كتاب النصائح في التصوف ، تأليف عبد اللّٰه بن محمد الحداد باعلوي .

سنة ١٣٢٢هـ .

٢٣ ق	١٥ س	٢٥×١٤ سم

موضوعها : تصوف .

رقم الحفظ : ٥٩/ الأميرة فايزة .

٨- كلمات عامية أو دخيلة ، وما يقابلها من الكلمات العربية الصحيحة .

جمع : معلمو اللغة العربية في المدارس الأميرية .

أولها : أبعدية : لها استعمالان ، ضيعة ؛ في القاموس .. أرض لا مالك لها أو لم تُحْيَ بعد .

آخرها : ياقة : زيق ، جمعه أزياق ؛ وفي القاموس : زيق القميص ما أحاط بالعنق .

نسخة جيدة في مجلد ، كُتبت بقلم معتاد حديث .

٣٠ ق	مسطرتها مختلفة	٣٢,٥×٢٠ سم

موضوعها : لغة .

رقم الحفظ : ٢١/ عمومية .

٩- لطائف الأسرار لأرباب الهمم والأبصار

لابن عربي (الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي) المتوفى ٦٣٨هـ .

(بروكلمان ١/ ٧٩٠، معجم المؤلفين ١١/ ٤٠) .

أولها : الحمد للّٰه الكاشف لطائف الأسرار لأرباب الهمم والأبصار، بما منح من معارف الأنوار.. وبعد : فإن للناظر في هذا العلم الذي نحن بصدده نظران، نظرٌ بواسطة الأمثال المضروبة للنُّظّار، ونظرٌ في الحكمة الإلهية.

آخرها : ولا أحب أن أزيد على هذا كشفًا، فإن بعض الأسرار لا ينطق بها عارفٌ.. هذا وباللّٰه التوفيق وهو نعم الرفيق.

نسخة جيدة ضمن مجموعة رسائل لابن عربي، كتبها عبد الوهاب بن محمد الزبداني، بقلم معتاد سميك سنة ١٣٢٤هـ، مفهرسة من أولها.

٢٤ ق ١٦ س ٢٢×١٨ سم

موضوعها : تصوف.

رقم الحفظ : ٦٠/ الأميرة فايزة.

١٠- مجموع في الطب (جداول طبية)

لمجهول

أولها : الحمد للّٰه الذي خلق فسوى، وقدَّر فهدى، وأَمْرض وشفا.. ولما تحقَّق سيدنا.. المقتدي بأمر اللّٰه.. أحبَّ العبد أن يخدم بها خزائن الحكمة المقتدية، أعلى اللّٰه شأنها، بالقدر الضروري من علم الطب...

آخرها : وهو أن الضماد كان صالحاً، ثم نزلت تلك المصلحة الآن بتغير الأمزجة والأزمان.. واللّٰه تعالى يعين على العلم.

نسخة جيدة في مجلد، كُتبت بقلم نسخي، سنة ١٣٣٩هـ، عن نسخة

كُتب سنة ٥٩٦هـ. وهي عبارة عن جداول طبية تشتمل على: الأمراض، أسبابها، علاماتها، علاجاتها.

٥٠ ق — مسطرتها مختلفة — ٥٦×٤٠ سم

موضوعها: طب.

رقم الحفظ: ٦٨٢/ جعفر ولي.

١١- مرآة العرفان

للنَّقْشَبَنْدِي (أحمد الأحمدي)[1].

أولها: حمدًا لمن أرسل بالتوحيد.. وبعد فيقول العبد الفقير.. قد سألني.. أن أشرح رسالة من عرف نفسه فقد عرف ربه، للقطب العارف.. ابن عربي..

آخرها: يسلك الطريقة المرضية، بهِمَّته القوية الجاذبة إلى رب البرية.. وبالإجابة قدير، أي حقيق من غير تأخير. وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين.

نسخة جيدة ضمن مجموعة، كتبها محمد أمين الزبداني، بقلم معتاد سنة ١٣٢٢هـ.

٨٤ ق — ١٥ س — ٢٥×١٤ سم

موضوعها: تصوف.

رقم الحفظ: ٥٩/ الأميرة فايزة.

---

(١) توجد منها نسخة أخرى بنفس المكتبة (الفهرس ٢/ ٢٩٥)، برقم ٣/ الأميرة فايزة.

١٢- المعاني إلى إدراك العالم الإنساني

لابن عربي (الشيخ الأكبر محيي الدين بن علي) المتوفى ٦٣٨هـ.

(بروكلمان ١/ ٧٩٠، معجم المؤلفين ١١/ ٤٠)

أولها: الحمد لله المنزَّه عن ذوات الأنداد .. أما بعد فإن في بلاد الهند كتابًا معتبرًا معروفًا عند علمائها وحكمائها وهو يسمى «البرت كذر» يعني حوض ماء الحياة.

آخرها: ثم قال الواحد في واحد، ففهمتُ إشارته .. وصلى الله على سيدنا محمد.

نسخة جيدة، ضمن مجموعة، كتبها عبد الوهاب بن محمد الزبداني بقلم نسخي سميك سنة ١٣٢٤هـ.

٣٣ ق ١٦ س ٢٢× ١٨ سم

موضوعها: تصوف.

رقم الحفظ: ٦٠/ الأميرة فايزة.

١٣- مواقع النجوم[(١)] (ومطالع أَهِلَّة الأسرار والعلوم)

لابن عربي (الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي) المتوفى ٦٣٨هـ.

(كشف الظنون ص ١٨٩٠، بروكلمان ١/ ٧٩٠، معجم المؤلفين ١١/ ٤٠).

---

(١) توجد منه نسخة أخرى بنفس المكتبة (انظر: فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية ٢/ ٣٧٠)، برقم ١٦٣/ جعفر ولي.

أولها : الحمد لله الحيّ القيوم ، المقسم بمواقع النجوم .. أما بعد ، فياذا العقل السليم والمتصف بأوصاف الكمال ..

آخرها : موقع النجوم الفرقانية ، ختمنا بها الكتاب تبركًا .. موصلنا إلى نيل هذه المقامات العلية القدسية بالتسليم والتفويض لموارد القضاء .

نسخة جيدة ، كتبها عبد الوهاب بن محمد الزبداني ، بقلم نسخي ، سنة ١٣٢٣هـ على ورق مصقول .

٢٨٤ق ١٥ س ٢٢×١٤ سم

موضوعها : تصوف .

رقم الحفظ : ٣٠/ الأميرة فايزة .

* * *

حماسة البصري

دراسة في أسس الاختيار
والتأليف الأول والثاني والثالث

د . عادل سليمان جمال*

مقدمـــــة :

١- مصنف الكتاب :

أجهدت نفسي في التنقيب ، وأطلت البحث ، وأجهدت الفكر ، وأنعمت النظر ثلاثين عاما فلم أظفر بطائل ، وأُبْت صِفْر الوِطاب ، فلم أجد لأبي الحسن علي ابن أبي الفرج البصري ذكرا ، فاستغلق ذلك عليّ ، فليس أبو الحسن نَكِرَة من عرْض البشر فيُغْفِله معاصروه ومن جاء بعدهم من أصحاب كتب التراجم ؛ يشهد لفضله وسَعَة علمه ، وعِرْفان شهرته التقاريظُ الاثنا عشر الملحقة بآخر الكتاب

* أستاذ الأدب القديم في قسم الدراسات الشرقية في جامعة أريزونا بالولايات المتحدة . حقق : شعر الأحوص الأنصاري ، وشعر حاتم الطائي ، والحماسة البصرية ، وغيرها .

(٤ : ١٧٠٨- ١٧٨٤) ، وكلها لمعاصريه من مشاهير المترجمين والنحويين ، يقول ابن العديم مثلا : « طالعت الحماسة البصرية مطالعة بصير مُنْتَقِد ، وتأمَّلتُها تأمُّل خبير مُعتقِد ، فألفيْتُ مؤلِّفها – الشيخ الأجلَّ الكبير الفاضِل العالم الكامِلَ ، جامِعَ أشتات الفضائل ، المُتَمَيِّز بنِعَم العلوم الجلائل ، صدْرَ الدين ، بهاء الإسلام والمسلمين ، جليسَ الملوك والسلاطين ، لسانَ الأدب ، وحُجَّة العرب ، الراقِيَ في مَدارِج العلوم إلى أعلى الرُّتَب – أبا الحسن علي بن أبي الفرج البصري ، أدام اللّه الإمتاع بفوائده – قد كساها من حُسْن الاختيار بِزَّة رفيعة ، وأبدع فيما أَوْدَع فيها مُلَحَ الأشعار الرائقة البديعة » . فغريبٌ بعد هذا أن يهمله ابن العديم ، فلا يترجم له في « بغية الطلب في تاريخ حلب » ، ولا في مختصره . وهو شيء عجيب لا تفسير له عندي ، فقد عاش البصري في حلب ، وتملكها الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب ثم صاحب الشام ، وقد صنّف البصري الحماسة وأهداها إليه ، وذكر اسمه في مقدمة الكتاب ، ولا شك عندي أنه كان صديقا لابن العديم ، يشهد بذلك ثناؤه عليه الذي ذكرته آنفا . فأمر غريب كل الغرابة ألا يترجم له ابن العديم ، مع أنه قد ترجم لرجال أقلّ من البصري شأنا وعلما . ويزداد الأمر إبهامًا حين يُغْفِله ابن خِلِّكان (ت ٦٨١ هـ) ، وهو معاصر له متقارب الزمن منه ، ثم لا يستدركه ابن شاكر (ت ٧٦٤ هـ) في فوات الوفيات ، ثم يزداد الأمر نُكْرا فيتجاهله الصفدي (ت ٧٦٤هـ) في الوافي بالوفيات . ترجم الصفدي (٣ : ١٧٦) للشيخ كمال الدين بن طلحة (ت ٦٥٢ هـ) ، وكمال الدين – صاحب التقريظ الثالث – كان صديقا للبصري ، وعرض البصري عليه الحماسة ، كما يشهد بذلك قول ابن طلحة في التقريظ الثالث (٤ : ١٧٦٢) : « أحضر إليّ هذه الحماسة الحاسِمَةَ طَمَعَ مُباريها ، الجازِمة حَرَكَة مُجاريها ، الحاكمة بفضل

مُنْشِئها وباريها ، وعَرَضَها عليَّ ناظِمُ دُرَر عُقُودها ، وراقم حِبْرَ برودها ، الصدرُ الكبير الأجلُّ الأوحد ، العالم الفاضل ، المِدْرَةُ المُـفَوَّه ، صدرُ الدين ، بهاء المسلمين ، وجمالُ الفضلاء ، شرفُ العلماء ، تاج الأدباء ، جلالُ الكُبراء ، أبو الحسن علي بن أبي الفرج البصري » .

فعجبٌ إذن أن يترجم الصفدي لابن طلحة ويهمل البصري ، ثم يتوالى هذا الصمتُ المُنْكَر ، فلا يترجم للبصري مَن جاء بعدُ من كُتّاب التراجم كالذهبي في سير أعلام النبلاء ، وفي العِبَر ، وابن العماد في شذرات الذهب ، وغيرهما ، مع أن الذهبي وابن العماد ترجما لابن طلحة .

ونستظهر من نص فخر الدين بن حنين (حُسَيْن) أن علي بن أبي الفرج وُلِد في البصرة ، وإليها يُنْسَب ، ولكنه فيما يبدو انتقل إلى واسط وهو غلام ، ونشأ بها . يقول فخر الدين في التقريظ الحادي عشر (٤ : ١٧٧٩) : « وقفتُ على هذه الحماسة الجامعة لأنواع النَّفاسة ، التي جمعها الصدر الكبير ، الأَمْثَل الأثير ، العالم الكامل الفاضل ، الحبْر الفريد المُفيد ، صدر الدين ، شمسُ الفضائل ، وقُدْوَة الأفاضل ، حُجَّة العرب ، ولُجّة الأدب ، المخصوص لمَزِيَّة القرب بأعلى الرُّتَب ، أبو الحسن علي بن أبي الفرج النحوي ، البصري الأصل ، الواسِطِيّ المنشأ » . وأحرى أن يكون ذلك صوابا لأن فخر الدين من واسط أيضا ، فهو أعرف بعلماء بلده . ثم انتقل البصري في وقت لا أُحقّقه إلى حلب ، وعاش في كنف ملكها الناصر صلاح الدين يوسف ، وصنف لخزانته النسخة الثانية من الحماسة البصرية ، فقد كتبها ثلاث مرات ، كما سيأتي بيانه بعد إن شاء اللّٰه .

يقول البصري في مقدمة الكتاب (١ : ٤) : « وبعدُ ، فإنه لمّا كانت المجاميع

الشعرية صِقال الأذهان ، ولأنواع المعاني كالتُّرجمان ، وكان مولانا الملك الناصر ، صلاح الدنيا والدين ، ناصر الإسلام والمسلمين أبو المظفَّر يوسف بن الملك العزيز بن الملك الظاهر ، لا زال نافذ الأوامر في كل نَجْد وغائر ، لَهِجًا بأشعار العرب التي هي ديوان الأدب ، توخَّيْت في تحرير مجموع مُحْتَوٍ على قلائد أشعارهم ، وغُرر أخبارهم ، مُجْتَنِبًا للإطالة والإطناب ، بما تضمَّنَتْه أبواب الكتاب لخزانته المعمورة مما وقع لي من المجاميع المشهورة » .

وهذه النسخة – وهي نسخة نور عثمانية – نسخت في سنة ٦٥١ هـ في حياة البصري ، وهذا يدلنا على أنه كان في حلب قبل هذا التاريخ بزمن ما ، ثم انتقل بعد ذلك إلى بغداد ، ودليلنا على ذلك أننا نجد في نسخة راغب باشا وهي منسوخة في ٦٥٤ هـ في حياة البصري أيضا إهداء إلى الخليفة المستعصم آخر الخلفاء العباسيين ، يقول البصري في فاتحة الكتاب : « الحمد للّه حمدا يكون لقائله ذُخْرا ، والصلاة والسلام على نبيّه القائل : « إن من البيان لسحرًا » صلاة دائمة على مَمَرِّ الأيام تَتْرًا ، وعلى آله وأصحابه الذين أخفي بهم نجم الشِّرْك قَهْرا وقَسْرا ، وأدام اللّه أيام سيِّدنا ومولانا الإمام المُفْتَرَض الطاعة على جميع الأنام أبي أحمد المستعصم باللّه أمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين » .

ثم لا أدري على وجه اليقين إذا كان المقام قد استقر به في بغداد أم عاد إلى حلب . ويرجح الدكتور مختار الدين أحمد محقق الطبعة الهندية (١: ٢٢) أن البصري توفي سنة ٦٥٩ هـ وهو مقيم بحلب ، ودليله على ذلك أن البصري كان ملازما للملك الناصر ، وقد قُتِل الملك الناصر – فيما يقول – في هجوم التتار على حلب سنة ٦٥٩ هـ ، فقُتِلَ البصري معه فيمن قُتِل خلال هذا الهجوم . وهذا رأي

يقوم على افتراض لا يسنده دليل ، فهذا ابن إياس في بدائع الزهور يفيض في وقائع هجوم التتار على حلب ، وذِكْر أسماء مَن قَتلوا من العلماء والشعراء ، ولا نجد للبصري بينهم ذِكْرا . أما حاجي خليفة فذكر أن البصري توفي سنة ٦٥٦ هـ (كشف الظنون ١ : ٦٩٣) ، ولا أدري ما الذي رجّح عنده هذا التاريخ على وجه التحديد .

والذي أميل إليه أنه توفي بالشام ، ربما في دمشق . فنحن نجد للبصري كتابا آخر بعنوان : « المناقب العباسية والمفاخر المستنصرية » أهداه إلى الملك الظاهر بيبرس ، والمعروف أن الأمور استقامت للملك بيبرس سنة ٦٥٨ هـ في الشام بعد وقعة عين جالوت وقَتْل المُظفَّر ، وظل الظاهر بيبرس في الحكم إلى أن توفي بدمشق سنة ٦٧٦هـ . لا جرم إذن أن البصري كان حيًّا بعد سنة ٦٥٨هـ ، فقد عنون كتاب المناقب باسم الظاهر ، ولا أدري على وجه التحديد متى ألف هذا الكتاب ، ولكن الذي يقودنا إليه العقل هو أنه ألَّف هذا الكتاب وأهداه إلى الظاهر بعد بزوغ نجمه ، وامتلاك الديار المصرية والشامية وانتصاراته الحاسمة على التتار خاصة في عين جالوت ، وكل ذلك حدث بعد سنة ٦٥٨هـ .

ويبدو أن البصري كان واسع الاطلاع ، متبحرا في علوم شتى ، فكتابه الحماسة البصرية يشهد له بمعرفة الشعر من جاهليه إلى الزمن الذي توقف عنده بمحض اختياره ، وهذا كتابه في تاريخ العباسيين يدل على منحى آخر في تأليفه . وجمع إلى ذلك كله علم النحو ، ويبدو أنه قد برع فيه حتى ليلقّبه فخر الدّين النحوي بـ « أبو الحسن علي بن أبي الفرج النحوي » [1] . ويقول عون الدين سليمان

---

(١) التقريظ الحادي عشر ، ٤ : ١٧٧٩ .

ابن العجمي : «عرض عليّ هذه الحماسة العلّامةُ صدر الدين أبو الحسن علي البصري النحوي »[1] .

أبواب الحماسة البصرية :

قسم البصري حماسته إلى الأبواب الآتية :

١- باب الحماسة .

٢- باب المديح .

٣- باب الرثاء .

٤- باب الأدب .

٥- باب النسيب .

٦- باب الأضياف .

٧- باب الهجاء .

٨- باب مذمة النساء .

٩- باب الصفات والنعوت .

١٠- باب السير والنُّعاس .

١١- باب الملح والمجون .

---

(٢) التقريظ الثاني عشر ، ٤ : ١٧٨١ .

١٢- باب ما جاء في أكاذيبهم وخرافاتهم .

١٣- باب ما جاء من ملح الترقيص .

١٤- باب الزهد والإنابة .

ومنهج البصري في تصنيفه أقرب إلى منهج أبي تمام منه إلى أي مصنِّف آخر ، ولم أستطع أن أجزم أنه اطّلع على حماسة الشنتمري (ت ٤٧٦هـ) ، وأستبعد استبعادا شبه اليقين أنه رأى الحماسة المغربية لأبي العباس التادلي (ت ٦٠٩هـ) . وإن كان أيضا قد أفاد من منهج البحتري وابن الشجري ، فجمع طرقهم كلها في تصنيفه[١] . أضاف البصري ثلاثة أبواب إلى أبواب حماسة أبي تمام ، وهي الثلاثة الأخيرة المذكورة آنفا (١٢- ١٤) ، ثم توسَّع شيئا ما في باب المُلَح ، فأضاف إليه « المجون » . وقد قسمه المصنِّفُ إلى جزأين ، يشمل الجزء الأول : باب الحماسة ، باب المديح ، باب الرثاء ، وسبعا وأربعين قصيدة ومقطعة من باب الأدب ، أما الجزء الثاني فيحتوي على بقية باب الأدب وسائر الأبواب التي عددتها قبل . وتضم نسخة راغب باشا - وهي النسخة الأخيرة التي وصلت إلينا - ١٦٣٦ قصيدة ومقطعة ، أضفت إليها الزيادات التي وردت في نسخة نور عثمانية ونسخة عاشر أفندي ، كما سيأتي بيانه في دراسات النسخ ، فصار مجموع ما تحتويه ١٧٠٩ قصيدة ومقطعة[٢] .

---

(١) كتبت مقالًا مستفيضًا باللغة الإنجليزية عن الأسس الذي أقام عليها أبو تمام والبحتري وابن الشجري اختيارهم في كتب الحماسة ، لذا لن أعيد ذلك هنا ، انظر :
Journal af Arabic Lierature.

(٢) عدد القصائد والمقطعات في الحماسة البصرية طبعة الهند ١٦٤٩، وقد أضاف المحقق بعض القطع التي وردت في نسخة عاشر أفندي ونسخة نور عثمانية إلى الأصل ، بينما أهمل بعضها ؛ لأنه لم يستطع قراءتها ، كما سأبين عند الكلام عن طبعته . وعن الطبعة الهندية نقل الدكتور مصطفى الشكعة عدد = =

وإذا كان باب الحماسة هو أكبر الأبواب حجما وأكثرها عددَ مقطوعاتٍ عند أبي تمام وغيره ، فإن باب النسيب في الحماسة البصرية له القِدْح المُعَلَّى . وبين أبواب الموضوعات المشهورة كالحماسة والمديح والرثاء والأدب والنسيب والأضياف والهجاء توازنٌ مقبول في عدد قصائد هذه الأبواب ومقطعاتها ، أما الأبواب الأخيرة ، خاصة باب مذمة النساء ، الصفات والنعوت ، والسير والنُّعاس ، المُلَح والمجون ، ما جاء في أكاذيبهم وخرافاتهم ، ما جاء من مُلَح الترقيص ، الزهد فيغلب عليها القِصرُ على تفاوت هذا القِصَر فيما بينها .

البصري مطيل أحيانا في اختياراته أكثر مما أطال مصنِّفو الحماسات قبله ، ويقل عنده اختيار البيت المفرد ، فلا يوجد في الحماسة البصرية إلا ثلاثة أبيات مفردة ، أحدها للراعي في باب الصفات (رقم : ١٤٤٤) ، والآخر غير منسوب (رقم : ١٥٧٧) ، وهو لبشر بن أبي خازم في باب ما جاء في أكاذيبهم وخرافاتهم ، والثالث للبيد (رقم : ١٦٠٦) في باب الزهد . أما البيت رقم : ٦٢١ لهُدْبَة بن خشْرم في باب المراثي ، فقد سقط البيت التالي له ، كما يدل البياض الذي يعقبه في نسخة راغب باشا التي اتخذتها أصلا ، وتخلو منه النسختان الأخريان ، كذلك البيت رقم : ٨٢٣ وهو غير منسوب ، وهو لمحمد بن يسير في باب الأدب ، فأرجح أن الناسخ أسقط البيت الثاني المتم للمعنى ، وهذا البيت

القصائد والمقطعات وإن جعلها ١٦٤٨ في كتابه « مناهج التأليف عند العلماء العرب » ، قسم الأدب ، ص : ٥٢٩، طبعة دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٤ ، وجعلها عبد الله الجبوري ١٦٦١ قصيدة ومقطعة في مقدمته للتذكرة السعدية ص : ١٣، طبعة المكتبة الأهلية ، بغداد ١٩٧٢، وعنه نقل الدكتور عز الدين إسماعيل في كتابه المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربى ص : ١٢١، طبع مكتبة غريب ، القاهرة ، بدون تاريخ .

الثاني موجود في النسختين الأخريين .

من هذا يتضح أن اختيار البيت المفرد قليل في الحماسة البصرية ، والذي دفع البصري إلى ذلك هو أنه كان يهتم - كما سأفصل القول بعد قليل - بإيراد معنى معين ، سواء كان هذا المعنى تضمَّنته عدَّةُ أبيات أو بيت واحد . فليس صحيحًا ما يقوله : الدكتور عز الدين إسماعيل من أن البصري « كان يورد في الحماسة بيتا مفردًا . صحيح أننا نجد هذا في بعض الحماسات السابقة - وإن كان قليلا نسبيا - ولكن الملاحظ أن هذه الأبيات المفرَدَة كانت في تلك الحماسات تؤدّي شيئا ، في حين أنها عند البصري تكون مجرد تأهُّب من الشاعر للدخول إلى موضوعه ، أو بلورة المعنى الذي يريده ، ومثال ذلك الحماسية رقم :٥٩ من باب الصفات والنعوت (الطبعة الهندية ٢: ٣٥٣) حيث يقول : وقال الشماخ :

أَمِنْ دِمْنَتَيْن عرَّجَ الركْبُ فيهما بعَقْل الرُّخامَى قد عَفا طَلَلاَهُما

فليس في هذا البيت سوى أن الدمنتين قد عفا طللاهما ، ولا معنى لجعل هذا البيت حماسية مختارة[1] .

أقول : إن اختيار البيت الواحد - وهو قليل جدا لا يتعدى ثلاثة مواضع - مرتبط بالمعنى الذي أراد البصري أن يختاره في الباب الذي سلكه فيه . وهذا البيت المفرد الذي استشهد به الدكتور عز الدين إسماعيل ، هو في الحقيقة مقترن بآخر في نسخة راغب باشا التي اتخذتها أصلا ، وهي منسوخة سنة ٦٥٤هـ في حياة البصري ، وقد ورد فيها هذا البيت مع آخر يتم به المعنى الذي أراد البصري إدراجه

(١) المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي ، ص : ١٢١ .

في باب الصفات ، وهما برقم : ١٤٥٨ في طبعتنا هذه (٤: ١٥٤١) والنسخة التي اعتمد عليها محقق الحماسة البصرية نسخةٌ يشوبها نقص في بعض المواضع ، كثيرة الأغلاط كما سأشير فيما بعد .

٣- مصادر الحماسة البصرية :

يقول المصنف في مقدمة الكتاب (١: ٤) : « وكان مولانا الملك الناصر ... لَهِجًا بأشعار العرب التي هي ديوان الأدب ، توخَّيتُ في تحرير مجموع مُحْتوٍ على قلائدِ أشعارهم ، وغُرَر أخبارهم ، مُجْتَنِبا للإطالة والإطناب، بما تضمَّنته أبواب الكتاب لخزانته المعمورة مما وقع لي من المجاميع المشهورة ، كأمالي العلماء ، وحماسات الأدباء ، ودواوين الشعراء من فحول المحدثين والقدماء ، ومختارات الفضلاء ، كأشباه الخالديين » .

فمن العبث إذن أن تتتبع هذه المصادر من حماسات ومختارات ودواوين شعراء كما فعل الدكتور مختار أحمد محقق الطبعة الهندية ، ولعل الذي دفعه إلى هذا أنه لم يقرأ مقدمة الكتاب بعناية ، فذهب به الظن إلى أن البصري ذكر فيها كتاب الخالديين فقط ، يقول (١: ٢٥) : « قد صرح المصنف في مقدمة الكتاب استفادته من كتاب واحد وهو الأشباه والنظائر »[(١)] . ومن ثَم أخذ في تتبُّع بعض هذه المصادر . وكان عن ذلك في غِنى ، فقد ذكر البصري في مقدمته أنه أفاد من

---

(١) يُعرَف هذا الكتاب عند بعض الدارسين باسم حماسة الخالديين . وهذا خطأ مُغرِق . ومنشأ الوهم أن للأخوين كتابين ، أحدهما : الأشباه والنظائر ، وجعل فيه شعر الجاهليين والمخضرمين وما يماثله من شعر المحدثين ، ألَّفاه دفاعًا عن الشعراء المتقدمين ، وثانيهما : هو حماسة شعر المحدثين ، انظر الفهرست لابن النديم : ١٩٥، معجم الأدباء لياقوت ١١: ٢٠٨، فوات الوفيات ٢: ٥٣ وغيرها .

كتب الحماسة التي صُنِّفت قبله ، وواضح من التقاريظ الملحقة بآخر الكتاب (٤ : ١٧٥٧ - ١٧٨٤) أن أكثر أصحابها عارضوا الحماسة البصرية بحماسة أبي تمام والبحتري وابن الشجري ، ولا شك أيضا أن البصري اطَّلع على الحماسة الصغرى أو الوحشيات ، كما ذكر أنه أفاد من كتب المختارات ، ولا شك أنه يعني المعلّقات والمفضليات والأصمعيات وغيرها ، كما رجع إلى دواوين الشعراء القُدامى منهم والمُحْدَثين ، ثم كتب الأدب عامة ، كالأغاني والعقد الفريد والكامل وعيون الأخبار وغيرها ، بالإضافة إلى كتب الأمالي ، كأمالي القالي والزجاجي وابن الشجري ، وكتب الحيوان والنبات والأنواء ، والمعاني ، مثل معاني الأشنانداني ، وإلى كتب أخرى كثيرة لم تصل إلينا ، فاحتفظ لنا بأشعار وبأسماء شعراءٍ لا توجد في مكان آخر ، وسأفصّل القول عن ذلك في كلامي عن أهمية الحماسة البصرية .

وأظن ظنا أن البصري تأثر بكتاب الأشباه والنظائر للخالديّيْن ، فهو الكتاب الوحيد الذي ذكر عنوانه في المقدمة (١ : ٤) وأعجب به لأن الأشباه محتوية « على دُرَر النِّظام وجواهر الكلام » . غير أنه عاب عليهما « أنهما نسبا فيها أشياء إلى غير قائليها ، ولم يُقَيِّدا الكتاب بترجمة أبواب ، فغدت فرائده متبدِّدةَ النظام ، مُسْتَصْعَبة على الحفظ والإفهام فجاء مشتملا على غرائب البديع ومُلَح الترصيف والترصيع » .

أَلَّف الخالديان كتابهما دفاعا عن الشعراء المتقدمين ، يقولان في مقدمة الكتاب : « فإنا رأيناك بأشعار المُحْدَثين كَلِفا ، وعن القدماء والمخضرمين منحرفا . وهذان الشريجان هما اللذان فتحا للمُحْدَثينَ باب المعاني فدخلوه ، وأنهجوا لهم طُرَق الإبداع فسلكوه ... فلسنا بقَوْلنا هذا ، أيّدكَ اللّه ، نطعَن على المُحْدَثين ، ولا

نبخَسهم تجويدَهم ولُطْف تدقيقهم ، وطريفَ معانيهم ، وإصابةَ تشبيههم ، وصحة استعاراتهم . إلا أنَّا نعلم أنَّ الأوائل من الشعراء رسموا رسوما تبعها مَنْ بعدَهم ، وعَوَّل عليها مَن قَفا أثرهم ... ونحن نضمن رسالتنا هذه ما وقع إلينا من أشعار الجاهلية ومن تبعهم من المُخَضْرَمين ... ولا نُخْلِيها من غرر ما رويناه للمُحْدَثِينَ »[1] . هذا ما فعله البصري في حماسته ، فأكثر اختياراته للمتقدمين من جاهليين ومخضرمين ، ولا يتعدى العصر الأموي إلا عاما ، ولا يكون ذلك في أغلب الأحيان إلا ليوضح أن معنى من المعاني في شعر المُحْدَثين ، سبق إليه شاعرٌ متقدم ، فمثلًا المقطَّعة رقم : ٢٥٨ في باب المديح (١: ٣٧٩) لأبي نواس يذكر فيها مجازاة ناقته كفاءَ ما حملته إلى مُنْتَواه :

حَرُمْتِ على الأَزِمَّة والوَلايا وأعْلاقِ الرِّحالة والوَضِينِ

أي : لن يرحلها ، ويكرمها ، وهذا معنى سبقه إليه الفرزدق في القطعة التي تليها ، رقم: ٢٥٩:

متى تَرِدي الرُّصافَة تَسْتَرِيحي من التهجير والدَّبَر الدَّوامِي

أي حين تبلّغُهُ مَقْصِدَه ، فلن تحمله مرة أخرى في هجير القيظ ، ولن يضع عليها الرحل فلا يدمي ظهرها من أثر القَتَب .

وأكثر الشعراء المحدثين - على قِلَّتهم - من شعراء العصر العباسي الأول مثل بشار بن برد وأبي تمام . أما من تأخر زمنه عن منتصف القرن الثالث للهجرة فلا

---

(١) الأشباه والنظائر ١ : ١- ٣ .

اختيار له إلا فيما ندر، كالقطعة رقم: ١٠٨٧ (٣: ١١٩٦)، وهي إن كانت عنده غير منسوبة، فهي منسوبة للخباز البلدي في مصادر متعددة كما يتضح من التخريج، والخباز البلدي كان حيا قبل سنة ٣٨٠هـ. وقُلْ مثل ذلك في القطعة رقم: ١٦٥٤ (٤: ١٧٠٧)، فهي وإن نسبت إلى أبي الريف السُّلَمي، فهي منسوبة أيضا لابن بسام (ت٣٠٣هـ). ولا يفوت البصري أن يلفت انتباهنا إلى أنه «متأخر»، وإيراد شعره مرتبط بما ذكرت قبل، وهو أنه يتضمن معنى سبق إليه متقدمٌ، فمثلا القطعة رقم: ٩٣٣ لمحمد بن صالح العلوي (مات في خلافة المنتصر، والمنتصر توفي سنة ٢٤٨هـ، ولم يمكث في الحكم إلا ستة أشهر، في باب النسيب (٢: ١٠٦٣) يذكر فيها شوقه إلى من يحب وهو في السجن، وهذا المعنى عالجه جعفر بن عُلبْة الحارثي (قُتل في خلافة أبي جعفر المنصور) في القطعة السابقة رقم: ٩٣٢. وقل مثل ذلك في قطعة الخالديين في وصف قلعة، رقم: ١٤٤١ (٤: ١٥٢٦)، قدم لها بقوله: «وأَحْسَنَ الخالديان فيها مع تأخرهما»، ووصف القلعة هذا سبقهما إليه كعب الأشقري (قتله يزيد بن المهلب) في القطعة السابقة رقم: ١٤٤٠، وكان البصري قد اختار لبعض مشاهير الشعراء المتأخرين في النسخة الأولى والثانية من الحماسة البصرية (كتبتا سنة ٦٤٧هـ، ٦٥١هـ) فاختار الفتح بن خاقان (ت٢٤٧هـ) بيتين رقم:١٦٥٧ (٤: ١٧٠٩)، ولابن الرومي (ت٢٨٣هـ) ثلاثة أبيات برقم: ١٦٤٤ (٤: ١٦٩٩)، وللبحتري (ت٢٨٤هـ) بيتين برقم:١٦٩٨ (٤: ١٧٤٤)، ولابن المعتز (ت٢٩٦هـ) بيتين برقم:١٦٧٩ (٤: ١٧٢٥)، وليوسف بن هارون الرمادي (ت٤٠٣هـ) تسعة أبيات برقم: ١٦٨١ (٤: ١٧٢٧- ١٧٢٨)، ولكنه أسقط هذه القطع جميعا من النسخة الأخيرة التي صنفها سنة ٦٥٤هـ. ولا أدري سبب ذلك، فبين

هذه القطع والقطع التي تليها أو تسبقها نوع من التشابه ، فمثلا ، قطعة ابن المعتز يستهلها البصري بقوله : « وإليه نظر ابن المعتز في قوله » . أي نظر إلى معنى البصرية السابقة ، وهي لأعرابي . ومن الجدير بالملاحظة أن يوسف بن هارون الرمادي شاعر أندلسي ، اختار له البصري تسعة أبيات في وصف الفرس في النسخة الأولى من الحماسة البصرية التي صنفها سنة ٦٤٧هـ ، ولكنه أسقطها في النسختين اللتين صُنِّفتا سنة ٦٥١هـ ، ٦٥٤هـ . وهو الشاعر الأندلسي الوحيد الذي اختار له البصري شيئا . ولعل السبب في ذلك أنه كانت هناك ملاحاة وتَعايُر بين المتنبي وبين يوسف بن هارون الرمادي ، على بُعْد ما بينهما من مكان ، فذكره لاتصال أخباره بأخبار أهل المشرق ، والله أعلم . وفي باب الأدب (٢ : ٨٩٨) ثلاثة أبيات برقم : ٧٥٦ غير منسوبة ، ولكني وجدتها في ابن خِلِّكان منسوبة أو ما يُشْعِر أنها منسوبة – إلى محمد بن مَعْن بن صُمادِح التجيبي الأندلسي (توفي سنة ٤٨٤هـ) ، ولم أجدها في أي مصدر آخر على كثرة ما بحثت ، وورودها غير منسوبة عند البصري يدل على أنه استقاها من مصادر أهل المشرق ، ولعل ابن خِلِّكان أراد أن الصمادحي استشهد بالشعر ليس غير .

٤– أسس الاختيار في الحماسة البصرية :

إذا كان أبو تمام قد جعل أساس اختياره قائما على التذوّق ، فيختار المعنى الذي يروقه ، دون جعل هذه المعاني في نسق سوى سلكها في باب عام شامل ، وإذا كان ابن الشجري قد جعل أساس اختياره – في الأغلب الأعم – مبنيا على الشعراء ، فيختار لشاعر واحد مقطوعات متتالية ، فإن للبصري منهجًا لا يكاد يختلُ إلا فيما ندر ، فنجد بين كل قطعتين أو أكثر صلة ما تجمع بينهما . سأكتفي بإيراد بعض

الأمثلة التي تدل على منهجه الذي قصد إليه قصدا ، فقد رأينا أنه رغم إعجابه بكتاب الخالديين فإنه عاب عليهما « أن فرائده مُتبَدِّدة النِّظام » ، ومن ثم ما كان ليأتي ما عليهما عاب . اختار لزُفَر بن الحارث أربعة أبيات برقم : ١١٥ (١ : ١٧٦) ، وفيها تحدث زفر عن بأس أعدائه ، وكيف أنهم صمدوا لهم وصبروا على حرّ القتال ، بل رأى أن أعداءه كانوا أكثر منهم صبرا :

سَقَيناهُم كأسا ، سَقَوْنا بمثْلِها ولكنهمْ كانوا على الموتِ أَصْبرا

فُزفَر هنا أنصف أعداءه ، ولم يجعل الفخر كله لقومه ، ومثل هذه القصائد تُسَمَّى « المُنْصِفات » . لذلك يورد البصري بعدها مباشرة قافية عامر بن أَسْحم النُّكْرِي برقم : ١١٦، ونونية عبد الشارق بن عبد العُزَّى الجُهَنى برقم : ١١٧، وسينية العباس بن مرداس برقم : ١١٧، ويقدم لها بقوله : « قيل إن مُنْصِفات العرب ثلاث » ، فهو حين اختار أبيات زُفَر ، ورأى فيها أن الشاعر أنصف أعداءه ، ذكر بعدها القصائدَ التي تماثلها في المعنى . وكان قبل قد أورد أربعة أبيات بائية غير منسوبة برقم : ٨٥، أعقبها بأربعة بائية مع الهاء الساكنة لأبي تمام ، قدم لها بقوله : « وقال أبو تمام في معناه » .

وفي آخر باب الرثاء يورد قصائد وقطعا لمالك بن الرَّيْب (النَّواجِيا) رقم : ٦١٧ (٢ : ٧٧٤) ، عمرو بن أحمر (المكاوِيا) رقم : ٦١٨، أبي الطَّمَحان القَيْني (الجوانِحِ) رقم : ٦١٩، لبيد بن ربيعة (مُضَرْ) رقم : ٦٢٠، هُدْبَة بن خَشْرَم (بأَنْزَعا) رقم : ٦٢١، عَبْدَة بن الطَّبِيب (مُسْتَمْتَعُ) رقم : ٦٢٢، صدر البصري لها بقوله : « نُبَذٌ مِن قول مَن رَثَى نَفْسَه حَيًّا » فهي جميعا لرجال أحسوا الموت فرثَوْا أنفسهم وهم أحياء بَعْدُ . فلهذا التشابه أوردها البصري في نسق وصرَّح

به[1] . ولم يذكر البصري هذا التشابه في كل ما اختار ، ولكنه واضح بيّن لمَن أنعم النظر ، وهذا التشابه له أَوْجُه عِدَّة ، أذكرها باختصار فيما يلي .

ا – تشابه المعنى :

يختار البصري معاني مؤتلفة فيتبع بعضَها بعضًا لما بينها من وشائج ، فأبيات زُفَر بن الحارث اليائية (مُتَشائيا) رقم : ٥٧ (١: ٨٨) ، وأبيات هُبَيْرَة بن أبي وَهْب المخزومي اللامية (القَتْلِ) رقم : ٥٨ ، وأبيات أوس بن حجر السينية (عبْسِ) رقم : ٥٩ ، وأبيات الفَرّار السّلَميّ الدالية (يَدِي) رقم : ٦٠ ، وأبيات الحارث بن هشام المخزومي الدالية (مُزْبِدِ) رقم : ٦١ ، وبَيْتا عمرو بن عنترة الطائي (فاجِرُ) رقم : ٦٣ ، كل هؤلاء الشعراء يذكرون فرارهم من حومة القتال ، وتخلّي بعضهم عن أصحابه ، لما أيقنوا الهلاك واستبانوا القتل كان فرارهم عملا حكيما ، فلو لبثوا لَقُتِلُوا ، ولقَرّت عين أعدائهم . لكن فرارهم سيتيح لهم كَرَّة أخرى على عدوِّهم . فلم يكن فرارهم جبنا ، وكيف يكون ذلك وهم بالشجاعة معروفون ، وبالبأس مشهورون ، وماذا عليهم لو أساءوا مرة ، قد أحسنوا من قبلها مرات ، كما يقول زُفَر :

أَيَذْهَبُ يومٌ واحِدٌ إن أَسَأْتُهُ ... بصالحِ أعمالي وحُسْنِ بَلائيا

وكان من المنتظر أن يورد البصري رقم : ٦٣ بعد رقم : ٦١ مباشرة دون فاصل

---

(١) لأمثلة أخرى انظر رقم : ٥١٦ (٢: ٦٨٧) ، رقم : : ٥٨٥ (٢: ٧٤٩) ، رقم : ٨٧٢ (٣: ٩٩٩) ، رقم : ١٤٢٣ (٤: ١٥٠٠) ، رقم : ١٤٤٦ (٤: ١٥٣٠) ، رقم : ١٤٤٩ ، ١٤٥٠ (٤: ١٥٣٣ ، ١٥٣٤) ، وغير ذلك كثير .

بينها برقم : ٦٢، ولكن هذه الأبيات الفاصلة متصلة - من حيث المعنى - بأبيات الحارث بن هشام رقم : ٦١، ففيها يهجو حسانُ بن ثابت الحارثَ بن هشام ويعيّره بفراره ، ومطلعها :

إن كنتِ كاذبة الذي حَدَّثتِني   فنَجَوْتِ مَنْجَى الحارثِ بن هِشامِ

فهي أدخل في باب الهجاء ، ولكنه أوردها في باب الحماسة لصلتها بأبيات الحارث بن هشام ، وسوف أفرد لذلك حديثا ، أي لإدخال البصري أبياتا في غير أبوابها . وهناك ضرب من التشابه المُسَلْسَل ، إن صح التعبير ، وهو أن يختار أبياتا لمعنى معين ، ويُعْقِبها بأخرى لها نفس المعنى ، ولكن هذه الأخيرة فيها معنى آخر فيختار القطعة التي تليها متضمنة هذا المعنى ، فمثال ذلك : أبيات جُنْدُب بن خارجة الطائي (قَضاها) رقم : ٢٥٦ (١: ٣٧٦) ، آخرها هذا البيت :

إذا ما رايَةٌ رُفِعَتْ لمجْدٍ   سَما أَوْسٌ إليها فاحْتَواها

تليها أبيات الشماخ (مُسْتَكِينِ) في مدح عَرابة الأَوْسِي (رقم: ٢٥٧) ، وفيها :

إذا ما رايةٌ رُفِعَت لمجْدٍ   تَلَقَّاها عَرابَةُ باليَمِينِ

ولكن الشماخ جازى ناقته بئسَ الجزاء ، فعزم على نحرها إذا بَلَّغته مقصده ، لأنه حينئذ سيكون في غنى عنها لما سيناله من هِبات الممدوح :

إذا بَلَّغْتِني وحَمَلْتِ رَحْلِي   عَرابةَ ، فاشْرَقِي بدمِ الوَتِينِ

وقد أثار هذا المعنى لغطا بين الشعراء والعلماء ، فمِن منكِر له ساخِط ومن مستحسن له راض ، لذا نرى البصري يعقب أبيات الشماخ ، بأبيات لأبي نواس

رقم : ٢٥٨ (الوضين) ، يتندَّر فيها على قول الشماخ ، يقول مخاطبا ناقته :

ولم أجْعَلْكِ للغِربانِ نَهْبًا ... ولا قلتُ اشْرَقِي بدمِ الوَتِينِ

ثم بأبيات الفرزدق رقم : ٢٥٩ (القتامِ) ، وفيها يَعِد ناقته عكسَ فعل الشماخ :

متى تَرِدِي الرُّصافَةَ تَسْتَرِيحي ... من التَّهْجِيرِ والدَّبَر الدَّوامِي

ثم بيتين لأبي نواس رقم : ٢٦٠ (حرامُ) مردِّدا ما قاله الفرزدق :

فإذا المطِيُّ بنا بَلَغْنَ مُحَمَّدا ... فظهُورُهُنَّ على الرجالِ حَرامُ

ثم بيتين لعبد اللَّهِ بن رَواحَة رقم : ٢٦١ (الحِساءِ) ، وفيهما نفس معنى أبي نواس والفرزدق :

فشَأْنَكِ ، فانْعَمِي ، وخَلاكِ ذَمٌّ ... ولا أَرْجِعْ إلى أَهْلي وَرائي

ثم بأبيات ذي الرمة رقم : ٢٦٢ (الحَرائِرُ) ، وفيها نفس المعنى الأول للشماخ ، وهو نحرُ الناقة لاستغنائه بالممدوح :

إذا ابنُ أبي مُوسى بلالٌ بَلَغْتِه ... فقامَ بفَأْسٍ بَيْنَ عَيْنَيْكِ جازِرُ

ثم بأبيات داود بن سَلْم رقم : ٢٦٣ (قُثَم) ، يعود فيها إلى معنى أبي نواس والفرزدق وابن رَواحَة ، فيقول قُثَم لناقته :

نَجَوْتِ مِن حَلٍّ ومِن رحلةٍ ... يا ناقَ إنْ قَرَّبْتِني مِن قُثَمْ

حتى إذا استغرق البصري هذا المعنى ، فرّع منه آخر ، فكل هذه القطع السابقة

تتحدث عن الارتحال بالناقة ، ومن ثَم يعقب أبيات داود بن سَلْم بأبيات لامية لذي الرمة رقم : ٢٦٤ (بِلالا) ، وفيها يرحل ناقته إلى بلال بن أبي بُرْدَة ، ثم بنونية المُثَقِّب العَبْدِي المشهورة ، رقم : ٢٦٥، وفيها تحمله ناقته بعيدا عن المكان الذي همّه وغمّه :

فسَلِّ الهَمَّ عنكَ بذاتِ لَوْثٍ عُـذافِـرَةٍ كَـمِـطْـرَقَـةِ الـقُـيُـونِ

ثم بأبيات جُنادة بن مِرْداس العُقَيْلِيّ (مَنْزِلا) ، رقم : ٢٦٦

إليكَ اعْتَسَفْنا بَطْنَ خَبْتٍ بأَيْنُقٍ نَوازِعَ ، لا يَبْغِينَ غَيْرَكَ مَنْزِلا[١]

وإلى جانب التشابه الذي يربط بين قطعتين من حيث موضوعهما العام ، نجد أن البصري أحيانا يتحرى تشابه جزئيات هذا المعنى ، فمثلا يورد قصيدة بشار البائية في باب الحماسة برقم : ١٤، ومطلعها عنده :

إذا الملكُ الجبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ مَشَيْنا إليهِ بالسيوف نُعاتِبُهْ

---

(١) ولمثال آخر انظر القطعة رقم : ١٥٤٢ في باب الملح والمجون (٤: ١٦٠٧) لعَلْقَمة بن عَبَدة ، فيها البيت المشهور (رقم : ٧) يشبه فيه إبريق الخمر بظبى على شرف ، وأتبعها ببيتين لأبي الهِنْدِيّ ، يشبه في ثانيهما الإبريق برقاب بنات الماء ، ثم ثَلَّثَ ببيتين لإسحاق الموصلي ، يشبه فيهما أباريق الخمر بالظباء ، ولما كانت كل هذه القطع – إلى جانب التشبيه المعين – تشترك في الكلام عن الخمر ، أتبعها البصري بأشعار فيها ذكر للخمر ووصفها ، رقم : ١٥٤٥ لأبي الهندي ، ١٥٤٦ للأخطل ، ١٥٤٧ للأخطل أيضًا ، ١٥٤٨ غير منسوبة (وهي للأخطل) ، ١٥٤٩ لأبي مِحْجَن الثقفي ، ١٥٥٠ لأبي الهندي ، ١٥٥١ لأبي الهندى أيضًا ، ١٥٥٢ لآخر (وهى للأخطل) ، ١٥٥٣ لأفعى بن جناب ، ١٥٥٤ لبعض أولاد الزبير بن العوام ، ١٥٥٥ لأبي مِحْجَن الثقفي ، ١٥٥٦ لحسان بن ثابت ، ١٥٥٧ لحسان أيضًا ، ١٥٥٨ للنعمان بن عدى ، ١٥٥٩ للأُقَيْشِر ، ١٥٦٠ ليزيد بن معاوية الأموي ، ١٥٦١ للرقاشى ، ١٥٦٢ لأبي نواس ، ١٥٦٣ لأبي نواس أيضًا ، ١٥٦٤ لأبي نواس أيضًا ، ١٥٦٥ لأعشى بكر ، ١٥٦٦ بدون نسبة ، ١٥٦٧ لأبي نواس .

ثم يعقبها بخمسة أبيات للقُحَيْف مطلعها :

لَعَمْرِي لقد أَمْسَتْ حَنِيفَةُ أَيْقَنَتْ بأنْ ليس إلا بالرِّماحِ عِتابُها

فإلى جانب فخر كل شاعر بقومه وما أنزلوه بأعدائهم ، فإن كلا المطلعين لا يجعل « عتاب » قبيلة الشاعر بالكلمات ، فبشار يجعل عتاب قومه بالسيوف ، والقُحَيْف يجعل عتاب قومه بالرماح .

أو قد يكون إلى جانب تشابه المعنى بين القطعتين توافق في الدافع إلى نظمهما ، فمثلا رقم : ١٤٥ في باب الحماسة لسَلَمَة بن مُرَّة الشيباني ، قدَّم لها البصري بقوله : وكان أسر امرأ القيس بن عمرو ، وكان سَلَمَة قصيرا ، فأطلَق امرأ القيس على الفِداء . فلما جاء يطلبه ، نظرت إليه بنت امرئ القيس « فاحتقرته » لقِصَرِه فقال :

ألا زَعَمَتْ بنتُ امرئ القيسِ أنني قَصِيرٌ . وقد أَعْيا أباها قصيرُها

ثم أعقبها البصري بأبيات لنَضْلَة السُّلَمِيّ وصدرها بقوله : « وكان حقيرا دميما » ، وكلا الرجلين يفخر بنفسه وقوته واستعلاء من هو أوفي منهما طولا وأجمل سمتا ، فلا يَغُرَّنَّك قصرهما ودمامتهما[1] .

---

(١) لمزيد من الأمثلة عن هذا التشابه انظر رقم : ٨٥٥ ، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، في باب النسيب (٣: ٨٩٥- ٩٨٨) وفيها جميعًا يتحدث الشعراء عن شوقهم الذي أثاره لمعان البروق . وانظر أيضًا في نفس الباب القطع : ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، وفيها تهييج الحمام ونوحه أشواق الشعراء، وفي باب الملح والمجون (٤: ١٦١٦) ثلاث قطع متتالية برقم : ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤ يرى الشعراء أنفسهم ملوكًا من سمادير السُّكْر . وفي باب السير والنعاس (٤: ١٥٥١) أربعُ قطعٍ متتالية برقم : ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٧٧٠، ١٧٧١ تتحدث جميعًا عن رجال في أجواز الصحراء توسدوا أذرعهم أو أذرع ناقتهم حين حانت وَقْعَتُهم . هذه أمثلة قليلة جدًّا ، اكتفيت بها للدلالة من أبواب مختلفة .

وهناك نوع آخر - إلى جانب التشابه العام - خفِيّ دقيق من التلاؤم يحتاج إلى إعمال الفكر وإنعام النظر، فالقطعة رقم: ١٥٢ من باب الحماسة للأَشْتَر النَّخَعِيّ يقول فيها:

بَقَّيْتُ وفْرِي وانْحرَفْتُ عن العُلا ولقيتُ أضيافي بوَجْهِ عَبُوسِ

إن لمْ أَشُنَّ على ابنِ حَرْبٍ غارةً لمْ تَخْلُ يومًا مِن نِهاب نُفوسِ

تأتي بعدها أبيات أبي علي البَصير، منها:

أكْذبْتُ أحسنَ ما يَظُنُّ مُؤَمِّلي وهَدَمْتُ ما شادَتْه لي أَسْلافِي

إنْ لم أَشُنَّ على عَلِيٍّ حُلَّةً تُضْحِي قَذًى في أَعْيُنِ الأَشرافِ

فإلى جانب التشابه البيّن، فبينهما أيضا توافق دقيق، فالكلام فيهما خرج مَخْرَج الخبر، ولكن القصد به الدعاء على النفس إن تهاون الشاعر في الانتقام من عدوِّه.

وقد يكون هذا التشابه تشابها عكسيا، إن صح التعبير. فيختار معنى من المعاني يعقبه بمعنى مضاد له، فمثلا يختار لعامر بن الطُّفَيْل ثلاثة أبيات في باب الحماسة رقم: ١٥٥ (١: ٢٣١) وهي:

وإنّي وإن كنتُ ابنَ فارس بُهْمَةٍ وفي السِّرِّ منها والصَّرِيح المُهَذَّبِ

فما سَوَّدَتْني عامِرٌ عن كَلالةٍ أَبَى اللَّهُ أن أَسْمُو بأُمٍّ ولا أبِ

ولكنني أَحْمِي حِماها، وأَتَّقِي أذاها، وأَرْمِي مَن رَماها بمِقْنَبِ

ثم يتلوها بيتان لبَشامَة بن الغدير:

وَجَدْتُ أبي فيهم وجِدِّيَ قَبْلَهُ ... يُطاعُ ويُؤْتَى أَمْرُهُ وهو مُحْتَبِ

فلَمْ أتعَمَّدْ للرياسةِ فيهمُ ... ولكنْ أَتَتْنِي طائِعًا غيرَ مُتْعَبِ

فعامر يفتخر ببيته وشرفه وسيادته ، ولكن ينفي أن تكون هذه السيادة لمناقب جَدٍّ أو أمجادِ والدٍ ، بل لما اتصف به من خلال جعلت منه سيدا ورئيسا لقومه ، مانعا لحوْزَتهم ، أما بَشامَة فلم يَسْعَ مَسْعاة آبائه ولم يتعمل للسيادة ، فقد كفَوْه إياها فتردّاها .

ومثال آخر من باب الصفات (٤ : ١٥٣٧) يختار بيتين برقم : ١٤٥٤ لابن مُقْبِل يقدّم لهما بقوله : « يصف شِدة الحَرّ » ، وهما :

إذا ظلّتْ العِيسُ الخَوامِسُ والقَطا ... معًا في هِدالٍ يَتْبَعُ الريحَ مائِلُهْ

تَوَسَّدَ أَلْحِى العِيسِ أجنحةَ القطا ... وما في أداوَى القومِ خِفٌّ صَلاصِلُهْ

ثم يعقبها ببيتين يقدّم لهما بقوله : « وقال أبو ذؤيب الهذلي في البرد وشدته » ، وهما :

وليلةٍ يَصْطَلِي بالغَرْثِ جازِرُها ... ويَخْتَصُّ بالنَّقَرَى المُثْرِينَ داعِيها

لا ينبحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ ... من العِشاءِ ولا تَسْرِي أَفاعِيها

وواضح من تقديمه لهما أنه قصد إلى ذلك قصدا ، فنصَّ على التضاد في المعنى [1] .

---

(١) انظر مثالًا آخر قبل هاتين القطعتين برقم : ١٤٥٢، ١٤٥٣، أولها عن انقشاع السنة المجدبة ، وثانيها عن استمرار السنة المجدبة .

وهذا التضاد في المعنى قد يكون ردا من شاعر ينقُض أو يخطّئ ما قاله شاعر آخر ، فمثلا يختار في باب النسيب (٣: ١٢٥٨) بيتين برقم : ١١٤٥ لزهير بن جَناب ، وهما :

إذا ما شئتَ أن تَسْلُو حَبيبًا فأكْثِرْ دونه عَدَدَ الليالي

فما سَلَّى حبيبَكَ مِثْلُ نَأْيٍ ولا أَبْلَى جديدَكَ كابتذالِ

فيعقبه بردّ شاعر آخر لم ير ما رأى زهير بن جَناب ، فقال :

لقد أكثرتُ في عددِ الليالي وخِلْتُ بأنني أَنْسَى الحَبيبا

فلمْ تُفِدِ النَّوَى غيرَ اشتياق رأيتُ للفظه مَعْنًى عجيبا

ولعله هنا متأثر بأبي تمام ، وسأشير إلى أمثلة أخرى من هذا التأثر فيما يأتي بعد . فمثلا مقطوعة إسحق بن خلف رقم : ٨٥ (شرح المرزوقي ١: ٢٨٢) وهي غير منسوبة عنده جعلها في باب الحماسة ، وليست منه ، فالشاعر مشفق على ابنته ، يخشى أن يموت قبلها ، فيتنكَّر لها العَمُّ ويجفوها الأخ . وهذه المعاني تُضادّ أبيات عمرو بن شأس السابقة عليها ، ويبرّر المرزوقي وضعها في باب الحماسة بقوله : « وهذه الأبيات مع ما يشبهها لما ضادَّت ما قبلها في تضمنها رِقَّة القلب والتعطُّف على الولد والأهل أتبعها بها . وكل ذلك كالعارض ثم يعود إلى ما بني عليه الباب ، وهذا عادة أبي تمام في أبواب هذا الاختيار » .

ولاهتمام البصري باختيار أشعار آخِذٌ بعضها برقاب بعض من حيث المعاني ، قد يختار قطعة ليست من الباب الذي يختار له ، ولكنه يضعها فيه لما بينها وبين ما قبلها أو ما بعدها من المشاكلة ، فقد مرّ بنا أنه اختار في باب النسيب خمس قطع

متتالية (٨٥٥- ٨٥٩) يتحدث فيها الشعراء عن شوقهم الذي هاجه لمعان البرق ، ثم نراه يعقبها ببيتين يصدرهما بقوله : « وقال أعرابي قُدِّم لتُضْرَب عُنُقُه :

تأَلَّق البرقُ نَجْدِيًّا فقلتُ له يا أيُّها البَرقُ إني عنك مَشْغُولُ

أليس يكفيكَ هذا ثائرٌ حَنِقٌ في كَفِّه صارِمٌ كالمِلْح مَسْلُولُ

فالأعرابي هذا كان من الخوارج ، أُتي به إلى عبد الملك بن مروان ، فأمر بضرب عنقه ، فلما قُدّم لتُضْرَب عنقه تألَّق البرق فقال هذا الشعر . فالشعر ليس من النسيب في شيء ، ولكن لاهتمام البصري بالمعاني المتشابهة سلك هذا الشعر في باب النسيب ؛ لأن القطع السابقة عليه تذكر كلها لمعان البروق .

وفي هذا السياق قد يروق البصريَّ معنى جزئيٌّ متضمن في بيت مفرد في باب ما فيختاره ، رغم أن الأبيات عامة لا تنسلك في هذا الباب ، ولكن لما كان هذا المعنى الجزئي يوافق ما اختاره قبله ؛ وضعه في هذا المكان . فمثلا جعل أبيات عنترة اللامية في باب الحماسة (رقم : ٣٩) ، وأعقبها بأبيات زهير بن أبي سلمى القافيّة . وأبيات عنترة فَخْر لا شك فيه ، وخليقة أن تكون في هذا الباب ، أما أبيات زهير فهي مدح بلا امتراء ، وحقها أن تكون في باب المديح ، ولكنه وضعها في باب الحماسة بعد أبيات عنترة لموقع هذا البيت فيها :

يَطْعُنُهم ما ارتَمَوْا ، حتى إذا اطَّعَنُوا ضارَبَ ، حتى إذا ما ضارَبُوا اعْتَنَقا

وهو ما عبر عنه عنترة بقوله :

إن يُلْحَقُوا أَكْرُرْ ، وإنْ يَسْتَلْحِمُوا أَشْدُدْ ، وإنْ نزلوا بضَنْكٍ أَنْزِلِ

فهنا تماثل بين البيتين ، فعنترة ، وكذلك هَرِم الذي يمدحه زهير - إذا فعلَ

أعداؤه كذا فَعَل كذا ، ثم لا تشابه وراء ذلك ، فأبيات عنترة فخر خالص وأبيات زهير مديح محض .

وقد يتعدّى المعنى إلى التشبيهات التي أبرزت هذا المعنى ، فمثلا يختار في باب النسيب قطعتين متتاليتين في ابتسامة المرأة ، ولكنه يحرص على شيء يربط بينهما ، فوق ما بينهما من رابطة ، إذ إنهما تتحدثان عن ابتسامة المرأة ، هذا الشيء هو تشبيه ابتسامة المرأة بوميض البرق ، فرقم : ١٠١١ (٣: ١١٣٣) لأبي العَمَيْثَل فيها هذا البيت :

كأنّ وَمِيضَ البَرْقِ بَيْني وبينَها   إذا حان مِن بيْنِ السُّتور ابتسامُها

ورقم : ١٠١٢ منها :

فخلت وميض البرق عند ابتسامها   وقد حال دونَ الثَّغْر منها نِقابُها

وكذلك القطعتان التاليتان لهما ، رقم : ١٠١٣، ١٠١٤، في أولاها يشبّه سَلْم الخاسِر بشرة المرأة وتألقها بالشمس المنيرة ، وكذلك فعل طرفة بن العبد قبله في معلقته في قوله : « ووَجْهٍ كأنَّ الشمسَ » .

والبصري ، في اهتمامه بالمعاني قد يختار من قصيدة ما أبياتا يسلكها في باب من الأبواب ، ثم يعود إليها في باب آخر فيختار منها أبياتا أخرى ؛ فمثلا اختار من معلقة الأعشى أبياتا في الحماسة ، رقم : ١٧٨ (١: ٢٧٠) ، ثم اختار منها أبياتا في باب النسيب برقم : ٨٥٠ (٣: ٩٨١) . واختار من ميمية حسان أبياتا في الحماسة برقم : ١٠٧ (١: ١٦١) ، ثم أبياتا أخرى في باب النسيب برقم : ٨٤٢ (٣: ٩٧٣) . واختار من قافية الشماخ أبياتًا في باب المديح برقم : ٣٠٣

(١: ٤٤٠) ، ثم أبياتا في باب النسيب برقم : ٩٩٦ (٣: ١١٢١) . واختار من يائية ذي الرمة أبياتا في باب المديح برقم : ٤٢٧ (١: ٥٧٧) ، ثم أبياتًا منها في باب النسيب برقم : ١٠٩٠ (٣: ١٢٠٢) . بل قد يختار من قصيدة ما في أكثر من بابين ، فاختار مثلا من معلقة طرفة أبياتا في باب الحماسة برقم : ١٨٣ (١: ٢٦٥) ، ثم أبياتا منها في باب الأدب برقم : ٧٤١ (٢: ٨٨٦) ، ثم أبياتًا أخرى في باب النسيب برقم : ١٠١٤ (٣: ١٠٣٥) .

ب – تشابه الأسلوب :

قد يختار البصري قطعا متتالية لتشابهها في طرق التعبير عن معنى معين ، أو بمعنى أدق لاستعمال الشاعر كلمات معينة ، فالقطعة رقم : ٣٧٢ في باب المديح (١: ٥٢٢) للبيد بن ربيعة ، فيها هذا البيت :

وبنو الدَّيَّان لا يَأْتُون « لا » وعلى أَلْسُنِهم خَفَّت « نَعَمْ »

بعدها بيتان هما :

لَزِمْتَ « نَعَمْ » حتى كأنكَ لم تَكُنْ بِـ « لا » عارِفًا في سالفِ الدهر والأُمَمِ

وأنكرتَ « لا » حتى كأنكَ لم تكُنْ سَمِعْتَ من الأشياء شيئا سِوَى « نَعَمْ »

أعقبهما بأبيات لأبي دَهْبَل الجُمَحِيّ ، ثانيها :

متقارِبٌ بِـ « نَعَمْ » ، بِـ « لا » مُتباعِدٌ سِيَّانِ منهُ الوفْرُ والعَدَمُ

فواضح أن الشعراء الثلاثة في هذه القطع ينفون عن ممدوحيهم أنهم يعرفون كلمة « لا » ، فهم لا يردُّون سائلا أبدا ، وإنما جوابهم إذا سئلوا شيئا « نعم » أبدا .

وهو هنا أيضا في اهتمامه باختيار الأشعار التي تتشابه في طرق التعبير ، قد يسلك في الباب ما ليس منه ، فاختار أبياتا نونية رقم : ٨٧١ لجَحْدَر العُكْلِي في باب النسيب (٣: ٩٩٧) ، فيها هذان البيتان عن الحمامة :

تَجاوَبتا بلَحْنٍ أَعْجَمِيّ   على غُصْنَيْنِ مِن غَرَبٍ وبانِ
فكان البانُ أنْ بانَتْ سُلَيْمَى   وفي الغرب اغترابٌ غيرُ دانِ

أعقبها ببيتين صدَّرهما بقوله : وقال الآخر في معناه :

رأيتُ غُرابا ساقِطًا فوق هَضْبة   مِن القَضْبِ لم يَنْبُتْ له وَرَقٌ نَضْرُ
فقلتُ : غرابٌ لاغترابٍ ، وقَضْبَةٌ   لقَضْب النَّوَى ، هَذِي العِيافةُ والزَّجْرُ

فالقطعة الثانية ليست من النسيب في شيء ، وإنما هذا رجل يرى غرابا فوق قضبة فيتشاءم ، وكذلك كانوا يفعلون . ولكن لما تشابه هذا التعبير مع ما جاء في أبيات جَحْدَر السابقة جعل البيتن بعدها مباشرة ، وصرَّح بهذا التشابه ، فكلمة « معناه » هنا لا تعود إلا على هذا التشابه في طرق التعبير . فليس هناك خلاف ذلك ، أي تشابه بين هذين البيتين وأبيات جَحْدَر .

جـ - الشعراء :

قد يختار البصريُّ لشعراء بينهم صلة ما قِطَعًا متتالية ، كأن يكونوا من عصر واحد ، فرقم : ١٨١ لِخداش بن زهير ، ١٨٢ لعَبيد بن الأبرص ، ١٨٣ لطَرَفة ، وكلهم جاهليون ، أويختار لشعراء تجمع بينهم سِمة تؤلف بينهم ، فرقم : ٢٣٠ للسُّليْك بن السُّلَكَة ، ٢٣١ لعُرْوَة بن الوَرْد ، ٢٣٢، ٢٣٣ لعُبَيْد بن أيوب ، ٢٣٤

لعمر بن بَرَّاقَة ، ٢٣٥ لعُرْوَة بن الوَرْد ، ٢٣٦ لأبي النَّشْناش ، وجميعهم من الشعراء الصعاليك ، ورقم : ٤٩٦ لجنوب الهذلية ، ٤٩٧، ٤٩٨ للخنساء ، ٤٩٩ لعَمْرَة الخَثْعَمِيَّة ، ٥٠٠ لصفية الباهلية ، ٥٠١ للخِرْنِق ، ٥٠٢ لامرأة ، ٥٠٣ لزهراء الكلابية ، ٥٠٤ لفاطمة بن الأَحْجَم ، ٥٠٥ للخِرْنِق ، ٥٠٦ لليلى بنت طريف ، فهذى إحدي عشرة قطعة متتالية لشواعر . أو قد يختار لشاعر وابنه مثل رقم : ٢٨٦ لأمية بن أبي الصلت في باب المديح (١: ٤١٦) ، وتأتي بعدها أبيات يصدّرها البصري بقوله : « وقال وَلَدُه القاسمُ بن أمية » . وقُل مثل ذلك في قطعة المُمَزِّق الحضْرمي برقم : ١٣٠٦ من باب الهجاء (٣: ١٣٩٠) يعقبها البصري بقطعة يقدّم لها بقوله : « وقال المُخَرِّقُ وَلَدُه » وفي بيتها الأول يشير المُخَرِّق إلى أبيه مُتَّبعا نهجه في « تمزيق وتخريق » أعراض اللئام . ولا شك عندي أن البصري جعل القطعتين في نسق لهذا التشابه أيضا بين الأب والابن :

أنا المُخَرِّق أعراضَ اللِّئامِ كما كان المُمَزِّقُ أَعْراضَ اللئامِ أبي

وقد يختار لشاعر واحد عدة قصائد أو قطع متتالية ، وهذا كثير عنده شائع ، سأكتفي بمثال واحد ، ويأتي غيرَه في تضاعيف كلام مُقْبِل ، فقد اختار لامرئ القيس في باب الحماسة أربعة أبيات من لاميته في هجاء بني أسد برقم : ١٠٤، أعقبها بثلاثة وعشرين بيتا من رائيته التي قالها في خروجه إلى قيصر ، ثم أتبعها بثلاثة وثلاثين بيتا من لاميته المشهورة (الخالي) .

د – تداخل الشعر :

قد يختار أبياتا لأنها تتداخل في أبيات أخرى بحيث يصعب الفصل بينهما ، فأورد أبيات الفرزدق الميمية المشهورة في مدح علي بن الحسين في باب المديح

برقم: ٢٧٨ (١: ٤٠٧)، ومطلعها:

هذا الذي تَعِرفُ البَطْحاءُ وَطْأَتَه والبَيْتُ يعرفه والحِلُّ والحَرَمُ

وأتى بعدها بأبيات الحزين الكِناني في مدح عبد اللّه بن عبد الملك، وأولها:

قالوا دمشقَ فإنّ الخَيِّرِينَ بها ثم ائْتِ مِصْرَ، فثَمَّ النائِلُ العَمَمُ

فبعض أبيات هاتين القصيدتين تتداخل تداخلا شديدا، بل وتتداخل بعض أبياتها مع أبيات من قصيدة داود بن سَلْم في مدح قُثَم بن العباس، وهو تداخل قديم أشار إليه أبو الفرج، قال: والناس يروون هذين البيتين (يعني البيتين: ٤، ٥ من أبيات الحزين الكِناني) للفرزدق في أبياته التي يمدح بها عليّ بن الحسين التي أولها: هذا الذي تعرف ...، وهذا غلط ممن رواهما فيها. ثم أورد سبعة أبيات ناسبا إياها للفرزدق (وهي الأبيات ١- ٤، ٦ مع آخر من قصيدة الفرزدق هنا في الحماسة البصرية، وقال: مِن الناس مَن يروي هذه الأبيات لداود بن سَلْم في قُثَم بن العباس، ومنهم مَن يرويها لخالد بن يزيد فيه. ثم أورد أربعة أبيات تُنْسَب لداود (وهي الأبيات: ٧، ٥، ٤ مع آخر من أبيات الحزين هنا في البصرية: ٢٧٩)، وقال: الصحيح أنها للحزين في عبد اللّه بن عبد الملك[1].

ولا أشك أن البصري اختار هاتين القصيدتين وجعلهما في نسق للاختلاط الذي وقع بينهما كما حاولت بيانه، انظر ص ١٨ أ، وإن لم يصرِّح بذلك التداخل وترك لنا استنباطه في المواضع السابقة، فقد أعفانا من النظر في موضع آخر فصرّح بهذا التداخل، فأورد بيتين لعليّ بن عَلْقَمة برقم: ١٠٧٠ في باب النسيب (٣:

---

(١) الأغاني ١٥: ٣٢٧- ٣٢٩.

١١٧٩) قدّم لهما بقوله : « وبعضهم يجعلها من قصيدة وَرْد الجَعْدِيّ » ، ويورد بعدها برقم : ١٠٧١ سبعة أبيات لِوَرْد ، أولها :

خليليَّ عُوجا بارك اللّهُ فيكما وإنْ لم تكُنْ هِنْدٌ لأَرْضِكما قَصْدا

هـ – تشابه الأماكن :

قد يختار قطعتين متتاليتين ، لأن الشاعرين ذكرا في كل منهما مكانا واحدا بعينه ، فاختار ثلاثة أبيات من دالية جميل برقم : ٨٦٠ في باب النسيب (٣: ٩٨٨) ، أولها :

ألا إنّ نارًا دُونَها رَمْلُ عالِجٍ وهَضْبُ النَّقا مِن مَنْظَرٍ لَبعيدُ

أعقبها بثلاثة أبيات لقيس بن الملوَّح ، أولها :

وإني لنارٍ دونها رَمْلُ عالِجٍ على ما بعَيْنِي مِن قَذًى لَبَصيرُ

فواضح إلى جانب النظر إلى النار الذي يَحُول رمل عالج دون رؤيتها ، أن القطعتين أيضا لشاعرين عُذْرِيَّيْن . وهذا يقودنا إلى ملاحظة أخرى تتعلق بأوجه التشابه بين الأشعار التي يختارها البصري ، فإننا نجد أحيانا أكثر من وجه للتشابه بين القطع المتتالية ، فمثلا رقم : ٦٤ للطِّرِمَّاح في باب الحماسة ، ورقم : ٦٥ لعُبَيْد ابن أيوب ، بينهما أكثر من وجه من وجوه التماثل ، فلا يقتصر التشابه على المعنى فقط ، وهو وصف إنسان مُضيَّق عليه حتى صارتِ الأرض على سعتها « كِفَّة حابِل » ، بل يتعدى إلى تشابه البحر والقافية ، يقول الشماخ :

ملأتُ عليه الأرضَ حتى كأنها مِن الضِّيقِ في عَيْنيه كِفَّةُ حابِلِ

ويقول عُبَيْد :

كأنَّ بلادَ اللَّهِ ، وَهْيَ عريضةٌ   على الخائفِ المطرودِ كِفَّةُ حابِلِ

ومن أوضح الأمثلة على ذلك أربع قطع متتالية في باب الرثاء لعاتِكةَ بنت نُفَيْل ، الأولى برقم : ٤٥٤ (٢ : ٦٠٦) في رثاء زوجها عبد اللَّه بن أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه ، والثانية في رثاء زوجها عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه ، والثالثة في رثاء زوجها الزُّبَيْر بن العَوّام رضي اللَّه عنه ، والرابعة في رثاء زوجها الحسين بن علي رضي اللَّه عنه . فالقطع الأربع جميعا لشاعرة واحدة . ومِثْل ذلك أيضا أبيات أبي مُكْنِف التي أوردها في باب الرثاء برقم : ٥٢٠ ، (٢ : ٦٩١) ، وأولها :

أَبَعْدَ أبي العباسِ يُسْتَعْتَبُ الدهرُ   وما بَعْدَه للدهر عُتْبَى ولا عُذْرُ

أتبعها بأبيات أبي تمام الرائية المشهورة في رثاء محمد بن حُمَيْد ، وأولها :

كذا فليَجِلَّ الخَطْبُ وليَفْدَحِ الأَمْرُ   فليس لعيْنٍ لمْ يَفِضْ ماؤُها عُذْرُ

وجاء في نسخة ٤ (عاشر أفندي) : إلى هذه الأبيات (يعني أبيات أبي مُكْنِف السابقة) نظر أبو تمام في رثاء محمد بن حُمَيْد ، وهو قول خلت منه نسخة راغب باشا التي اتخذتها أصلا ، فالمصنف هنا لا يشير - في ظني - إلى مجرد التشابه بين قطعة أبي مُكْنِف وقصيدة أبي تمام من حيث كونهما في الرثاء وعلي وزن واحد ورويّ واحد ، وإنما أيضا إلى شيء خفِيّ آخر ، وهو أن أبياتا منهما تتداخل في شعر الرجلين ، ولهما خبر مشهور ، فقد ذكر دِعْبِل أن أبا تمام سرق أكثر قصيدة أبي مُكْنِف وأدخلها في رائيته (الأغاني ١٦ : ٣٩٦ - ٣٩٧) ، وجعل

مكان « بني القَعْقاع » : بني نَبْهان ، وأبدل باسم ذُفافة محمدا (الوساطة : ١٩٤ ، تهذيب ابن عساكر ٤ : ٢٦) . قال الحسن بن وهب : أما قصيدة مُكْنِف فأنا أعرفها ، وشعر الرجل عندي . وقد كان أبو تمام يُنشدنيه . وما في قصيدته شيء مما في قصيدة أبي تمام . ولكن دِعبلا خلط القصيدتين إذ كانتا في وزن واحد وكانتا مرثيتين ، ليكذب على أبي تمام (أخبار أبي تمام : ٢٠١) .

وظني أيضا أنه أورد أبيات يحيى بن زياد الحارثي العينية المشهورة : برقم : ٥١٧ في باب الرثاء ، التي أولها :

نعى ناعِيا عمرٍو بلَيْلٍ فأَسْمَعا　　　فَراعا فؤادًا كان قِدْمًا مُرَوَّعا

وأعقبها بأبيات أبي تمام في نفس الموضوع ، وهو الرثاء ، وعلى نفس الوزن وعلى نفس الروِيّ ، ومطلعها :

أَصَمَّ بك الناعِي وإنْ كان أَسْمَعا　　　وأَصْبَحَ مَغْنَى الجودِ بَعْدَكَ بَلْقَعا

أقول : أوردهما متعاقبتين لا لمجرد التشابه الذي أشرت إليه معنًى ووزنا وقافية ، ولكن لأن بيتا بعينه يوجد في كل منهما ، وهو :

وما كنتَ إلا السيفَ لاقَى ضريبةً　　　فقطَّعَها ثم انْثَنَى فتَقَطَّعا

تقولها في موضوع واحد ، وفي أحداث متشابهة ، وعَقَّب البصري على آخر قطعة بقوله : « وهؤلاء قُتِلوا عنها جميعا . فكان عبد اللّٰه بن عمر يقول : من أراد أن يُرْزَق الشهادة فليتَزوَّجْ عاتِكَة بنت نُفَيْل » .

والاختيار عند البصري يتسم بالسعة والشمول ، ولعله في ذلك متأثّر بأبي تمام ، فيجعل في باب الحماسة مثلا كل ما يتصل بالقوة والشدة والصلابة والصمود

والصبر والأنفة . وليس لزاما أن يكون الشعر فَخْرا وتَبَجُّحا ، فمثلا مقطوعة عُبَيْد بن أيوب رقم : ٦٠ ، وهي :

كأن بلادَ اللَّهِ، وَهْيَ عريضةٌ   على الخائفِ المَطْرودِ كِفَّةُ حابِلِ
يُؤَتَّى إليـهِ أنّ كُـلَّ ثَـنِيَّـةٍ   تَـطَلَّـعَـها تَرْمِي إليه بقـاتِلِ

فالبيتان ليسا من الحماسة في شيء ، ولا يفخر الشاعر هنا ببأسه وقوته ، ولكنه يصوّر نفسية رجل خائف مذعور ، يُعاني شِدة ويُقاسي بلاء ، يتخيل مطاردا يسعى إلى قتله خلف كل جبل وتلّ ، حتى ضاقت عليه الأرض وصارت – على سعتها – ككِفَّة الصَّائد (أي حِبالته) . فلِما فيها من معاني الشدة جعلها في باب الحماسة . ولعله في ذلك – كما قلت – متأثر بأبي تمام ، ففي حماسته بشرح المرزوقي تجد أن القطع رقم : ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠ لرجال فارقوا أوطانهم وروّعهم البَيْن ، حتى أَلِفُوا الغُرْبَة ، وهان ما يُجِدّ به الزمان لما أصابهم قِدْمًا من حَدَثانه ، وعلّق المرزوقي على هذه القطع بقوله : « وهذه المقطوعات بما اشتملت عليه من الفظاظة والقَسْوَة ، وذِكْر قِلّة الفِكْر في الأوطان والأحِبَّة ، وتَناسِي العهود والأَذِمَّة ، ومفارقة الأماكن المألوفة ، والحِلَل الموردة ، وشكوى النفس إلى التَّنائي والغُربة ، دخلت في باب الحماسة ، وبمثل هذه المناسبة دخل فيه كثير من نظائرها » .

وقل مثل ذلك في البصرية رقم : ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١ يتحدث أصحابها فيها عن فرارهم – وليس الفرار من الشجاعة والحماسة في شيء – ولكنهم فرّوا لما اصطلوا حَرّ القتال ، ورَأَوْا أنهم هالكون لا محالة . فلهذه الشدة التي عانَوْها ولهذا المأزِق الذي كاد يُودِي بهم ، جاز وضع هذه القطع في باب الحماسة . وقصيدة عَبْد يَغُوث اليائية المعروفة في رثاء نفسه ، جعلها البصري في

الحماسة برقم: ١٩٨، ومطلعها:

ألا لا تلوماني كَفَى اللَّوْمَ ما بِيا ... فما لكُما في اللَّوْم خَيْرٌ ولا لِيا

ولكن البصري وضع قصيدة مالك بن الريب اليائية المشهورة التي يرثى فيها نفسه في باب الرثاء برقم: ٦١٧ (٢: ٧٧٤) . وكلتا القصيدتين تتحدث عن شيء واحد، وهو تفجُّع الشاعر على نفسه حين اقتراب الأَجَل، ومن ثَم صلحت قصيدة مالِك أن تكون في باب الرثاء. ولكن لما كان في قصيدة عبد يَغُوث من الأَزْل واللأواء، وضيق الحَبْس وذُلّ الأَسْر، وشماتة الأعداء، وما فيها من تحسّر على الحياة التي خاض فيها غمار الحروب، وكَرَّ الخيولِ، وسَبَأَ الزِّقاقِ، أقول: لما كان فيها كل هذا وضعها في باب الحماسة.

ومثال آخر من باب الأدب لهذه السَّعَة والشمول في الاختيار هو لامية العرب برقم: ٦٤٩ حيث أورد منها عشرة أبيات. وبالرغم مما يشيع في هذه القصيدة البالغة من الشدة والبأس، والأَنَفة والشموخ، والتجلد والصبر، والحزم والعزم، فلم يجعلها البصري في باب الحماسة. وإنما صيّرها في باب الأدب لأنها تعبر عن مثالية رفيعة وخُلق كريم. ونُبْل سام، سعى العرب في جاهليتهم وإسلامهم إلى التحلِّي بها، ووجدوا في هذه القصيدة جِماع ما أَجَلُّوا وعَظَّمُوا فوسموها باسمهم. وأراني في غير حاجة إلى بيان هذه الصفات فقد كفاني مئونة ذلك أستاذي الجليل العلامة الدكتور شوقي ضيف في الفصل الذي حلَّل فيه تحليلا دقيقا قيِّمًا المُثُل التي جاهد العربي في السعي إليها واكتسابها[1] .

(١) انظر ذلك في كتاب «إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين»، طبع دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢، ص: ١٨١، ١٩٢.

وبعد ، فأرجو أن أكون قد وُفِّقت في بيان منهج البصري في اختياراته . ولا أدعي أنه لم يحد عن ذلك مطلقًا ، ولكن ما أقوله : هو أن له منهجا حاول الالتزام به – وإن تنكَّبه مرات – فجعل بين كل قطعتين على الأقل وشيجة ما ، نَصّ على ذلك أحيانا ، وأهمله كثيرا ، وترك لنا عبء الاستنباط والنظر . ولأنه يصدر عن منهج واع نراه إذا وضع أبياتا في غير بابها نبّه على ذلك ، وذكر الغرض من ورائه . فمثلا رقم : ٣٤٤ للفرزدق جعلها في باب المديح ، وليست منه في شيء ، وأولها :

وركْبٍ كأنّ الريحَ تُطْلَبُ عِنْدهمْ ... لها تِرَةٌ مِن جَذْبِها بالعصائِبِ

ولكنه جعلها في هذا الباب لارتباطها بمقطوعة نُصَيْب التي قبلها ، وأولها :

أقول لركبٍ صادِرِينَ لَقِيتُهُمْ ... قِفَا ذاتِ أوشال ومَوْلاكَ قاربُ

لذلك علق عليها قائلا : « وإنما لم تُذْكَر هذه الأبيات في باب الأضياف لأجل قصتها مع نصيب لما أنشده الشعر الذي قبله » ١: ٤٨٨.

وهذه القصة التي يشير إليها أوردها المبرد (الكامل ١: ١٨٤) ، ومؤداها أن الفرزدق دخل على سليمان بن عبد الملك ، فقال له : أَنْشِدْني ، وإنما أراد أن ينشده مديحا فيه . فقال الفرزدق الأبيات البائية التي أشرت إليها (رقم : ٣٤٤) ، فَتَمَعَّر وجه سليمان وأَرْبَد لما ذكر الفرزدقُ أباه غالِبا وافتخر به . فوثب نُصَيْب فقال : ألا أنشدكَ على رَوِيّه ما لا يقصر عنه ؟ وأنشد سليمان هذه الأبيات .

وقد حاولت قدر ما وسعني في الصفحات السابقة أن أُبِين عن منهج البصري في اختياراته ، وهو يقوم أساسًا على تماثل الأشعار في المناحي التي فصلت القول فيها ، واكتفيت بأمثلة قليلة قوية الدلالة على كثير غيرها . ولاشك أن ما اختاره

نابع من تذوقه للشعر وإحاطته به ، ويشهد المجموع على سَعَة اطلاع البصري و كثرة مصادره ، فحفظ لنا بذلك أشعارا ضاع مُستقاها . وعندي أنه قد وُفِّق في اختياراته ، لذا وجدت ما قاله الدكتور عز الدين إسماعيل جِدَّ غريب ، قال : « يمكننا أن نلاحظ في حماسة البصري أن فكرة الاختيار لم تتحقق دائما بمعناها الأول ، وهو أن تكون النماذج المختاره ممثلة لمستوى فني رفيع . وذلك أننا كثيرا ما نصطدم في مختارات البصري بنماذج غثة من الشعر ، أو من مستوى لا يدل على الاقتدار والابتداع والأصاله . مثال ذلك الحماسية رقم : ٢٥٤ من باب النسيب والغزل ، وهى مجهولة المؤلف : يقول صاحبها :

لَيْلُ المُحِبِّين مَطْويٌّ جَوانِحُهُ ... مُشَمِّرُ الذَّيْل مَنْسوبٌ إلى القِصَرِ
ماذاك إلا لأنّ الصُّبْحَ يَحْسُدُهمْ ... فأطلع الشمس من غَيْظٍ على القمرِ

أو قول شاعرٍ آخر مجهول (الحماسية رقم : ٥٣ من باب السير والنعاس) :

أتيْتُ مُهاجِرينَ فعَلَّمُوني ... ثلاثةَ أَسْطُرٍ مُتتابعاتِ
كتابُ اللَّهِ في رَقٍّ جديدٍ ... وآياتُ القُرانِ مُفَصَّلاتِ
وخطُّوا لي أَباجادٍ وقالوا ... تَعَلَّمْ سَعْفَصًا وقُرِيِّشاتِ
فما لِي والكتابةَ والتَّهَجِّي ... وما حَظُّ البَنِينَ مِن البناتِ

وغير ذلك من الشعر الهابط كثير »[(١)] . البيتان الأولان (القِصَرِ) ، وهما وإن

---

(١) المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربى ، من : ١٢٠- ١٢١ . ويشير الأعرابي في البيت الثالث إلى ترتيب الحروف : أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، تخذ ، ضظغ .

وردا في الحماسة البصرية بدون نسبة، فهما للخباز البلدي في ديوانه (ص: ٣٣)، وهما يعبران عن أسلوب الخباز في شعره، وإذا نظرنا إليهما في ضوء المنهج الذي اتبعه البصري في اختياره والقائم على الإتيان بالأشعار المتماثلة في نسق، وجدناهما في حاق موضعهما، فهما يعقبان بيتين لبشار بن برد لجأ فيهما إلى استعارة الصباح ووجه الظلام مجازا واتساعا.

أما الأبيات الأربعة التائية المنسوبة لأعرابي، فهي في باب المُلَح والمجون، وهو باب خلت منه كل الحماسات السابقة على حماسة البصري، أورد فيه مُلَحا عدة من نوادر الأعراب الذين أتَوْا الحَضَر فجبههم ما لم يألفوا، فكرهوا ما رأَوْا. ومن طريف ما ذُكِر أن أعرابيا دخل الحَمَّام، فسقط، فشَجَّ رأْسَه، فقال:

وقالوا تَطَّهَرْ إنه يومُ جُمْعَةٍ فرُحْتُ مِن الحَمَّامِ غيرَ مُطَهَّرِ
تَزَوَّدْتُ منه شَجَّةً فوقَ مَفْرِقي بفَلْسَيْنِ، إنِّي بئسَ ما كان مَتْجَرِي
وما تُحْسِنُ الأعرابُ في السوقِ مِشيَةً فكيْفَ ببيْتٍ مِن رُخامٍ ومَرْمَرِ

وأبيات الأعرابي التائية التي استهجنها الدكتور عز الدين إسماعيل غاية في الظرف والدلالة على نفسية الأعراب وموقفهم من الحضر، وهذه الأبيات لها خبر مع عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فقد لقي هذا الأعرابيّ، فقال له: أتُحْسِن القرآنَ؟ قال: نعم. فقال عمر: فاقرأْ أُمَّ القرآن. فقال الأعرابى: والله ما أُحْسِن البناتِ، فكيفَ الأمّ؟ فأسلمه عمر إلى الكُتّابِ، فمكث فيه، ثم هرب، وقال هذه الأبيات التائية [انظر التاج (هـ ر ب)].

٥- توثيق الحماسة البصرية :

عندما صنَّف البصري حماسته عرضها على كبار الأدباء والعلماء والنحويين في عصره فأثنوا عليها بالغ الثناء وقارنوا بينها وبين ما سبقها من حماسات خاصة حماسة أبي تمام، والبحتري، وابن الشجري، بل عارضوها بكتب الاختيارات عامة كالمفضليات والأصمعيات.

يقول الملك الناصر داود بن عيسى : « من أعمل الفكْرَ وأنعمَ النظر في تصفُّح هذه الحماسة المحتوية على دُرَر منظومة، ومن أسرار المعاني على سِرَر مختومة، فوجد جامعها غوّاص بَحْر وفياض بَرّ ...، وأجاد الانتقادَ والانتقاء من لآلئ مكنونة، تَستفتِح النواظرُ بلمَحات سِلْكها، ونوافح مصونةٍ تستروِحُ الخواطرُ بنفحات مِسْكِها. كلها في الحُسْن نظائر، وبعضُها لبعض ضَرائر » [1] .

ويقول الصاحب كمال الدين بن العديم « طالعتُ هذه الحماسةَ البصرية مطالعةَ بصير مُنْتَقِد، وتأمّلتها تأمُّل خبير معتقِد، فألفيْتُ مؤلفها الشيخ - الأَجَلَّ الكبير، الفاضل العالم الكامل، جامعَ أشتات الفضائل، المتميِّز بنعم علوم الجلائل، صدر الدين، بهاء الإسلام والمسلمين، جليس الملوك والسلاطين، لسانَ الأدب، وحُجّة العرب، الراقي في مدارج العلوم إلى أعلى الرتب - أبا الحسن عليّ ابن أبي الفرج بن الحسن البصري، أدام اللّٰه الإمتاع بفوائده، قد كساها من حُسْن الاختيار بِزّة رفيعة، وأبدع فيما أودع فيها مُلَح الأشعار الرائقة البديعة ...، فلله دَرُّه من كتاب سَحَر الألباب، وجَمَع الصواب، واشتمل على مصائد الشواهد

(١) انظر التقريظ الأول بآخر الكتاب ٤ : ١٧٥٨- ١٧٥٩.

واحتوى ، وانتهل من موارد الفضل وارتوى . الفضل ملء إهابه ، والحسن حَشْوُ ثيابه ، وكل الآداب دون آدابه . لو قارب عصره ابن قُرَيْب[1] لأقرَّ لاختياره بالنقص والعيب . ولو عرفه المفضّل[2] لاعترف أنه على كتابه المفضَّل ولو ناظره حبيب[3] لنظر أنه إلى حماسته غير مصيب . ولو شاهده أبو عبادة[4] لشهد له بالتقدُّم والإجادة »[5] .

ويقول الشيخ كمال الدين بن طلحة الفقيه المحدِّث : « أحضر إليّ هذه الحماسةَ الحاسِمَةَ طمعَ مُباريها ، والجازمةَ حركة مُجارِيها ، الحاكمة بفضل مُنْشئها وباريها . وعرضها عليّ ناظِم دُرَر عقودها ، وراقم حِبْر بُرُودِها ، الصدر الكبيرُ الأجلّ الأوحد ، العالم الفاضل ، المِدْرَه المفوّه ، صدر الدين ، بهاء الإسلام ، وجمال الفضلاء ، شرف العلماء ، تاج الأدباء ، جلال الكبراء أبو الحسن علي بن أبي الفرج ابن الحسن البصري ...، فلو شاجرها ابن الشجري لألصقه انتظامها بالرَّغام ، أو فاخرها أبو تمَّام لأزرى تمامُها بأبي تمَّام »[6] .

وهكذا تمضي بقية التقاريظ ، اكتفيت فقط ببعض أجزاء ثلاثة منها ، ولا تختلف التقاريظ التسعة الأخرى عن هذه الثلاثة ، فكلها تشيد بفضل البصري وسعة اطلاعه وتقدمه على سابقيه من أصحاب الاختيارات . وليس فوق هذا توثيق

---

(١) ابن قُرَيْب ، يعني الأصمعي ، واختياره الأصمعيات .
(٢) المفضل ، يعني المفضل الضبي وكتابه المفضّليات .
(٣) حبيب ، يعني أبا تمام ، وكتابه الحماسة .
(٤) أبو عبادة ، يعني البحتري ، وكتابه الحماسة .
(٥) التقريظ الثاني ٤ : ١٧٦٠- ١٧٦١.
(٦) التقريظ الثالث ٤: ١٧٦٢- ١٧٦٣.

لنص الحماسة . وكلهم معاصرون له ، وتقريظ الملك الناصر داود بن عيسى ، والشيخ كمال الدين بن طلحة – مؤرخان – عام سبعة وأربعين وستمائة ، وهو العام الذي صنّف فيه البصري فيما أرجّح النسخة الأولى من الحماسة البصرية ، وقد دفعه هذا الثناء الذي تضوّعت به التقاريظ على إعادة النظر في الحماسة بالتنقيح والزيادة مرتين ، فكانتِ النسخة الأولى المزيدة في عام ٦٥١هـ ، والنسخة الثانية عام ٦٥٤هـ ، كما سأبين فيما بعد عند الكلام على نسخ الحماسة البصرية وكما قرأ معاصرو البصري حماسته ، قرأها من جاء بعدُ من العلماء وأفادوا منها . ونقلوا عنها ؛ منهم :

ابن شاكر الكتبى (ت٧٦٤هـ) ، نقل عنها في حوادث سنة ١١٨هـ وفي مواضع أخرى متفرقة .

والعيني (ت٨٥٥هـ) ، نقل عنها في ١: ٣٦٩، ٢: ٢٣٥، ٥٣٩، ٣: ٢٧٩. والسيوطي (ت٩١١هـ) نقل عنها في ٢٢، ٣٠، ٦٢، ١٥٥، ١٧٥، ١٨٩، ٢٤١، ٣٠٠، ٣٢٠.

والبغدادي (ت١٠٩٣هـ) نقل عنها في (طبعة المرحوم عبد السلام هارون) ١: ٢٢، ٢: ٢٨٩، ٣: ٣٢، ٤٢، ١٢٣، ٥: ١٩٤، ٦: ١١٦، ٤٧٣، ٧: ٤٨٨، ٨: ٤٣٥، ١١: ٣٠١، ٤٥٢، ٤٥٦، وكل ذلك في الخزانة ، شرح أبيات مغني اللبيب ٥: ١٤٥ نقل القطعة رقم: ٢٦٩ من باب الحماسة .

والغريب أن كل هؤلاء المؤلفين لم يذكروا مرة واحدة اسم مصنف الحماسة البصرية ، وإنما يشيرون إليه بـ « صاحب الحماسة البصرية » . ونحن لا ندفع وجود

مثل هذه العبارة عند الإشارة إلى المؤلفين من حين إلى حين ، ولكن من المثير للدهشة أن يطَّرد هذا الاستعمال عندهم جميعا على اختلاف عصورهم .

٦- أهمية الحماسة البصرية :

تُعَد الحماسة البصرية أضخم الحماسات جميعا ، تكاد قصائدها ومقطوعاتها تبلغ ضعف ما احتفظت به حماسة أبي تمام (٨٨١ قصيدة ومقطوعة) . وقد اعتمد البصري على كتب ومجاميع ودواوين معروفة لنا ، وأخرى لا نعرفها ، سقطت من يد الزمن ، حفظ لنا البصري أشعارا منها لولا حماسته لما عرفناها ، كما حفظ لنا روايات مختلفة لأشعار معروفة ، وأبياتا زائدة مما في قصائد الدواوين .

أولا : الأشعار التي تضمنتها الدواوين ومجاميع الأشعار عن الحماسة البصرية : ديوان الدمينة ، في صلته ثمان قطع عن الحماسة البصرية ، كلها من باب النسيب وهي رقم : ٨٦٤ (دليلُ) ، ٨٦٥ (يَلْمحُ) ، ٩٧١ (غَنَّتِ) ، ٩٧٣ (نتكلَّمُ) ، ٩٩٣ (هجانِ) ، ١٠١٢ (خضابُها) ، ١٠٣٩ (مَدْمَعا) ، ١٠٦٩ (تقاليا) .

ديوان المُثَقِّب العَبْدِي ، في زياداته قصيدته الرائية رقم : ٥٠ (ازورارُ) ، عن الحماسة البصرية .

ديوان الأَفْوَه الأَوْدِي ، في ديوانه الرائية المشهورة رقم : ١٠٩ (دُوارُ) في باب الحماسة .

ديوان أوس بن حجر ، في صلة ديوانه بيتان عن الحماسة رقم : ٣٨٣ (تَجَرَّدا) في باب المديح .

ديوان زيد الخيل ، به خمسة أبيات عن الحماسة البصرية برقم : ١٦٦ (الهِلالِ) ، ورقم : ١٦٧ بيتان (الصيداءِ) ، كلاهما في باب الحماسة .

ديوان كعب بن زهير ، في صلته أربعة أبيات عن الحماسة برقم : ٣٩٥ (الفَضْلُ) ، في باب المديح .

شعر عمرو بن الأهتم ، فيه بيتان عن الحماسة البصرية في باب الحماسة برقم : ١٩٩ (تَأَزَّرا) .

ديوان الحطيئة ، في زياداته ثلاثة أبيات عن الحماسة البصرية في باب المديح برقم : ٣٤٩ (بَسَّامِ) .

شعر زياد الأعجم ، فيه بيتان عن الحماسة البصرية في باب الحماسة برقم : ١١ (الجموعِ) ، أربعة أبيات في باب الأضياف برقم : ١٢١٥ (أَشْقَرُ) ، بيتان في باب الهجاء برقم : ١٣٠٣ (نُجومُ) .

شعر الحارث المخزومي ، به ثلاثة أبيات عن الحماسة البصرية في باب النسيب برقم : ٦٨١ (يَبِيدُ) .

شعر الأَشهب بن رُمَيْلَة ، به بيتان عن الحماسة البصرية في باب الحماسة برقم : ٢٠٠ (جُهَّالِ) ، بيتان في باب المُلَح برقم : ١٥٠٠ (وحَرّ) .

شعر الرمّاح بن ميَّادَة ، به بيتان عن الحماسة البصرية في باب الحماسة برقم : ٢٠٤ (تَفُورُ) ، بيتان (المُكاشِحِ) في باب النسيب برقم : ٨٨٨، ثلاثة أبيات فيه أيضا برقم : ١٠٦٥ (القلانس) .

شعر مالك بن الريب ، به بيتان عن الحماسة البصرية في باب المديح برقم :

٣٤١ (كَثِيرُ) .

شعر العُدَيْل بن الفَرْخ ، به بيتان عن الحماسة البصرية في باب الأدب برقم : ٦٦٠ (صِفْرا) .

ديوان القُطامِيّ ، في زياداته خمسة أبيات عن الحماسة البصرية في باب المديح برقم : ٣٣٦ (غارِم) بيتان في باب الأدب برقم : ٦٩٢ (يَطْمَعُ) .

ديوان الشماخ ، فيه أربعة أبيات عن الحماسة البصرية في باب الصفات برقم : ١٤١٥ (شِمْلالِ) .

ديوان تميم بن أُبَيّ بن مقبل ، فيه ثلاثة أبيات عن الحماسة البصرية ، في باب النسيب برقم : ١٠٣٢ (يَنْفَعُ) .

شعر الأُقَيْشِر ، فيه بيتان عن الحماسة البصرية في باب النسيب برقم : ٨٨٩ (وَدُودِ) .

شعر يزيد بن مُفَرِّغ ، فيه بيتان عن الحماسة البصرية في باب الهجاء برقم : ١٣٣٠ (زيادِ) .

شعر عبد اللّه بن جعفر الطالبي ، فيه سبعة أبيات عن الحماسة البصرية برقم : ٧٧٣ في باب الأدب (مُكْتَئِبا) .

شعر يزيد بن معاوية ، فيه خمسة أبيات عن الحماسة البصرية برقم : ٩١٦ في باب النسيب (أَشْدُو) .

ديوان جميل بن معمر ، فيه بيتان عن الحماسة البصرية في باب النسيب برقم : ١٠٠٨ (جَمِيلُ) ، بيتان فيه أيضا (سنَتُوبُ) برقم : ١٠٨٠ ، وفيه أيضا أربعة

أبيات برقم : ١١٦١ (صَبْرِى) .

ديوان المجنون ، فيه خمسة أبيات عن الحماسة البصرية في باب النسيب برقم : ١٠٣٦ (ذُنُوبُها) .

ديوان ذي الرُّمة ، فيه بيتان عن الحماسة البصرية في باب النسيب برقم : ١٠٥٣ (طَلِيقُ) .

شعر يزيد بن الطَّثْرِيَّة ، فيه ثلاثة أبيات عن الحماسة البصرية في باب النسيب برقم : ١٠٦٧ (العُيُونُ) .

ديوان قيس بن ذريح ، فيه ثلاثة أبيات عن الحماسة البصرية في باب النسيب برقم : ١١٧٩ (تَبِينُ) .

ديوان جرير (طبعة نعمان طه) ، فيه بيتان عن الحماسة البصرية في باب الهجاء برقم : ١٢٦٩ (عَمْرُو) .

شعر سويد بن كُراع ، به ثلاثة أبيات عن الحماسة البصرية في باب الحماسة برقم : ١٢٦ (الذَّكرا) .

شعر أبي الهندي ، به ثلاثة أبيات عن الحماسة البصرية في باب الملح والمجون برقم : ١٥٥٠ (سَعْدُ) .

شعر العَتَّابي ، به بيتان عن الحماسة البصرية في باب الزهد برقم : ١٦٢٩ (عَوائِرُ) .

شعر مروان بن أبي حَفْصَة ، به خمسة أبيات عن الحماسة البصرية في باب الرثاء برقم : ٥٣٤ (المَقَابِرُ) .

شعر سَلْم الخاسِر ، به أربعة أبيات عن الحماسة البصرية في باب الرثاء برقم : ٥٤٦ (المَقابِرُ) .

شعر أَشْجَع السُّلَمى ، به بيتان عن الحماسة البصرية في باب الرثاء برقم : ٥٨٧ (فَقِيدِ) .

شعر العَكَوَّك (علي بن جَبَلَة) ، به بيتان عن الحماسة البصرية في باب المديح برقم : ٣٦٣ (تَنْصدعُ) ، ثلاثة أبيات في باب المُلَح والمجون برقم : ١٤٩١ (قِفِ) .

ديوان دِعْبِل الخزاعى ، به بيتان عن الحماسة البصرية في باب المديح برقم : ٣٩٧ (قَدَمُ) ، بيتان في باب الهجاء برقم : ١٢٧٧ (مُقِيمُ) .

ثانيا : الأشعار المنسوبة لشعراء لهم دواوين ، ومجاميع شعرية أَخَلَّت بها هذه الدواوين والمجاميع :

أربعة أبيات لأبي دؤاد الإيادي في باب الأدب برقم : ٧٣٠ (عُتُوقي) .

ثلاثة أبيات لبشر بن أبي خازم في باب الحماسة برقم : ١٨٦ (ذِمامِ) .

بيتان للبيد بن ربيعة في باب الزهد برقم : ١٦١٦ (الذِّمَمِ) .

بيتان لجِـران العَوْد في باب السَّيْر والنُّعاس برقم : ١٤٦٨ (الشدائدُ)

بيتان في باب مذمة النساء برقم : ١٣٧٩ (النَّمِرْ) .

ثلاثة أبيات في زيادات نسخة عاشر أفندي (ع) في باب مذمة النساء برقم : ١٦٨٨ (العاجِلِ) .

بيتان لأبي الأَسْوَد الدُّؤَلِي في زيادات نسخة عاشر أفندي (ع) في باب النسيب برقم: ١٦٦٩ (تَهُونُ).

ثلاثة أبيات للأُقَيْشِر في باب النسيب برقم: ٨٩٠ (تجِدانِ).

ثلاثة أبيات لجرير في باب الأدب برقم: ٨٣٣ (الوَفاءُ).

بيتان للأعشى، ربيعة بن نجوان في باب الهجاء برقم: ١٣٥٩ (النَّهَلِ).

بيتان لعدِيّ بن الرِّقاع في باب المديح برقم: ٣٤٧ (مُنْخَدِعِ).

بيتان لجميل بن مَعْمَر في باب السَّيْر والنُّعاس برقم: ١٤٨٥ (المَنْظَرِ).

بيتان لزياد الأعجم في باب الأضياف برقم: ١١٩٨ (نُباحِ).

ثلاثة أبيات للأُبَيْرِد الرِّياحِي في باب الأدب برقم: ٧٠٣ (واصِفُ).

بيتان لعمارة بن عَقِيل في باب الرثاء برقم: ٥٥٠ (إِفْضالِ).

أربعة أبيات للقتَّال الكلابي في باب الأدب برقم: ٦٤٠ (مَشْهُورِ).

بيتان لابن قيس الرُّقيّات في باب المديح برقم: ٣١٩ (عُيُونُ).

بيتان للأخطل في باب المديح برقم: ٣٩٦ (كَتائِبُهْ)،

بيتان في باب الزهد برقم: ١٦١٣ (تَأْمَنَنْها).

بيتان لمسلم بن الوليد في باب الأدب برقم: ٧٤٥ (تُرْكَبِ).

أربعة أبيات لديك الجن في باب الرثاء برقم: ٥٨٥ (تَمُوتِينا)

خمسة أبيات في باب الرثاء أيضا برقم: ٦٠٥ (دُمُوعِ)

بيتان في زيادات نسخة نور عثمانية (ن) في باب السير برقم : ١٧٠٨ (مُشْرِفَهْ) .

أربعة أبيات للعَتَّابي في باب الهجاء برقم : ١٣٦٦ (يَذِيمُها) .

بيتان لبشار في باب المُلَح والمجون برقم : ١٥٠٨ (الخَبيثُ) .

ثالثا : الأشعار التي بها زيادات عما في الدواوين والمجاميع وكتب الأدب :

رقم : ٢٧٥ في باب المديح ، لم يرد البيت الثاني منها في جيمية الشماخ ، وزاده المحقق عن الحماسة البصرية .

رقم : ٣٠٠ لطفيل الغنوي في باب المديح (حادِيها) ، لم يرد البيت الثاني منها في ديوانه .

رقم : ٣٢٨ لعمرو القنا في باب المديح ، خمسة أبيات (العُودُ) ، لم يرد منها في شعر الخوارج سوى ٤، ٥، ٣.

رقم : ٤٢٠ للفضل بن العباس في باب الأدب ، ستة أبيات (المُطَّلِبْ) لم يرد منها في مجموع شعره سوى الأبيات : ٦، ١، ٢.

رقم : ٥٠٧، عينية أبي ذؤيب المشهورة (يَجْزَعُ) ، الأبيات : ١٥- ١٨ في شعره عن الحماسة البصرية في باب الرثاء .

رقم : ٦٩٠ لحاتم الطائي ، بيتان (تُوقَدُ) في باب الأدب ، ثانيهما فقط في ديوانه .

رقم : ٩٤٧ لأبي عدِيّ العَبْلِيّ ، ثلاثة أبيات (أَوَّلِ) في باب النسيب ، الثالث

منها لم يرد في أي مصدر .

رقم : ٩٨٠ لابن الدُّمَيْنَة ، ثمانية أبيات (حَزِينُ) في باب النسيب ، الأربعة الأوَل فقط في ديوانه ، والأخرى عن الحماسة البصرية .

رقم : ٩٩٠ لشقيق بن سُلَيْك ، أحد عشر بيتا (وَحْدِي) في باب النسيب ، لم يرد منها إلا الأبيات : ١- ٤ في الزهرة والنِّثار .

رقم : ١٠٧٨ ليوسف بن يعقوب القرشي ، ستة عشر بيتا (شُئُونُ) في باب النسيب ، لم يرد منها إلا الأبيات : ٥، ١٢- ١٦ في معجم الشعراء : ٥٠٢.

رقم : ١١٩٤ للفرزدق ، خمسة أبيات (أَوْلَقُ) في باب الأضياف ، لم ترد في ديوانه .

رقم : ١٢٩٦ لمسلم بن الوليد ، بيتان (عَبْقَرُ) في باب الهجاء ، الثاني منهما فقط في صلة ديوانه : ٣٢١.

رقم : ١٤٤٩ لديك الجن ، ثلاثة أبيات (مُنْغَمِسُ) في باب الصفات والنعوت ، أخلّ بها ديوانه في طبعتيه .

رقم : ١٤٧٥ لجَحْدَر العُكْلِيّ ، سبعة أبيات (مَفْصِلِ) في باب السير والنعاس ، لم ترد في أي مصدر آخر ، وألحقها عبد المعين الملوحي في كتابه عن أشعار اللصوص ، وأضاف إليها تسعة أبيات عن مجموعة المعاني .

رقم : ١٥٩٩ للنابغة الجعدي ، ستة أبيات (انْجَبَرْ) في باب الزهد ، لم ترد الأبيات الثلاثة الأولى في ديوانه ، ولم أرها في أي مصدر آخر .

رقم : ١٦٠٠ لعَدِيّ بن زيد ، ستة أبيات (الأَمَلْ) ، ليس في ديوانه منها غير

البيتين : ٤، ٥.

رقم : ١٦٤٦، لديك الجن ، ثلاثة أبيات (بِلادُ) في زيادات نسخة عاشر أفندي (ع) في باب الحماسة ، لم يرد في ديوانه (طبعة المَلُّوحِي : ٣٦) إلا الأول فقط .

رقم : ١٦٧٠، لزهير بن أبي سلمى ، ثلاثة أبيات (للذُّنُوبِ) في زيادات نسخة عاشر أفندي (ع) في باب النسيب ، الأوَّلان فقط في ديوانه : ٢٣٢، ٢٣٣.

رابعا : الأشعار التي لم أجدها في أي مصدر آخر . وأنا هنا على شفا حفرة أو صعيد زلق ، فقد اجتهدت ما وسعني الجهد سنينا طوالا في تخريج الشعر . ولا أَدَّعي – ولا لأحد بَعْدي أن يدعي ، فقد ادَّعى قبلي كثيرون – أني أحطت بكل شيء خُبْرا ، وأني خرّجت الشعر تخريجا ، فلا مَزِيد لمستزيد . لذلك احترزت وقلت : « لم أجدها » ، ولم أقل « غير موجودة » ، فلا شك أن بعض هذه الأشعار موجودة لم أقف عليها لعدم التنبه ، أو لاكتنانها في مخطوط من آلاف المخطوطات التي لم تنشر . « وعليّ أن أَسْعى وليس عليَّ إدراكُ النجاح » .

رقم : ١٥، خمسة أبيات للقُرحَيْف بن خُمَيْر (عِتابُها) في باب الحماسة .

رقم : ٢٣، بيتان غير منسوبين (الخُضْرِ) في باب الحماسة .

رقم : ٣١، أربعة أبيات لذُؤَيْب بن حاضِر التَّنُوخِيّ (الحَزْمِ) في باب الحماسة .

رقم : ٤٦، أربعة أبيات لثابت قُطْنَة (يَتَقَدَّمُ) في باب الحماسة .

رقم : ٨٥، خمسة أبيات غير منسوبة (المَضارِبِ) في باب الحماسة .

رقم : ٢٠٩، أربعة أبيات لبعض اللصوص (الرِّجالِ) في باب الحماسة .

رقم : ٢٢٠، ثلاثة أبيات غير منسوبة (تَوَقَّدُ) في باب الحماسة .

رقم : ٢٣٢، بيتان غير منسوبين (لُوَّما) في باب المديح .

رقم : ٣٧١، بيتان لآخر في خالد بن عبد اللّٰه القَسْرِي (الدَّهْرِ) في باب المديح .

رقم : ٣٧٥، ثلاثة أبيات لآخر (الجُودُ) في باب المديح .

رقم : ٣٧٨، بيتان لآخر (الذِّكْرِ) في باب المديح .

رقم : ٣٧٩، خمسة أبيات لمَارِح بن مُهاجِر (الرِّحابُ) في باب المديح .

رقم : ٣٩٤، بيتان لعمرو بن العاص يمدح عليّا رضي اللّٰه عنه ! (شَرابُ) في باب المديح .

رقم : ٤٧٥، أربعة أبيات لآخر (الإظْلامِ) في باب الرثاء .

رقم : ٤٧٩، أربعة أبيات لآخر (راغِبُ) في باب الرثاء .

رقم : ٥٢٨، بيتان لشُقْران العُذْري (سُجُومُ) في باب الرثاء .

رقم : ٥٤٣، أربعة أبيات لمُرّة بن مالك العُذْري (غُرامُها) في باب الرثاء .

رقم : ٥٤٨، ستة أبيات لكعب بن جُعَيْل (البَدْرا) في باب الرثاء .

رقم : ٥٥٠، بيتان لعمارة بن عقيل (إِفْضَالِ) ، ليسا في ديوانه ، والبيت : ٢ في المحاضرات ، أما الأول فلم أجده في أي مكان آخر . وهما في باب الرثاء .

رقم : ٥٥١، بيتان للضحّاك بنِ عُقَيْل (المحُولُ) في باب الرثاء .

رقم : ٥٥٣، أربعة أبيات للغَطَمَّش الضَّبِّي (الدَّهْرُ) في باب الرثاء .

رقم : ٥٥٥، بيتان لآخر (تَطِيبُ) في باب الرثاء .

رقم : ٥٦٥، بيتان لآخر (يَجُورُ) في باب الرثاء .

رقم : ٥٧٣، بيتان لامرأة من بني عُذْرة (شَزْرِ) في باب الرثاء .

رقم : ٥٧٤، أربعة أبيات لآخر (اتِّفاقِ) في باب الرثاء .

رقم : ٥٨٦، ثلاثة أبيات لآخر (التَّخَضُّعا) في باب الرثاء .

رقم : ٥٨٨، بيتان لآخر (المُتَبَدِّدِ) في باب الرثاء .

رقم : ٥٩٠، بيتان لمحمد بن يزيد الأموي (تَجْرِي) في باب الرثاء .

رقم : ٦٣٣، عشرة أبيات لآخر أو للزُّبَيْر بن عبد المطلب (العَسِيرُ) في باب الأدب .

رقم : ٦٥٢، بيتان غير منسوبين (مُحْسِنُ) في باب الأدب .

رقم : ٦٧٧، بيتان لآخر (حاجِبُ) في باب الأدب .

رقم : ٦٨٩، بيتان لآخر (الخَبَرُ) في باب الأدب .

رقم : ٦٩١، بيتان لعبد اللّٰه بن عبد السلام (زُحَلِ) في باب الأدب .

رقم : ٦٩٣، بيتان لكعب بن بِلال (مُوجَعِ) في باب الأدب .

رقم : ٧٠٢، ثلاث أبيات لآخر (لَئِيمِ) في باب الأدب .

رقم : ٧٠٦، بيتان لعُمَيْر بن مِقْدامِ الأَسَدى (راقِدِ) في باب الأدب .

رقم : ٧٣٣، بيتان لآخر (البُغاثُ) في باب الأدب .

رقم : ٧٣٩، بيتان لآخر (قَدَحُوا) في باب الأدب .

رقم : ٧٤٣، بيتان لآخر (الهَجْرِ) في باب الأدب .

رقم : ٧٤٤، بيتان لآخر (الطَّرِيقُ) في باب الأدب .

رقم : ٧٥٨، أربعة أبيات (أتكَلَّمُ) في باب الأدب .

رقم : ٨٠٥، بيتان لآخر (اللَّعِبِ) ، في باب الأدب .

رقم : ٨١٧، بيتان لآخر (يَخُونُ) في باب الأدب .

رقم : ٨٢١، بيتان لآخر (الكَذِبُ) في باب الأدب .

رقم : ٨٢٩، ثلاثة أبيات لعُيَيْنَة بن هُبَيْرَة (الشدائِدِ) في باب الأدب .

رقم : ٨٣٥، بيتان لأبي جلدة اليَشْكُرِي (جَزَعا) في باب الأدب .

رقم : ٨٥٠، أربعة أبيات لآخر (نَسِيبُ) في باب النسيب .

رقم : ٨٨٥، بيتان لآخر (الرَّكائبُ) في باب النسيب .

رقم : ٨٩٢، بيتان لآخر (بَعِيدُ) في باب النسيب .

رقم : ٩١٢، بيتان لابن عَجْلان النَّهْدِي (يَمُوتُ) في باب النسيب .

رقم : ٩٥٠، بيتان لمَرّار بن هَبَّاش الطائي (دائيا) في باب النسيب .

رقم : ٩٦٠، بيتان للصِّمَّة القُشَيْرِي (مَلاعِبُ) في باب النسيب .

رقم : ٩٦٨، بيتان لآخر (سِلْمُ) في باب النسيب .

رقم: ٩٧٥، بيتان لآخر (يَغْرَقُ) في باب النسيب .

رقم: ٩٧٩، أربعة أبيات لآخر (قادِرُ) في باب النسيب .

رقم: ٩٩٥، لسالِمَة الكَلْبِيَّة (قَبْلِي) في باب النسيب .

رقم: ١٠٠٢، بيتان لآخر (يجِميلِ) في باب النسيب .

رقم: ١٠٠٤، ثلاثة أبيات لعَبَدَة بن الطَّبِيب (تَقفانِ) في باب النسيب .

رقم: ١٠٢٤، بيتان لبعض قيس بن ثعلبة (الوسائِلُ) في باب النسيب .

رقم: ١٠٤٦، بيتان بدون نسبة (القُرْبِ) في باب النسيب .

رقم: ١٠٤٩، بيتان لمرَّة بن منقذ (وجلان) في باب النسيب .

رقم: ١٠٥٤ بيتان لتَوْبَة بن الحُمَيِّر (تَقاضِيا) في باب النسيب .

رقم: ١٠٦٦، بيتان لآخر (طِماحُ) في باب النسيب .

رقم: ١٠٧٢، ستة أبيات لمُحْرِز العُقَيْلِي (الذَّمِيمِ) في باب النسيب .

رقم: ١٠٨١، ثلاثة أبيات لآخر (جَحاجِح) في باب النسيب .

رقم: ١٠٨٢، ثلاثة أبيات لآخر (واجِبُ) في باب النسيب .

رقم: ١٠٨٤، أربعة أبيات لآخر (فاعِلُ) في باب النسيب .

رقم: ١٠٩٣، بيتان ليزيد الغواني (دَبِيبُ) في باب النسيب .

رقم: ١٠٩٨، بيتان لآخر (رَيّا) في باب النسيب .

رقم: ١١٣٢، أربعة أبيات لأبي هِفَّان (عاتِبِ) في باب النسيب .

رقم: ١١٤٦، بيتان لآخر (الحَبِيبا) في باب النسيب .

رقم: ١١٥٧، بيتان لرَيّا العُقَيْلِيَّة (هُبوبُها) في باب النسيب .

رقم: ١١٨٤ خمسة أبيات لابن حكيم اللَّيْثي (مُظْلِمُ) في باب الأضياف .

رقم: ١١٨٦، بيتان لآخر (خَمِيصُ) في باب الأضياف .

رقم: ١١٩٠، بيتان لأخر (الغَلَيانِ) في باب الأضياف .

رقم: ١١٩٢، ثلاثة أبيات لابن مُطَرِّف (مَنافِ) في باب الأضياف .

رقم: ١١٩٣، ثلاثة أبيات لآخر (صَباحِ) في باب الأضياف ، ورد البيت الثالث منها في المحاضرات ١: ٤٠٥ منسوبا لكعب الأشقري ، وليس في مجموع شعره في الجزء الثاني من « شعراء أمويون » .

رقم: ١٢٠٤، بيتان لآخر (واجبُ) في باب الأضياف .

رقم: ١٢١٢، أربعة أبيات للهُذَيْل بن مُجاشِع (حَليمُ) في باب الأضياف .

رقم: ١٢١٣، خمسة أبيات لبُرْد بن حابِس (هجاها) في باب الأضياف ، ورد الأول منها فقط في المحاضرات ١: ٤١٠.

رقم: ١٢١٦، بيتان لآخر (تُخَدَّرُ) في باب الأضياف .

رقم: ١٢١٧، بيتان لقِرْواش بن هانئ (صَباحِ) في باب الأضياف .

رقم: ١١٢٩، أربعة أبيات لبُهلُول بن الغِطْرِيف المازني (اسْتِعارُ) في باب الأضياف .

رقم: ١٢٣٣، بيتان لآخر (الذُبابِ) في باب الهجاء .

رقم : ١٢٣٩، بيتان لآخر (السِّماكِ) في باب الهجاء .

رقم : ١٢٤٣، بيتان لآخر (رِياشِ) في باب الهجاء .

رقم : ١٢٤٧، بيتان لحُرَيْث بن مُحَفِّض البَجَلِيّ (خاطِبا) في باب الهجاء .

رقم : ١٢٥٣، بيتان لظَفَر بن مُحارِب الكلبي (والِدُهْ) في باب الهجاء .

رقم : ١٢٥٨، بيتان لآخر (جَذْبِ) في باب الهجاء .

رقم : ١٢٦٥، بيتان لمليك بن العَجْلان التَّميمي (مُظْلِمُ) في باب الهجاء ، جاء الثاني منهما في العقد الفريد ٥ : ٣٠٢.

رقم : ١٢٦٦، بيتان لآخر (ضَلالُها) في باب الهجاء .

رقم : ١٢٦٧، ثلاثة أبيات لآخر (التَّلَدُّدِ) في باب الهجاء .

رقم : ١٢٨٨، بيتان لآخر (مُعَلَّقُ) في باب الهجاء .

رقم : ١٢٩٥، أربعة أبيات لآخر (مُقَصِّرُ) في باب الهجاء .

رقم : ١٣٠٠، بيتان لآخر (الرُشْدُ) في باب الهجاء .

رقم : ١٣٠٢، ثلاثة أبيات لآخر (مُقيمُ) في باب الهجاء .

رقم : ١٣٠٤، ثلاثة أبيات لآخر (الغَمِّ) في باب الهجاء .

رقم : ١٣٢٢، بيتان لآخر (خَلِيقا) في باب الهجاء .

رقم : ١٣٢٦، بيتان لآخر (جُدُودُ) في باب الهجاء .

رقم : ١٣٢٧، ثلاثة أبيات لآخر (عَرِيضُ) في باب الهجاء .

رقم : ١٣٣٢، بيتان لآخر (جارا) في باب الهجاء .

رقم : ١٣٣٣، ثلاثة أبيات (الجَمِيلِ) في باب الهجاء .

رقم : ١٣٣٤، بيتان للحارِث بن نُفَيْح (الأَسْعُدِ) في باب الهجاء .

رقم : ١٣٣٥، بيتان للضَّحّاك بن عُقَيْل الكلابي (طارُوا) في باب الهجاء .

رقم : ١٣٦٠، بيتان لآخر (الضَّبُعُ) في باب الهجاء .

رقم : ١٣٦٥، بيتان لهُبَيْرَة بن الصَّلْت الرَّبَعِي (ناعِلِ) في باب الهجاء .

رقم : ١٣٧٦، ثلاثة أبيات لآخر (أَذَى) في باب مذمة النساء .

رقم : ١٣٩٤، بيتان لآخر (لَوْنِ) في باب مذمة النساء .

رقم : ١٣٩٧، بيتان لآخر (الرِّزْقِ) في باب مذمة النساء .

رقم : ١٤٠٧، بيتان لأحمد بن خَلَف (مُقَدَّمُ) . في باب الصفات .

رقم : ١٤٣١، خمسة أبيات لجرير بن الحكَم (البلاقِعُ) في باب الصفات .

رقم : ١٤٥٠، ثلاثة أبيات للخثعمي (الجَوْهَرِ) في باب الصفات .

رقم : ١٤٥٢، بيتان لآخر (عُهودُها) في باب الصفات .

رقم : ١٤٥٣، بيتان لآخر (مُحْتَجبا) في باب الصفات .

رقم : ١٤٥٦، بيتان لآخر (الطَّمَعُ) في باب الصفات .

رقم : ١٤٦٤، بيتان لآخر (هُدْهُدا) في باب الصفات .

رقم : ١٤٦٦، بيتان لآخر (نَزُورِ) في باب الصفات .

رقم: ١٤٦٩، أربعة أبيات لأُحَيْمر بني سعد (وِسادِي) في باب السَّيْر والنُّعاس.

رقم: ١٤٧٣، بيتان لآخر (السُّمر) في باب السَّيْر والنُّعاس.

رقم: ١٤٧٦، بيتان لآخر (الكواكبِ) في باب السَّيْر والنَّعاس.

رقم: ١٤٧٧، بيتان لآخر (دَلِيلُها) في باب السَّيْر والنُّعاس.

رقم: ١٤٨٦، بيتان لآخر (يَرُومُ) في باب السير والنُّعاس.

رقم: ١٤٨٧، بيتان لآخر (الرَّدَى) في باب السَّيْر والنُّعاس.

رقم: ١٥٠٥، بيتان لآخر (عَجُوزِ) في باب المُلَح والمجون.

رقم: ١٥١٦، رجز لآخر (مُحَنْدِسِ) في باب المُلَح والمجون.

رقم: ١٥١٩، بيتان لآخر (اللِّقاحِ) في باب المُلَح والمجون.

رقم: ١٥٢٧، ثلاثة أبيات لعَقِيل بن عُلَّفَة (لِئامُ) في باب المُلَح والمجون.

رقم: ١٥٣٣، بيتان لأعرابي (أَطْيَبُ) في باب المُلَح والمجون.

رقم: ١٥٣٤، بيتان لأعرابي (تُعَلَّمُ) في باب المُلَح والمجون.

رقم: ١٥٦١، ثلاثة أبيات للرَّقاشي (أقْداحِ) في باب المُلَح والمجون.

رقم: ١٥٧٩، رجز لأمّ فَرْوَة (الثَّرْوَهْ) في باب ما جاء من مُلَح الترقيص.

رقم: ١٥٨٤، رجز لامرأة من قيس كُبَّة (المحَبَّهْ) في باب ما جاء من ملح الترقيص.

رقم: ١٥٨٥، رجز للأحوص ! (المَنْسَبَهْ) في باب ما جاء من ملح الترقيص. وقد جعله السامرائي في طبعته من شعر الأحوص الأنصاري، وهو خطأ محض.

رقم: ١٦٢٧، خمسة أبيات لآخر أو لعلي بن الحسين عليهما السلام (المقادِرُ) في باب الزهد.

رقم: ١٦٣٩ بيتان للعباس بن محمد (الأعمارُ) في زيادات نسخة عاشر أفندي (ع) في باب الحماسة.

رقم: ١٦٤٠ لبعضهم (النوائبِ) في زيادات نسخة عاشر أفندي (ع) في باب الحماسة.

رقم: ١٦٤١، بيتان لآخر (العُوَّادُ) في زيادات نسخة عاشر أفندي (ع) في باب الحماسة.

رقم: ١٦٤٧، ثلاثة أبيات (نَضِيرُ) في زيادات نسخة عاشر أفندي (ع) في باب الحماسة.

رقم: ١٦٦١، بيتان للمُغِيرة بن أبي صفرة (إِنْكار) في زيادات نسخة عاشر أفندي (ع) في باب الرثاء.

رقم: ١٦٦٢، ثلاثة أبيات لآخر (آمِلُ) في زيادات نسخة عاشر أفندي (ع) في باب الرثاء.

رقم: ١٦٦٤، بيتان لرجل من بني يربوع (النَّوالِ) في زيادات نسخة عاشر أفندي (ع) في باب الرثاء.

رقم : ١٦٦٥ ، ثلاثة أبيات لبعضهم (اقْصِدِ) في زيادات نسخة عاشر أفندي (ع) في باب الرثاء .

رقم : ١٦٦٦ ، بيتان لعمرو بن مُرَّة الأزْدِي (مُرِيبُ) في زيادات نسخة عاشر أفندي (ع) في باب الرثاء .

رقم : ١٦٧٣ ، بيتان لآخر (القَطْرا) في زيادات نسخة عاشر أفندي (ع) في باب النسيب .

رقم : ١٦٧٨ ، بيتان للأسَدِي (ذُبَّلُ) في زيادات نسخة عاشر أفندي (ع) في باب النسيب .

رقم : ١٦٨١ ، تسعة أبيات ليوسف بن هارون الرمادي (عَليلِ) في زيادات نسخة عاشر أفندي (ع) في باب الصفات .

رقم : ١٦٩٤ ، ثلاثة أبيات لآخر (شَلِّ) في زيادات نسخة نور عثمانية (ن) في باب الحماسة .

رقم : ١٧٠٧ ، بيتان لعيسى بن كثير (مَشُوقِ) في زيادات نسخة نور عثمانية (ن) في باب مذمة النساء .

رقم : ١٧٠٩ ، بيتان لآخر (أَعْلامُها) في زيادات نسخة نور عثمانية (ن) في باب السَّيْر .

فهذي مائة وتسع وأربعون قصيدة ومقطوعة تضيفها الحماسة البصرية إلى محصول ما عندنا من شعرنا القديم ، أضف إلى ذلك الأبيات الزائدة على ما في الدواوين والمجاميع وكتب الأدب التي أشرت إليها قبل ، وإني بقولي هذا لعلى

هُدًى أو في ضلال مبين ، إما أنني استقصيتُ فأحسنتُ ، أو ضللت الطريق وما اهتديتُ .

ولا تكمن أهمية الحماسة البصرية في هذا العدد الضخم من القصائد والمقطعات التي حفظتها لنا من الضياع ، ولكن أيضا في إيراد أشعار شعراء لا نعرف عنهم شيئا ولم نسمع بهم من قبل ، مما يدل على تنوّع المصادر التي رجع إليها البصري ، وهو في ذلك شبيه بالهَجَرى . وعسى أن أكون هنا أيضا قد استقصيت فأحسنتُ ، وسأسرد أسماء الشعراء الذين لم أجد لهم تراجم ولا ذكرا مقترنة برقم أشعارهم .

الفُرْعُل الطائي رقم : ٢٩، ذؤيب بن حاضر التنوخي رقم : ٣١، يزيد بن الحكم الكلابي رقم : ٩٢، إياس بن مالك بن عبد اللّه الطائي رقم : ١٣٣، المُقْشَعِرّ بن جُدَيْع النصري رقم : ١٤٩، القُحَيْف العِجْلِيّ رقم : ١٧١، جُنْدُب بن خارجة بن سعد الطائي رقم : ٢٥٦، ثَرْوان عبد بني قُضاعَة رقم : ٣٦١، مارِح بن مُهاجِر رقم : ٣٧٩، الفارِعَة بنت شدَّاد المُرِّيَّة رقم : ٤٩٠، عمرة الخثعمية ، صفية الباهِلِيَّة رقم : ٥٠٠، الأزرق بن المُكَعْبَر رقم : ٥١٤، مُقَرَّب التنوخي رقم : ٥٦١، عبد اللّه بن كُرَيْز رقم : ٦٤٨، جُؤَيَّة بن النَّضْر رقم : ٦٥٥، مُهَلْهِل بن مالك الكناني رقم : ٦٧٧ (وذكره العيني وعنه في الخزانة ، وهما بعد البصري بقرون) ، أبو المَيَّاح العَبْدِيّ رقم : ٦٧٩، عبد اللّه بن عبد السلام العبدي رقم : ٦٩١، كعب بن بِلال ٦٩٣، عُمَيْر بن المِقْدام رقم : ٧٠٦، قُراد بن أَقْرم الفَزارِيّ ٧٥٥، مُويال بن جَهْم المَذْحِجي رقم : ٧٦٤ (وذكره العيني ، وهو بعد البصري بقرنيْن) ، مالك بن قُرَّة رقم : ٨٢٠، عبد اللّه بن شَبِيب

رقم: ٨٦٦، سَوادَة بن كِلاب القُشَيْرِيّ رقم: ٨٨٧، مَعْقِل بن جَناب وجَعْدَة ابن معاوية العُقَيْلِيّ رقم: ٨٩٦، حازِم بن مِرْداس رقم: ٩٣٠، رَيّا العُقَيْلِيَّة رقم: ٩٣١، ١١٥٧ منظور بن عُبَيْد بن مَزْيَد رقم: ٩٤٤، ثعلبة بن أوس الكلابي رقم: ٩٥٣، عُرْوَة بن جافي العَجْلانيّ رقم: ٩٥٤، طارق بن نابي رقم: ٩٧١، بخْتَرِيّ بن عُذافِر الجُرَشِيّ رقم: ٩٨٧، كريمة بنت أسد رقم: ٩٩٤، سالِمَة الكلبية رقم: ٩٩٥، لزاز الكلابي رقم: ١٠٢٨، داود بن بِشْر الكلابي رقم: ١٠٥٠، مُحْرِز العُقَيْلي رقم: ١٠٧٢، قائِد بن المُنْذِر القُشَيْرِي رقم: ١١٢٢، بخيس بن مُنَيْع من بني بكر رقم: ١١٥٨، عامر بن مالك الفَزارِيّ رقم: ١١٦٨، مُرَّة بن عبد اللّه النَّهْدِي رقم: ١١٧٥، فائد بن الأَقْرَم رقم: ١١٧٨، ابن حكيم الليثي رقم: ١١٨٤، ابن مُطَرِّف رقم: ١١٩٢، أبو التيَّاز الراجز بحر بن خلف رقم: ١١٩٩، بُرْد بن حابس رقم: ١٢١٣، بُهْلُول بن الغِطْريف رقم: ١٢١٩، ظَفَر ابن مُحارِبِ الكلبي رقم: ١٢٥٣، مليك بن العَجْلان التَّمِيمي رقم: ١٢٦٥، عُمَيْرة بن مُرَّة الحَرَشِي رقم: ١٣٣٠، الحارث بن نُفَيْع رقم: ١٣٣٤، هُبَيْرَة بن أبي الصلت الرَّبَعِي رقم: ١٣٦٥، يحيي بن ثابت رقم: ١٤٣٠، جرير بن الحكم بن المنذر بن الجارود رقم: ١٤٣١، صَخْر بن الجَعْد رقم: ١٥٢٣، عميس بن كثير رقم: ١٧٠٧.

ولم أذكر ضمن هذه الأسماء، الأسماءَ التي ظننت أنَّ بها تحريفًا. تصحيحه يردّها إلى أسماء معروفة مثل رقم: ١٤٢١ لعيد بن قيس، وظني أن الصواب عبد قَيس، وهو ابن خُفاف البُرْجمي، له خبر مشهور مع حاتم الطائي، ورقم: ١٦٥٤ نسبت لأبي الريف السُّلَمِيّ، ويحتمل أن يكون أبو الطَّريف السُّلَمِي، ذكره المرزباني في معجم الشعراء ص: ١٤٧، وأيضا رقم: ١٦٣٩ لعيسى بن عائذ، قد

يكون صواب الاسم عيسى بن عاتك . وهو أحد الخوارج ، ذكره إحسان عباس في مجموع أشعارهم .

فهذى أسماء واحد وخمسين شاعرا وست شواعر ، يضيفهم البصري إلى ما نعرفه من الشعراء القدامى ، فلا أدري كيف يستقيم بعد ما وضحتُ قول الدكتور مصطفي الشكعة « ومجمل القول في الحماسة البصرية أن أهميتها لا تكمن فيما ضمته دفَّتاها ، فأكثره مسبوق إليه ، وإنما في كونها حماسة تقع بين أيدينا من سلسلة الحماسات الكثيرة »[1] .

٧ - أوهام الحماسة البصرية :

أبي اللَّه جلّ شأنه أن يخلو كتاب من خطأ غير كتابه ، كما يقول المُزَنيّ . والحماسة البصرية -ككل كتاب غير كتاب اللَّه تعالى - لا تخلو من أوهام شتى في نسبة الشعر إلى غير قائله ، وفي أسماء الشعراء وأنسابهم ، وزمنهم الذي عاشوا فيه ، وسَلْك الأبيات في الأبواب التي تنتمي إليها ، وترتيب الأبيات في نسق يأخذ بعضها برقاب بعض ، وسأعطي أمثلة قليلة لمثل هذه الأوهام ، وسيجد القارئ مزيدًا منها في الهوامش .

أ - نسبة الشعر :

عاب البصري على الخالدين في مقدمة الحماسة (١: ٤) أنهما نسبا في الأشباه والنظائر « أشياء إلى غير قائليها » ، ولكنه تردَّى فيما أخذ عليهما ، فمثلا نسب مقطوعة في باب الحماسة برقم : ٣٣ (دَوانِ) لوَعْلَة بن عبد اللَّه الجَرْمِيّ ، ثم

---

(١) مناهج التأليف عند العلماء العرب ، قسم الأدب ، ص : ٥٣٣.

ذكر أن بعضهم نسبها إلى النجاشي الحارثي . والصحيح أنها للنجاشي ، نسبها إليه كل من أوردها له ، كما يتضح من التخريج ، وفيها بيتان سائدان ، لهما قصة مع معاوية بن أبي سفيان وعبد الرحمن بن الحكم .

ورقم : ٧٤ بيتان (تَسْبِقُ) في باب الحماسة ، نسبهما إلى أعشى همدان . وهو خطأ محض ، فهما من قصيدة مشهورة للأعشي الكبير لها قصة مع المُحَلَّق بن حَنْتَم ، وكان مِئناثا ، فمدحه الأعشى بهذه القصيدة القافية ، فتسارع الرجال إلى المُحَلَّق يخطبون بناته ، فما قام من مجلسه إلا وقد زوَّجهنّ جميعا . ومن الغريب أن البصري يختار من هذه القصيدة الأبيات التي مدح بها الأعشى المُحَلَّقَ في باب المديح برقم : ٣٩٣ (سَمْلَقُ) وينسبها أيضا إلى أعشى همدان .

المقطوعة رقم : ٣٦٧ من باب المديح (الناظِرِ) نسبها لزهير بن أبي سُلْمَى ، وهو خطأ غير مفهوم ، فهي للأعشى ، وهي مشهورة جدا قالها في المفاخرة المشهورة بين عامر بن الطُّفَيْل وعلقمة بن عُلاثة نسب المقطوعة رقم : ٩٤ في باب الحماسة (ذَلِيلُ) للهَيْثَم بن الأسود النَّخَعِيّ ، وهما بلا شك لطرفة بن العبد ، ومن الغريب أن المصنف نسب هذين البيتين لطرفة في النسختين الأخريين : نسخة عاشر أفندي (نُسِخت ٦٤٧) ، نسخة نور عثمانية (نُسِخت ٦٥١) .

نسب المقطوعة رقم : ١٦١٤ في باب الزهد (عَواقِبُها) لأُحَيْحَة بن الجُلاح . وذلك خطأ مُغْرِق ، فهي من أبيات ذائعة لعديّ بن زيد العِبادِي في ديوانه : ٤٥ . ولعلّ الذي أوقع البصري في هذا الوهم أن لأُحَيْحَة قصيدة على نفس الوزن والقافية (ديوانه : ٦٢ ، ٦٣) ، اختار منها البصري أبياتا برقم : ١٠٧٧ (يُطالِبُها) في باب النسيب ، والدليل على خَلْطه بين القصيدتين أنه أدخل في هذه القطعة الأخيرة

البيت الثالث من المقطوعة ١٦١٤ لأنه ظن أنها لأحيحة أيضا .

نسب القصيدة رقم : ١٤٩ في الصفات (ثاقِبِ) لأبي حُكَيمة بن راشد ، والصواب أنها لابن أبي كريمة ، أحمد بن زياد ، وهو معاصر للجاحظ وله معه خبران (الحيوان ٣: ٣٤٩، ٣٥٠) .

وقد تتشابه عليه الأسماء فيختار من قصيدة واحدة أبياتا في بابين مختلفين ناسبا كُلًّا منهما إلى شاعرين مختلفين مشتركين في الاسم ، فمثلا اختار ثلاثة أبيات لأُمَيَّة في باب المديح برقم : ٢٨٢ (أَشْغالِ) ونسبها للكُمَيْت (وهو هنا الكميت بن زيد يمدح بها يزيد بن المهُلَّب) ، ثم اختار من نفس القصيدة خمسة أبيات في باب النسيب برقم : ٨٤٩ (الأكْفالِ) ونسبها للكُمَيْت بن معروف . ومن الحق أن شعر الكُمْت الثلاثة يختلط أحيانا . وأحيانا يختار أبياتا من نفس القصيدة ويجعلها في بابين مختلفين ، ناسِبًا كلًّا منهما إلى شاعر مختلف ، مثال ذلك القطعة رقم : ٧٩٤ جعلها في باب الأدب للحطيئة (السعيدُ) ، ثم أورد منها بيتين في باب الزهد برقم : ١٦٩٠ (جَديدُ) للنابغة الشيباني .

ب - أسماء الشعراء وأنسابهم :

القطعة رقم : ٣٧ من باب الحماسة (حِيالِ) . نسبها للحارث بن عُباد ، وذكر أنه عَبْسي ، والصواب أنه من بني بكر بن وائل ، وهو مشهور ، فقد قاد قومه في حروبهم المعروفة أيامها بحرب البَسوس ضد تَغْلِب بعد أن قتل مُهَلْهِلٌ ابنَه أو ابنَ أخيه بُجَيْرا .

القطعة رقم : ١٨٧ في باب الحماسة (تَصِلُ) ، نسبها للأعشى ميمون الباهلي ، والأعشى الكبير ليس من باهلة كما هو معروف . والقطعة رقم : ٢٧٦

من باب المديح (ضَخْم) ، نسبها للأخوص بن زيد بن عتاب ، والصواب أن الأخوص لقبه ، واسمه زيد .

والقطعة رقم : ٢٨٧ من باب المديح (دُهْمانِ) ، نسبها إلى (ولده أبي القاسم ابن أمية) والصواب أنه القاسم بن أمية بن أبي الصلت ، وأبو القاسم هو أبوه أمية ، يكنى باسم ابنه القاسم ، والقطعة السابقة على هذه المقطوعة هي لأبيه أميّه بن أبي الصلت ، لذا أعقبها بقطعة أخرى قالها ولده القاسم ، أي رقم : ٢٨٧.

ورقم : ٢٩٦ من باب المديح (إنْسِي) ، قال إنها للمُسَّيب بن فَرُّوخ ، والصواب : السائِب بن فَرُّوخ .

والقطعة رقم : ٣٥٢ في باب المديح (صاحِبُه) ، نسبها إلى أبي الطَّمَحان القَيْنِيّ ، شَرْقِي بن حنظلة ، والصواب : حَنَظلة بن شَرْقِيّ .

القصيدة رقم : ٦٤٦ من باب الأدب (شَقاءُ) نسبها إلى الأعشى عبد اللّه ، والصواب أنه النابغة بن عبد اللّه بن المُخارِق الشيباني . وسترى مزيدا من هذه الأخطاء منصوصًا عليها في هوامش الكتاب[١] .

جـ - زمان الشعراء :

أكثر ما يقع الخلط عنده بين الشعراء الجاهليين وصدر الإسلام ، ويقلّ في زمن بني أمية ، وينعدم في العصر العباسي ، وسأكتفي هنا بأمثلة قليلة . ذكر في البصرية ٦٧ من باب الحماسة (البَصَرُ) أن مُضَرِّسَ بن رِبْعِيّ جاهليٌّ . وهذا أمر بعيد لأن

(١) انظر مثلًا رقم : ١٢٧ في باب الحماسة (الشَّمْرِ) ، ورقم : ٦٢٢ في باب الأدب (عظيم) ، ورقم : ١٠٧٥ في باب النسيب (زيالها) .

المرزباني روي له شعرا يدل على أنه إسلامي (معجم الشعراء : ٣٠٧) ، كما أن له خبرا مع الفرزدق (السمط ٢ : ٨٥٩) . ونسب رقم : ٩٤ من باب الحماسة (ذَلِيلُ) إلى الهيثم بن الأَسْوَد النَخَعِيّ (والصواب أنهما لطرفة) وقال إنه جاهلي ، والصواب أنه إسلامي ، ونسب القطعة رقم : ٨٣٩ في باب النسيب (حاجِبِ) لقيس بن الخطيم ، وقال إنه « أموي الشعر » ، وهذا خطأ صُراح ، فقيس جاهلي ، أدرك الإسلام ، ولم يسلم ، وقُتِل قبل الهجرة .

د - أخطاء التبويب :

تقل مثل هذه الأخطاء في نسخة المصنف الأخيرة (راغب باشا) التي نسخت سنة ٦٥٤هـ ، والتي اتخذتُها أصلا ، أما النسختان الأخريان اللتان نسختا في عام ٦٤٧هـ ، ٦٥١هـ على الترتيب ، ففيهما أخطاء كثيرة في التبويب ، حيث سلك المصنف أبياتا لا تمت إلى الباب الذي أدرجها فيه بصلة ، وقد تخلص من أكثر هذه الأخطاء في النسخة الأخيرة ، وسوف أتكلم عن ذلك بالتفصيل في حديثي عن نُسَخ الحماسة البصرية . لكن بالرغم من هذا فإننا نجد في هذه النسخة أبياتا انتظمت في غير أبوابها ، مثل ذلك : القطعة رقم : ٤١٢ (راكِبُ) في باب المديح لأبي علي البصير ، ومحل هذين البيتين يجب أن يكون في باب الحماسة أو باب الأدب ، وهما فعلا في باب الأدب في نسخة نور عثمانية (عام ٦٥١هـ) ، فلا أدري لماذا نقلهما إلى باب المديح في النسخة الأخيرة .

القطعة رقم : ٤٢٤ في باب المديح للسَّفّاح بن بُكَيْر (الذِّراعْ) ، وباب الرثاء أولى بها ، فقد قيلت في رثاء يحيى بن مُبَشِّر ، ورثاه جرير أيضا ، قال :

صَلَّى الإلهُ عليكَ يا ابْنَ مُبَشِّرٍ   أَنَّى قُتِلْتَ بمُلْتَقَى الأجنادِ

والقطعة رقم : ٥٦٧ للعيني (دارِها) جعلها في باب الرثاء . وليست من الرثاء في شيء ، بل هي في مدح طاهر بن الحسين ، ولها خبر معروف يجعل وضعها في غير باب المديح أمرا غير مقبول ، فأول هذه الأبيات وهو :

وقوفُكَ تحت ظلالِ السيوفِ ‏ ‏ ‏ ‏ أَقَـرَّ الخِلافـةَ في دارِهـا

أَحْفَظ المأمونَ وأَسَرَّها له في نفسه ، وحدث أن وَجَد طاهر بن الحسين على العيني فحبسه . فقال له المأمون : أيستحق مَن زعم أن الخلافة ما استقامت في دارها إلا بمقامك في ظلال السيوف أن يُساء إليه . ولكن إذ فعلْت ما فعلت ، فما أحد يطلبه بحقي غيري ، ليعلم كيف يقول بعدها . واللّٰه لئن أخرجتَه لأضربنّ عنقه . فعلم طاهر أنه قد قابل العيني بغير الجميل . فكان يجري عليه في محبسه الكثير ، ولا يجترئ على إخراجه خوفا من المأمون .

وقل مثل ذلك في بيتي النابغة رقم : ٥٣٨ (الحرامُ) جعلها أيضا في باب الرثاء ، وليس الأمر كذلك وإنما قالهما النابغة مدحا للنعمان بن المنذر حين بلغه مرضه ، ولعل صدر البيت الأول وما فيه من ذكر الهلاك « فإن يَهْلِكْ أبو قابوسَ يَهْلِكْ » أوهَمَ البصريَّ أنهما في الرثاء أما خطؤه في القطعة رقم : ٥٦٤ من باب الرثاء (مالِيا) فعجيب يدل على غفلة لا تليق بعالم مثله ، وهما :

أَلَمْ تَرَ أَنِّي يومَ جَوٍّ سُوَيْقَةٍ ‏ ‏ ‏ ‏ بَكَيْتُ ، فنادَتْني هُنَيْدَةُ ما لِيا

فقلتُ لها : إنَّ البكاء لراحَةٌ ‏ ‏ ‏ ‏ به يَشْتَفِي مَنْ ظَنَّ أنْ لا تَلاقِيا

فالبيتان ليسا من الرثاء في شيء . يستهل بهما الفرزدق مطلع القصيدة في النسيب ، ومن الغريب أن البصري يوردهما مرة أخرى مع بيتين آخرين ويضعهما

في باب النسيب برقم : ١١٤٢.

وهذا يثير مسألة التكرار في الحماسة البصرية ، فبعض قطع بأعيانها تذكر في أكثر من باب بنفس النسبة أو باختلاف فيها ، وسأكتفي هنا بمثال على كل منهما ، ولا أريد أن أتَّكِئ على هذه الظاهرة خشية أن تكون من عمل النُّساخ[(١)] .

هـ - عدم الدقة في اختيار الأبيات :

لا شك أن الاختيار يخضع للتذوق وما يستجيده المُخْتار ، فهذا حق لا مِراء فيه ولا مأخذ عليه ، على أن يكون الاختيار مستكملا للمعنى الذي أراده الشاعر ، لا يبتره المختار ، ولا يتجاوزه إلى غيره قبل تمامه . وفي الحماسة البصرية مواضع شتى أساء البصري فيها ترتيب الأبيات فبدت مختلَّة المعنى ، وسأذكر أمثلة قليلة دالة على هذا الفساد .

رقم : ٩٩٦ للشماخ في باب النسيب (إشفاقِ) ، والبيت الثالث لا يتسق مع الأول والثاني ، وهما في وصف المرأة أما الثالث فهو في الحديث عن ناقته ، فبدا البيت قلقا في موضعه ، لأن المصنف أسقط بيتا بين الثاني والثالث مهّد فيه الشماخ لذكر الناقة ، وهو :

هل تُسْلِيَنَّكَ عنها اليوم إذ شَحَطَتْ   عَـيْـرانَـةٌ ذاتُ إِرْقـالٍ وإِعْـنـاقِ

وقصيدة طُفَيْل الغنوي رقم : ١٤٠٣ (مُذْهَبُ) ، الأبيات الثلاثة الأولى في وصف الخيل ، ولكن البيت الرابع ليس كذلك ، فبينهما أبيات لم يخترها المصنف ، والبيت الرابع هذا هو :

---

(١) انظر مثلًا بيتين برقم : (٨٢٢) في باب الأدب (يَتَخَلا) للحجاج بن عِلاط ، أعيدا في باب الهجاء برقم : ١٢٥٦.

ففاز بنَهْبٍ فيه منهمُ عَقِيلةٌ لها مُشْرِقٌ صافٍ ورَخْصٍ مُخَضَّبُ

فالضمير في قوله: (فاز) لا يعود على شيء في البيت الثالث ، وإنما يعود على السهم المذكور في أبيات أسقطها المصنف .

والقطعة رقم: ١٥٥٩ في باب المُلَح والمجون وهي :

ومُقْعَدُ قومٍ قد سَعَى في شرابِنا وأَعمَى سَقَيْناه ثلاثًا فأَبْصَرا

شَرابًا كرِيحِ العَنْبَرِ الوَرْدِ رِيُحهُ ومَسْحُوقِ هنديٍّ مِن المِسْكِ أَذْفَرا

إذا ما رآها بعدَ إِنْقَاء غَسْلِها تدورُ علينا صائِمُ القوم أفطرا

فالضمير في « غسلها » لا يعود على شيء في البيت الثاني ، مما جعل محقق الطبعة الهندية يظن أن بالبيت تحريفا . والضمير يعود على « الكئوس » التي ذكرها الأُقَيْشِر قبل هذا البيت ، ولم يختره المصنف ، وهو :

لها مِن زُجاج الشامِ عُنْقٌ غريبةٌ تَـأَنَّـقَ فيهـا صـائِـغٌ وتـخـيَّـرا

ومثالٌ أخير على هذا النوع زاده قبحا تلفيقُ بيتٍ من بيتين - هو أبيات الأخطل برقم: ١٢٤٠ في باب الهجاء (صَدَرُ) . الأبيات الأربعة الأولى في هجاء بني كليب قوم جرير ، والخامس والسادس هما :

قد أَقْسَمَ المجدُ حقًّا لا يُخالفُهمْ حتى يُحالِفَ بَطْنَ الراحةِ الشَّعَرُ

صُفْرُ اللِّحَى مِن وَقودِ الأَدْخِنات إذا قَلَّ الطعامُ على العافِينَ أو قَتَروا

فقارئ الحماسة البصرية لابد أن يظن أن الضمير في قوله : « يحالفهم » يعود على بني كليب المذكورين في الأبيات الأربعة السابقة ، ولكنه في الحقيقة في هجاء

بني غُدانَة بن يربوع الذي بدأه الأخطل في أبيات سابقة . والبيت السادس ملفق من بيتين هما :

صفرُ اللِّحى مِن وَقودِ الأدخنات إذا رَدَّ الرِّفادَ وكَفَّ الحالِبِ القِرَرُ

هُمُ الذين يُبارون الرياحَ إذا قَلَّ الطعامُ على العافِين أو قَتَروا

وهذا البيت الأخير « هم الذين يبارون » ليس في هجاء بني كليب أو بني غدانة ، وإنما هو في مدح قوم الأخطل ، ويأتي بعده البيت المشهور (شُمْسُ العداوة) . ثم البيت السابع والأخير في هذه الأبيات هو :

لقد أَقَرُّوا وهُمْ منِّي على مَضَضٍ والقولُ يَنْفُذُ ما لا تَنْفَذُ الإِبَرُ

فليس عودة إلى هجاء بني كليب ، أو غُدانَة ، وإنما يشير به إلى الأنصار ، وكان يزيد بن معاوية قد أمره بهجائهم ، فهجاهم ، يقول في بيت سابق على هذا البيت أسقطه المصنف :

بني أميَّةَ قد ناضلتُ دونكمُ أبناءَ قومٍ هُمْ آوَوْا وهُمْ نَصَرُوا[1]

٨- نسخ الحماسة البصرية

توجد ثلاث عشرة نسخة خطية ومصورة للحماسة البصرية اطلعت على اكثرها وأهمها النسخ الثلاث الأول ، وسأذكرها مجرد ذكر ، ثم أعود إليها بالتفصيل :

---

(١) ولمزيد من الأمثلة عن هذا الترتيب المخل ، انظر رقم : (٧٢٠) في باب النسيب ، البيت الثاني والثالث ، رقم : ١٠٦١ لجرير (صَبُورُ) في باب النسيب ، البيت السادس ، رقم : ١١٣٧ لذى الرمة (القَطْرُ) في باب النسيب ، البيت الثالث ، رقم : ١٣٢٠ لجرير (الكِتابا) في باب الهجاء ، البيت الأخير .

١- مخطوطة مكتبة عاشر أفندي باستانبول رقم : ٧٨٧، وهي النسخة الأولى التي صنفها البصري ، منسوخة سنة ٦٤٧هـ وملحق بهذه النسخة تقاريظ استلها منها عبد الرحمن بن يحيى بن محمد الملاح ، وجعلها في سبع عشرة صفحة مستقلة ، وتاريخ كتابتها ٢٠ ربيع الآخر سنة ١٠١٦ هـ ، ومنها نسخة محفوظة بمكتبة جوته بألمانيا برقم : ٢١٩٥.

وأنبأني الأستاذ عبد العزيز الميمني رحمه اللّٰه في مجلس لنا بمنزل العلامة محمود شاكر تغمده الله برحمته أن في مكتبته نسخة منها بخط مغربي ، نسخها يحيى بن محمد بن رويس القاضي الزواوي الجزائري سنة ١٢٨٦هـ وأفاد الدكتور مختار الدين أحمد أن هناك مقالا عنها نُشِر في مجلة MFO، المجلد الخامس : ص : ٥٣٨ ولم يتيسر لي الاطلاع عليه .

٢ - مخطوطة مكتبة نور عثمانية باستانبول رقم : ٣٨٠٤، تاريخ كتابتها هو ٦٥١هـ في حياة مصنفها ، ومنها مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، والمجمع العلمي العربي بدمشق .

٣- مخطوطة مكتبة راغب باشا باستانبول رقم : ١٠٩١، وهي أجلّ النسخ وأكملها وأحسنها خطا وضبطا ، نُسِخت سنة ٦٥٤هـ في حياة المصنف ، وهي النسخة التي اتخذتها أصلا .

٤- مخطوطة مكتبة عاطف أفندي باستانبول رقم : ٢٠٥٣، عدد أوراقها ثلاثمائة ورقة ، ومسطرتها ٢٥ سطرا ، وهي غير كاملة وتنتهي بباب النسيب وتاريخ نسخها هو ٩٨٣هـ وأفاد الدكتور مختار الدين أحمد أن هناك مقالا عنها في مجلة MFO، المجلد الخامس ، ص : ٤٨٩، ولم أستطع الحصول عليه .

٥ -مخطوطة دار الكتب المصرية رقم : ٥٢٠ أدب ، وهي النسخة التي بدأتُ العمل عليها منذ أربعين عاما . وهي نسخة سقيمة مليئة بالأخطاء ، نسخها عبد اللّه ابن عبد الرحمن البغدادي سنة ١٢٨٧هـ ، وهي منقولة عن نسخة راغب باشا ، وعنها نقل الأستاذ الميمني نسخته التي اعتمدها الدكتور مختار الدين أحمد أصلاً في عمله .

٦- نسخة دار الكتب المصرية في المجموعة التيمورية شعر ٨٦٢، وتقع في ٦٨١ صفحة من القطع الصغير ، وليس عليها تاريخ نسخها ، وخطها فيما أرجح من خطوط القرن الثالث عشر ، وهي تتفق كثيرا مع نسخة دار الكتب المصرية المذكورة تحت رقم : ٥.

٧- نسخة مكتبة البلدية بالأسكندرية ، رقم : ١٢٢١، وهي ناقصة جدا ، تقع في ثمانين ورقة تنتهي بقصيدة الفرزدق الفائية (يَتَصرَّف) رقم : ٤٢٣ من باب المديح ١ : ٥٧٠، ومسطرتها واحد وعشرون سطرا . مكتوبة بخط نسخ جميل جدا ، وأسماء الشعراء في مطالع القصائد مكتوبة بالحبر الأحمر ، وعليها شروح وتعليقات بنفس الخط .

٨- مخطوطة مكتبة حسين جلبي بتركيا ، لم أستطع الحصول عليها ، وأفاد الدكتور مختار الدين أحمد أن هناك مقالا عنها في المجلة الألمانية ZDMG، المجلد : ٦٨، ص : ٥٢، ولم أره .

٩- مخطوطة مكتبة الاسكوريال ، رقم : ٣٨٠٤، وهي عندي في مجلدين ، اتضح لي بالمراجعة أنها منقولة عن نسخة دار الكتب المصرية رقم : ٥٢٠ وقد رجع إليها محقق ديوان عمر بن أبي ربيعة (طبعة ليبزج ن ١٩٠٢) .

١٠- مخطوطة مكتبة ميلانو بإيطاليا، وهى ناقصة جدا، وليس عليها تاريخ نسخ، وأرجح أنها مكتوبة في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وهذه النسخة استعملها جاير في تحقيقه لديوان الأعشين وذكر الدكتور مختار الدين أحمد (المقدمة ١: ٣٨) أن من الحماسة البصرية مختصرة خطية ملتقطة في المكتبة الآصفية بحيدر آباد، صفحاتها ٢٣٢، وقد كتب كاتب على الورقة الأولى: منتقى من الحماسة البصرية، وبعده اسم المؤلف صدر الدين علي، وتحته العبارة: سنة ٦٤٧هـ تأليف الأصل. الأصل مذكور في كشف الظنون، والمنتقى ليس بمذكور فيه ولم نجد ذكرا لهذا المنتقى في مصدر ما من المصادر التي ظفرنا بها. وقد شارك في نسخها ناسخان، فمن الصفحة ٣ إلى الصفحة ٢٤، والصفحتين ٢٣١، ٢٣٢ لناسخ، ومن الصفحة ٢٥ إلى الصفحة ٢٣٠ لناسخ آخر، ويحصر هذا المنتقى في خمسة أبواب بدلاً من ستة عشر، وهي الحماسة، والمراثي، والأدب، والنسيب، والمديح، ولم ننجح بتعرف اسمي الناسخين، وبمن هو المنتقى وفي بدء الكتاب عبارة لمن هو في يده: من مودعات الدهر لدى الفقير إلى رحمة اللّه الصمد عبد الرحمن بن عبد اللّه بن المصطفى بن محمد، سنة تسع وعشرين ومائة وألف (١١٢٩هـ) انتهى كلام الدكتور مختار الدين.

من هذا العرض يتضح أن النسخ الثلاث الأولى هي أهم النسخ وأكملها وأقدمها تاريخا ولمّا كانت نسخة راغب باشا هي آخر ما صنّفه البصري، ومن ثَم فهي أتم النسخ فقد اتخذتها أصلا واستعنت بالنسختين الأخريين، وسأتحدث عنها بالتفصيل.

١- نسخة راغب باشا، تقع في ثلاثمائة وخمس وثلاثين ورقة من القطع

المتوسط ، ومسطرتها خمسة عشر سطرا وهي نسخة نفيسة تامة الضبط ، جيدة الشكل ، مكتوبة بخط نسخ جميل سنة ٦٥٤هـ . أكثر ناسخها من وضع علامات الإعجام والإهمال ، فيجعل تحت الحاء والعين والصاد ، حاء وعينا وصادا بخط دقيق ، ويكتب تحت السين ألفا صغيرة تفرقةً بينها وبين الشين ، ويجعل فوق الدال والراء شبه دائرة مفتوحة الأعلى .

وهذه النسخة خزائنية صفحتها الأولى مكتوبة بخط مذهب ، وتتكون من جزأين يشمل الجزء الأول باب الحماسة ، المديح ، الرثاء ، وسبعا وأربعين قصيدة ومقطوعة من باب الأدب وجاء في آخر هذا الجزء : « آخر الجزء الأول من الحماسة البصرية ، يتلوه في الجزء الثاني إن شاء اللّه تعالى : قال إسحاق ابن إبراهيم الموصلي .

الحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد آله وسلم تسليما كثيرا » وأسفل هذا الكلام أبيات للنابغة الجعدي (وهي من البصرية رقم : ٩ من باب الحماسة) بخط مخالف لخط سائر النسخة وفي الصفحة الأولى من المخطوط في أعلاها من جهة اليمين نجد : ألحقتها بالكتب الموقوفة لمحمد بن إسماعيل السلامي ، وكَتبه الفقير عبدالغفار حسبي اللّه على من بدّل أو غيرّ .

وبجانب العنوان من جهة اليسار كُتِب : « من نِعم اللّه سبحانه وتعالى على عبده عبد الغفار ، غفر اللّه ذنوبه وعيوبه في الدنيا والآخرة ، آمين » . ثم يلي ذلك « من كُتُب العبد الفقير يوسف العمانى ! سنة ١٠٢٦ بمدينة حلب ، غفر له اللّه ، آمين » . وهذه العبارة الأخيرة مكتوبة بخط مخالف لما قبلها ، ثم يعقب ذلك تملك ثالث هو « ثم ملكه الفقير حسين الوفاء (الرُّفاء) سنة ١١٥٣ » .

وفي آخر صفحة العنوان نجد ختم الوقف : « حسبي اللّٰه وحده من الكتب التي وقفها إلى اللّٰه ربه ذي المواهب محمدُ بن (كلمات مطموسة بقدر أربع) .

أما العنوان فكُتِب بخط كبير مذهب : الجزء الأول من الحماسة البصرية ثم كُتِب تحته : الحماسة البصرية تأليف الشيخ العلامة شيخ الأدب وحجة العرب صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري وفّقه اللّٰه لمرضاته ثم جاء تحته بخط مخالف :

لو نال حيٌّ من الدنيا بمكْرُمةٍ　　　أُفْقَ السماء لنالتْ كَفُّهُ الأُفُقا

وهو بيت لزهير بن أبى سلمي من البصرية رقم : ٤٠ .

ويبدأ الجزء الثاني بنفس صفحة العنوان للجزء الأول تماما : الجزء الثاني من الحماسة البصرية تأليف الشيخ العلامة شيخ الأدب وحجة العرب صدر الدين على ابن أبي الفرج بن الحسن البصري وفّقه اللّٰه لمرضاته . ويسبق أول مقطوعة فيه (لإسحاق الموصلي ، رقم : ٦٧١) : بسم اللّٰه الرحمن الرحيم رَبِّ يَسِّرْ .

وفي منتصف الصفحة من جهة اليسار كلام مبتور الأواخر وهو : انتقل باث [سراء الى] عبد االغفار غفـ [ـر اللّٰه] ذنوبه وعيوبه ١٢٠٦ .

وهذا التملك يظهر كما سلف على صفحة عنوان الجزء الأول ثم نجد أسفله : ثم ملكه الفقير حـ [سين] الوفاء [الرَّفَّاء !] وهو أيضا نفس التملك الذي يظهر على صفحة العنوان في الجزء الأول . وفي ظهر هذه الورقة يوجد ختم التملك الموجود على صفحة العنوان في الجزء الأول .

وفي الصفحة الأخيرة من المخطوط نجد : نجزت الحماسة البصرية بعون اللّٰه

وحمده، وصلواته على محمد نبيه وآله وسلم، كتبها العبد الفقير عمر بن محمد ابن خواجه إمام، ووافق الفراغ منها يوم الاثنين خامس عشر ذي القعدة سنة أربع وخمسين وستمائة وإلى يسار هذا الكلام من أسفل الصفحة نجد الوقف المذكور في صفحة عنوان الجزء الأول، وهو: حسبي اللّٰه وحده. من الكتب التي وقفها الفقير إلى ربه ذي المواهب محمد (ثم كلمات مطموسة بقدر أربع).

فهذه نسخة جليلة نُسِخت في حياة المصنف، لم يحصل عليها الدكتور مختار الدين أحمد محقق الطبعة الهندية، واعتمد على نسخة منقولة عن نسخة منقولة عنها كما وضحت تحت رقم: ٥ في كلامي عن نسخ الحماسة البصرية.

وعلى هوامش هذه النسخة شروح لغوية وإثبات لبعض الروايات المشهورة التي خالفتها الحماسة البصرية، وتقل هذه الشروح كلما مضينا في الكتاب حتى تنعدم تماما بعد النصف الأول من الجزء الأول. ويبدو من شروحه وتعليقاته أنه كان عالما بالشعر واسع الاطلاع، وقد تعقبت شروحه فوجدت بعضها مأخوذًا بالنص من شرح المرزوقي والتبريزي على حماسة أبي تمام، ومن ابن الشجري في أماليه، وأحيانا ينص على المصدر الذي أخذ عنه الشروح، فمثلا في شرحه للبيت السابع من أبيات امرئ القيس اللامية (الباسل) في هجاء بنى أسد (رقم: ١٠٤).

فاليوم أشَربْ غَير مُسْتَحْقِب　　　إثْمًا مِنَ اللّٰه ولا وَاغِلِ

قال بعد أن شرح عليه سكون الباء في قوله «اشرب» ما يلي «أحقبه واستحقبه بمعنى، أي احتمله ومنه قيل: احتقب فلان الإثم كأنه جمعه، صحاح»، أي أنه نقل هذا الشرح من صحاح الجوهري. ومثال ذلك أيضا في شرحه البيت الثاني من أبيات فلحس الأسود (رقم: ١٢٠) قال في شرح كلمة «مخرم»: «منقطع أنف

الجبل ، صحاح » . وصاحب هذه الشروح من رجال القرن التاسع أو بعده ، فقد وجدت له عدة شروح نقلها عن القاموس للفيروزبادي (ت٨١٧هـ) ، قال الشارح مثلا معلقا على كلمة « خَبار » في البيت الحادي والعشرين من معلقة عنترة (رقم : ٥٢) وهو :

والخيلُ تَقْتَحِم الخَبارَ عَوابِسًا ما بَيْنَ شَيْظَمَةٍ وأَجْرَدَ شَيظَمِ

« الخبار : ما لان من الأرض ، وذلك أشدُّ على الخيل . شيظم كحَيْدَر : الطويل الجسيم الفتي من الإبل والخيل والناس كالشيظمِيّ ، قاموس » . والشارح إلى جانب سعة اطلاعه يَقِظ دقيق الملاحظة ، فقد تنبه إلى أن بعض المقطوعات قد تكررت سهوا من الناسخ فيما أظن في أغلب الأحيان - فكتب أمامها : مكرر كما تنبه إلى أن بعض الأبيات لم تأت في سياقها المعروف ، فقال معلقا على البيت الثامن من مقطوعة أُنَيْف بن زَبَّان (رقم : ٧٨) : « هذا (أي وضع البيت في هذا المكان) غلط من الناسخ ، وهو بعد قوله : فلما التَقَيْنا بينَّ السَّيْفَ » ، أي يجب أن يكون هذا البيت بعد البيت الخامس ، فحقه أن يكون البيت السادس ، لا الثامن .

٢- نسخة نور عثمانية :

عدد أوراقها ثلاثمائة وسبع عشرة ورقة من القَطْع المتوسط ، ومسطرتها خمسة عشر سطرًا . كُتِبت بخط نسخ جميل ، جيدة الضبط ، وإن خلت من علامات الإعجام والإهمال ، صفحة العنوان مفقودة ومكانها صفحة . تبدأ بهذه العبارة « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللّٰه » . وتحتها الوقف التالي : « وقف بدر البدور التامات ، في بديع الخلافات والمقامات السلطان بن السلطان ، السلطان : أبو الإرشاد عثمان خان بن السلطان مصطفي خان ، جعل

اللّه برّه قيصرة[1] » للأدباء الأنجاب وأنا الداعي لدولته الحاج إبراهيم حنيف المفتش بأوقاف الحرمينْ المحترمين غفر اللّه له .

وتحمل آخر صفحة في المخطوطة ما يلي : « آخر الكتاب والحمد لله رب العالمين وصلى اللّه على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين ، وسلم تسليما كثيرا . وقع الفراغ منه يوم الأحد العاشر من ربيع الآخر سنة إحدى وخمسين وستمائة » .

فهذه نسخة نفيسة أيضا ، نُسخت في حياة مصنفها ، وهي النسخة الثانية التي أخرجها بعد أول نسخة صنفها في عام ٦٤٧هـ أو قبله بقليل ، وهي النسخة التالية المعرفة بنسخة عاشر أفندي .

وفي هذه النسخة - نسخة نور عثمانية - خرم بمقدار ورقة ، فرقم : ٢٢٩ لماجد ابن مخارق الغنوي ، تسعة أبيات في نسخة راغب باشا ، ولكن جاء منها في نسخة نور عثمانية البيت الأول فقط ، وسقطت سائر الأبيات ، وجاء بعد هذا البيت مباشرة البيت السادس من البصرية ٢٣٢، فدل ذلك على أن هناك خرما بمقدار ورقة في هذه النسخة .

٣- نسخة عاشر أفندي : هي التصنيف الأول الذي أخرجه البصري في ٦٤٧ أو قبله بقليل ، وهي تقل كثيرا في عدد قصائدها ومقطوعاتها عن النسختين الأخريين ، لأن المصنف زاد فيها بعد زيادات كثيرة حتى لتبلغ النسخة الأخيرة وهي نسخة راغب باشا - ضعفها عددا ، وسأفصل القول في ذلك بعد قليل وعدد أوراقها مائتين وثلاث وأربعين ورقة من القطع المتوسط ، ومسطرتها خمسة عشر

---

(١) قيصرة : كذا .

سطرا . مكتوبة بخط نسخ قليل الجودة ، تكاد تخلو من الضبط تمامًا ، ويقل فيها الإعجام كثيرا ، كثيرة الأخطاء ، بها خلل في الترتيب خاصة في باب النسيب ، فالقطع العشر الأولى في باب النسيب هي منه ، ولكن من رقم : ١١ إلى ٤٠ فهي من باب الأدب ، ثم من رقم : ٤١ آخر الباب هي من النسيب ، أى أن ثلاثين قصيدة : من باب الأدب أقحمت في باب النسيب ، وعلى هوامش هذه النسخة تعليقات قليلة بخط الشنقيطي فيما أرجح .

وفي صفحة العنوان نجد الحماسة البصرية تأليف الشيخ العلامة شيخ الأدب وحجة العرب صدر الدين علي بن أبي الفرج البصري ، تغمده اللّٰه برحمته .

وَكُتب فوق هذا العنوان من جهة اليمين بخط مخالف : حماسة ، مدائح ، المراثي ، أدب ، نسيب ، هجاء ، صفات ، مُلَح ومجون ، مذمة النساء ، الزهد والإنابة . وفي قبالته من جهة اليسار : « الحمد اللّٰه المالك الأحد عِنْد عبده مصطفى ابن محمد » ، أي في مِلْك مصطفى بن محمد ، وتحت العنوان جاءت هذه الأبيات :

إن نِلْتَ حُسْن ثنائي نلتَ مكْرُمةً ... ولستَ تَبْغِي بما قد نِلْتَه بَدَلا

إن الثناءَ لَيُحْيى ذِكْرَ صاحِبِه ... كالغيث يُحْيى نَداهُ السَّهْل والجبَلا

لا تَزْهَب الدهر في عُرْف بدأت به ... فكلُّ عَبْدٍ يُجازَى بالذي فَعلا

وفي أسفل الصفحة بعد تملُّك رئيس الكُتَّاب ، وأكثره مطموس وما استطعت قراءته هو : « بسم اللّٰه الرحمن الرحيم ، وقف هذا الكتاب رئيس الكتاب ... وجه اللّٰه الخالق ... سنة ١١٥٤هـ » .

وفي الصفحة الأخيرة نجد « تم الكتاب والحمد لله حمد الشاكرين وصلواته

على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين الطيبين وسلم تسليما كثيرا » .

وبالرغم من أن النسخة لا تحمل تاريخ كتابتها إلا أنني أرجح أنها أول ما صَنَّف البصري ، ودليلي على ذلك شيئان :

الأول : أن التقاريظ الموجودة بآخر هذه النسخة يحمل بعضها تاريخ قراءتهم لها وهو سنة ٦٤٧ ، فقد جاء هذا التاريخ في التقريظ الأول الذي كتبه الملك الناصر داود بن عيسى (٤: ١٧٥٩) والتقريظ الثالث الذي كتبه الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة (٤: ١٧٦٣) .

والدليل الثاني : هو هذه الزيادة الملحوظة في النسخة التي أخرجها المصنف في عام ٦٥١هـ أو قبله (وهي النسخة المعروفة بنسخة نور عثمانية) ، ثم الزياده البيِّنة في النسخة الأخيرة : التي أخرجها عام ٦٥٤هـ أو قبله (وهي النسخة المعروفة بنسخة راغب باشا) أخرج البصري الحماسة البصرية أول مرة في حدود سنة ٦٤٧ ، فلاقت قبولا واستحسانا ، وأثني عليها جلة علماء عصره ، كما يتضح من التقاريظ الملحقة بآخر هذه النسخة (انظر ٤: ١٧٥٧ - ١٧٨٤) ، فأقبل عليها ينقحها ، فحذف بعض أشعارها ، وأضاف غيرها ، ونقل قطعا من باب إلى آخر هو أولى بها ، ونسب من الشعر ما لم ينسبه أولا ، وصحح نسبة بعض الأشعار التي نسبها أولا إلى غير قائليها ، فكانت النسخة الثانية التي أخرجها عام ٦٥١هـ أو قبله ، ثم عاد مرة ثانية ينظر في هذه النسخة الثانية ، وفعل فيها ما فعل بالنسخة الأولى ، فكانت النسخة الثالثة والأخيرة التي صنفها سنة ٦٥٤هـ أو قبلها وسأعطي أمثلة قليلة لعمله في النسختين الأخريين وهما نور عثمانية = ن ، وعاشر أفندي = ع

١- إضافة قصائد ومقطوعات جديد : إلى النسخة الثانية (ن) ، ثم إضافة

أخرى إلى النسخة الأخيرة (راغب باشا = ر) بحيث أصبحت نسخة راغب تبلغ عدد قصائدها ومقطوعاتها ضعف ما في النسخة الأولى (ع) وقد أثبت ذلك في الهوامش .

٢- زيادة في عدد الأبيات التي اختارها في النسخة الأولى (ع) فمثلا عينية سُوَيْد بن أبي : كاهل (ما انقطع - ما اتَّسَع) رقم : ٢٠٢ أضاف إليها في نسخة [ن ،ر] الأبيات : ١ - ١٨. ودالية الأعشى (المُسَهَّدَا) رقم : ٤٨ أضاف إليها عشرة أبيات ، وفائية الفرزدق (يتَصَرَّفُ) رقم : ٤٢٣ اثني عشر بيتًا .

على أن هذه الزيادة أحيانا لا تلائم الباب الذي سلكها فيه ، فمثلا دالية الحطيئة (الخَـفَيْدَدِ) جاءت في النسخة (ع) سبعة أبيات في باب المديح ، ولكن أضاف إليها في (ن ،ر) عشرة أبيات في أولها فصارت سبعة عشر بيتا ، ولكن هذه الأبيات العشرة هي في وصف الناقة بينما الباب هو باب المديح ، فهو في اختياره الأول كان أكثر دقة .

٣ - إسقاط قطع اختارها في النسخة الأولى ، فلم يثبتها في النسخة الثانية ، ولكنه عاد فأثبت بعضها في النسخة الثالثة ، مثال ذلك رقم : ١٠٨، ١٤٨، ١٨٤، ٢٣١ ، ٥٨٣، ١٢٦٦، ١٤٨٦، وغيرها كثير . ولم أتبين له منهجا معينا يفسّر الحذف ثم الإعادة[١] .

٣ - إعادة تبويب بعض الأشعار لكونها تصلح أن تُدْرَج في أكثر من باب ،

(١) قد يحذف أبياتًا ؛ لأنها لا تتسق مع بقية الأبيات في الباب الذي أدرجها فيه ، مثال ذلك رقم : ٢٥ للأخنس بن شهاب (حانِبُ) فهي ثمانية أبيات في النسخة الأخيرة (ر) ، ولكنها في النسخة الثانية أربعة عشر بيتًا ، فحذف ستة أبيات ، وفيها يتكلم الشاعر عن منازل القبائل ، وذلك لا يدخل في باب الحماسة الذي وضع فيه الأبيات ، لذا حذفها من النسخة الأخيرة (راغب باشا) .

فمثلا يائية عبد يغوث أوردها في النسخة الأخيرة في باب الحماسة ، (رقم : ١٩٨) كذلك فعل بقصيدة مالك بن الريب في النسخة الأولى (ع) ، ولكنه عاد فنقلها في النسخة الأخيرة (ر) إلى باب الرثاء (رقم : ٦١٧) . وكلتا القصيدتين تتحدث عن شيء واحد ، وهو تفجّع الشاعر على نفسه لما أحس الموت ، ومن ثم صلحت قصيدة مالك أن تكون في باب الرثاء ، ولكن لما في قصيدة عبد يغوث من الأَزْل والشدة ، وضيق الحبس ، وذل الأَسْر ، وشماتة الأعداء ، وما فيها من تحسُّر على حياة خاض فيها غمار الحروب ، وكَرّ الخيولَ ، وسَبَأ الزِّقاق - صلحت أن تكون في باب الحماسة . وقُل مثل ذلك في المقطوعة سُحَيْم عبد بني الحَسحاس (الوَرِقِ) ، جاءت في (ع) في باب المديح ، لأن الشاعر يمدح نفسه ويشيد بعزته وإبائه ، ولكن البصري نقلها في النسخة الأخيرة (ر) إلى باب الأدب برقم : ٧٥٣ لأنها تتحدث عن صفات سامية . وأمثال هذا النقلِ كثيرةٌ جدا .

وهو أحيانا في هذا النقل يضم قطعا متفرقة من قصيدة واحدة فيجمع شملها عند النقل ، مثال ذلك اختار الأبيات ١٥ -١٧ من نونية ذي الإصْبع العَدْواني في باب الأدب برقم : ٩٤ دون نسبة في النسخة الأولى (ع) ، ثم البيتين ١٨ ، ٢٢ في نفس الباب برقم : ٧٥ ، وكذلك أبقاهما في النسخة الثانية (ن) برقم : ٧٤ ، ٩٣ على الترتيب ، ولكنه حذف ذلك كله من النسخة الأخيرة (ر) أو قُل أدمج أبياتهما مع أبيات أخرى ونقلها إلى باب الحماسة برقم : ١٤٣ في اثنين وعشرين بيتا . ومثال آخر لهذا الإدماج مقطوعة جميل (تُذْكَرِي) اختار منها في النسخة الأولى (ع) البيتين ٤ ، ٥ برقم : ٣ في باب النسيب ، ثم اختار منها الأبيات ١ ، ٢ ، ٥ ، ٦ في نفس الباب برقم : ٦٦ ، ولكنه أدمج القطعتين وجعلهما واحدة وأبقاهما في نفس الباب في النسخة الأخيرة (ر) برقم :

٨٤٦. والأمثلة على ذلك كثيرة[(١)] .

٤ - تصحيح نسبة الشعر، كما أضاف البصري ونقل وعدَّل، نسب من الشعر مالم ينسبه في النسخة الأولى . وصحّح ما نسبه فيها خطأً ، فمثال الأول أربعة أبيات وردت بدون نسبة في النسخة الأولى (ع) ، نسبها في الأخيرة (ر) إلى ذي الرمة برقم : ١٤٨٢ . ومثال الثاني رائية بِشْر بن عَوانة الشهيرة ، نسبها في النسخة الأولى (ع) إلى أبي زُبَيْد الطائي ، قاده إلى ذلك شهرة أبي زُبَيْد في وصف الأسد ، ولكنه صحح نسبتها في النسخة الأخيرة (ر) لبشر بن عَوانة برقم : ٢٢٣[(٢)] .

ومن الغريب أنه يورد أحيانا أبياتا صحيحة النسبة في النسخة الأولى (ع) مثل رقم : ٢٠٤ لابن ميَّادة ، ولكنه في النسخة الثانية يذكرها مهملة النسبة ، معزوّة إلى « آخر » ، ثم يعود في النسخة الأخيرة (ر) وينسبها لابن ميادة . وأشد غرابة من هذا أن ينسب أبياتًا في النسخة الأولى (ع) لشاعر ما مثل رقم ١٣٩٠ نسبها فيها إلى مُضَرِّس ، ثم أورد لها مهملة النسبة في النسخة الثانية (ن) ، ثم نسبها في النسخة الأخيرة (ر) إلى جِران العَوْد برقم : ١٣٩٠ . ويفوق ذلك غرابة أنه ينسب أبياتا على الصواب في النسخة الأولى وأحيانا الثانية ، ولكنه يغير هذه النسبة في النسخة الأخيرة خطًا ، مثال ذلك رقم ١٥٠ في باب الحماسة ، نسبها في النسخة

---

(١) انظر لبعضها رقم : ٢٢٩ لماجد بن مخارق الغنوي ، رقم : ٩٨٠ لابن الدمينة ، ١١٩٥ لمضرس بن ربعي .

(٢) انظر أمثلة أخرى رقم : ٧٧ لعمرو بن معديكرب ، رقم : ٦١٤ لثابت قُطْنَة ، ١٠٧٧ لأُحَيْحَة بن الجلاح ، ١٢٣٣ للأخطل ، وغيرها كثير .

الأولى (ع) والثانية (ن) إلى عِمران بن حِطّان ، وهو الصواب ، ولكنه نسبها في النسخة الأخيرة إلى شبيب الشاري وهو خطأ كما بيّنتَ في التخريج[1] .

هذه أمثلة قليلة جدًا من عمل البصري في كتابه ، تبين عن منهج أصحاب الاختيارات خاصة في انتقاء أشعارها وتنقيحها وإصلاح أوهامها ، والتوسع في مبانيها ، وهو مثال فريد قلما يتاح لنا نظيره . ولولا خشية الإطالة لأوردت جميع الأمثلة للنقاط الأربع التي ذكرتها هنا ، ولكن اكتفيت بأمثلة دالة على منهج البصري ، ونبهت على بقيتها في الهوامش .

وما يقدمه لنا التأليف الأول والثاني والثالث للحماسة البصرية لا نكاد نجد له نظيرا كما قلت ، فأكثر ما انتهى إلينا أخبار عن التأليف الأول والثاني ، وقد ذكر ابن النديم في الفهرست بعضا منها ، ككتاب الخراج لأبي القاسم عبيد اللّٰه بن أحمد بن محمد بن عبد اللّٰه بن الحسين الكلوذاني . قال « وله من الكتب كتاب الخراج ، نسختين ، أوله عملها في سنة ست وعشرين ، والثانية سنة ست وثلاثين وثلثمائة »[2] ، فبينهما عشر سنوات ولكن ابن النديم لا يحدثنا عن الفرق بين النسختين حذفا وإضافة ، أو تنقيحا وتعديلا . وكذلك قال عن كتاب البيان والتبيين للجاحظ بأن له نسختين ، أولى وثانية ، والثانية « أصح وأجود »[3] ، وكذلك قال عن كتاب الزِّيج لأبي عبد اللّٰه محمد بن جابر بن سنان الرَّقِّي (٣١٧) له نسختان « الثانية أجود »[4] .

---

(١) انظر أمثلة أخرى رقم : ٩٤ للهيثم بن الأسود ، ورقم : ٩٨٨ لرزين بن على الخزاعي .

(٢) الفهرست : ١٤٥ .

(٣) الفهرست : ٢١٠ .

(٤) نفس المصدر : ٣٣٨ .

ونحن نعرف أن ابن عربي ذكر أن لكتابه « الفتوحات المكية » نسختين ، أتمَّ أولاهما بمكة المكرمة سنة ٦٢٩هـ ، وأخرج الثانية بعدها بعشر سنوات ، سنة ٦٣٩هـ ، وأنه حذف من النسخة الثانية أشياء كانت في النسخة الأولى ، وأنه أضاف إلى النسخة الثانية أشياء خلت منها النسخة الأولى . ولم تصلنا -فيما أعلم- النسخة الأولى . ونحن نعرف أيضا أن التبريزي شرح حماسة أبي تمام ثلاث مرات ، شرحها أولا شرحا صغيرا ، فأورد كل قطعة من الشعر ثم شرحها ، وشرحها شرحا ثانيا بيتا بيتا ، ثم شرحها شرحا طويلا مستوفيا . والشرح الذي بين أيدينا اليوم هو الشرح الثاني . أما الشرح الأول فلم تصل إلينا منه إلا قطعة صغيرة تشمل باب الحماسة فقط ، محفوظة بدار الكتب المصرية (رقم : ١١٩٥) . أما الشرح الكبير فمفقود . وشرح النمري أيضا الحماسة مرتين ، ونَقَد هذا الشرح أبو محمد الأعرابي وسمى كتابه : « إصلاح ما غلط فيه أبو عبد اللّٰه الحسين بن علي النمري البصري مما فسّره من أبيات الحماسة أولا وثانيا » .

والقطعة الصغيرة التي وصلتنا من الشرح الأول للتبريزي على حماسة أبي تمام تكاد تكون الوحيدة التي تعطي نموذجا يتيح لنا النظر في طرق التأليف عند العلماء العرب ، ولكنها لصغرها ، ولفَقْد الشرح الكبير لا تقدّم لنا كبير مساعدة في هذا المجال . أما كتاب أحسن التقاسيم للمَقْدسي ، فقد ذكر أخي الدكتور أيمن فؤاد سيد أن له تأليفين ، يرتفع أحدهما وفقا لألفاظ المؤلف إلى عام ٣٧٥هـ أما الثاني - وهو الذي استعمله ياقوت - فقد أكمله بعده بثلاث سنوات ولا يخلو ذلك من مغزى للأوضاع السياسية في ذلك العهد . فقد رفع التأليف الأول للسامانيين ، بينما قدَّم الثاني إلى الفاطميين . وتعكس المخطوطتان المعروفتان لكتاب المقّدسي في آيا صوفيا وبرلين واللتين اعتمدت عليهما نشرة دي خويه de Goeje لكتاب هذا

الرأي ، وهو ما يراه كراتشكوفسكي صاحب التأليف المشهور عن الجغرافية العربية[1] .

وأنا لم أر هاتين المخطوطتين للمقارنة بينهما . ولذلك تظل الحماسة البصرية نموذجا فريدا لعملية التأليف الأول والثاني والثالث بالزيادة والحذف ، وتقصير الزيادة وردّ الحذف أو بعضه . زد على ذلك أن النسخ الثلاث التي وصلتنا نُسِخت كلها في حياة البصري .

وبعد ، أرجو أن أكون قد وفقت في إيضاح مناهج المصنفين -من خلال الحماسة البصرية - في كتب الاختيارات ، والأسس التي أقاموا عليها هذا الاختيار ، وما تناولوا به كتبهم بالحذف والزيادة والتعديل عند إعادة كتابتها . والحمد للّه حمدا كثيرا على ما وفَّق وأعان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه .

---

(١) الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات ، للدكتور أيمن فؤاد سيد. الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٧٧م، ٢ : ٣٦٥ .

كتاب البئر لابن الأعرابي والمصطلح الهندسي

المهندسة : بغداد عبد المنعم*

اتجهتِ الكتابات الأولى في التراث العربي نحو التوثيق والتسجيل خاصة في مجال اللغة ، وقد نتج عن هذا التسجيل إرث غني ضخم ، وإن « كتاب البئر » لابن الأعرابي (١٥٠ - ٢٣١ هـ/٧٦٧ - ٨٤٥ م) واحد من هذه الكتابات المبكرة التى اهتمت بالبئر بشمول واستقصاء ، فشكل مقدمةً لابد

---

* باحثة في التراث العربي ، حصلت على درجة الماجستير عن رسالة بعنوان « هندسة المياه الجوفية عند العرب » ، وفازت بجائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الجائزة العربية في تحقيق التراث - دورة ٩٥، ١٩٩٦) عن تحقيقها « إنباط المياه الخفية » للكرجي الذي نشره المعهد.

منها للأعمال المعجمية العربية التالية التي وجدت فيه مادة لغوية ثرّة تختص بالبئر والماء .

وبالرغم من السمة اللغوية لهذا الكتاب ، إلا أن تحليله باتجاه آخر يظهر فيه أبعادًا جديدة ذات طابع هندسي للأسباب التالية :

- فهو يجمع طائفة من الألفاظ التي توصف بها الآبار في حفرها واستخراج المياه منها .

- يحدد أجزاء البئر (مقطع - جوانب - قعر) بأشكالها المختلفة .

- يحدد أسماء وصفات الأدوات الملحقة بالبئر .

- يحدد أسماء وصفات الآبار في أحوالها المختلفة (الشكل - الغزارة - الصيانة) .

وقد استطعت أن أعيد تصنيف الأسماء في مجموعات جديدة تبعًا لحالات هندسية معينة .

إن دراسة هذا الكتاب تضعنا أمام إمكانات عديدة لاستنتاج آلية التطور الذي سارت عبره عمليات إنشاء الآبار واستثمارها ، وإن غنى هذا الموضوع لغويًا يعكس غنًى في التفاصيل التطبيقية الهندسية ، ويكشف عن حضارة تعاملت بدقة مع الأشياء ، فقد تعاملت بتسعين لفظًا مختلفًا مع حالات الآبار وتنوعها ، وبخمسة ألفاظ مختلفة (درجات) حددت صلاحية الماء للشرب الإنساني .

لقد استكشفت اللغة في هذا الكتاب حين تُمَثِّلُ حضارتها تمامًا . واستطعت أن

أبني من هذه الذخيرة اللفظية حلقة متكاملة في تاريخ علم المياه ، فهذه الألفاظ لا يمكن إلا أن تكون وليدة ظروف حضارية عميقة ؛ (يبدو أن شبه الجزيرة العربية قد سكنتها المجموعات والشعوب السامية الأولى منذ أواخر العصر المطير الثاني ... وليس ثمة شك في أن سيادة الظروف المتعلقة بالوفرة النسبية في سقوط المطر وانتظامه كانت تمكنهم من الحياة بطريقة مناسبة ومطمئنة ، ولكن عندما بدأ عصر الجفاف ... تعرضت الحياة في شبه الجزيرة العربية لصفات الصحراء وشبه الصحراء ، وخضعت للشح والفقر في كمية المطر السنوي)[1] .

لقد تعاملت مع هذا النص التراثي الثَّرّ والمبكر من خلال :

أولًا : وجهة نظر هندسية – مائية ، وهذا ما انتهى بي إلى ضرورة تصنيف جديد وصياغة جديدة له ، تكسبه أهمية جديدة ، ولعلها أهميةٌ تجديدية ، فالبحث في التراث لايعني كشفًا فحسب ، وإنما إظهار إمكانيات جديدة قابلة لـ « العصرنة » .

ثانيًا : حاولت عن طريق الفصل بين الألفاظ توظيف اللفظ لأداء معنى محدد تماما ، ولم أتركه هائمًا مضيعًا في تناثر بعيد عن التصنيف .

ثالثًا : هذا التصنيف أفضى بي إلى إحصاء مجموع الألفاظ التي تدل على حالة من حالات الآبار أو صفة من الصفات الفيزيائية للماء ، والإحصاء استنتاج

---

(١) جغرافية الوطن العربي الكبير ، د . صلاح الدين علي الشامي ، د . فؤاد محمد الصقار . ط ٢، منشأة المعارف . الإسكندرية ، ص ٥٧١.

يتعلق بتنوع الحالات والتعامل معها عند العرب في هذا المجال .

رابعًا : إني قد عثرت في هذا الكتاب على رصيد كبير من الألفاظ القديمة المماتة ... فهي تكاد تكون الأداة الرئيسة المستعملة اليوم لوضع المصطلحات الجديدة في اللغات الأوروبية ، وإنِ اختلفت طبيعة تلك اللغات بعض الشيء عن لغتنا العربية ، فهم يرجعون في الأكثر إلى أصول اللغة اللاتينية أو اليونانية القديمة(١) .

وقد بينت إمكان تحويل عدد لا بأس به من الألفاظ إلى مصطلحات ، عوضًا عن المصطلحات التي دخلت كتاباتنا العلمية عن طريق التعريب (٢) أو الترجمة الحرفية التي اعتمدت في غالب الأحيان على الاجتهاد الفردي للمؤلف .

خامسًا : إنها محاولة باتجاه اكتشاف بنية النص من خلال تفكيكه ، وإني أعتقد أن هذه القراءة الهندسية لهذا النص هي إحدى القراءات الممكنة له ، فإنه « يأتي علم الخطاب الحديث ليؤكد لا نهائية القراءات الممكنة للنص نفسه »(٣) .

---

(١) مجلة عالم الفكر ، مج ١٩، عدد (٤) ١٩٨٩ : تعريب المصطلح العملي ، قاسم السارة ص ٩٥٥ - ٩٥٦.

(٢) التعريب يعني إدخال اللفظ الأعجمي في اللغة العربية – أي كتابته بحروف عربية وإعطاؤه حكم اللفظ العربي – سواء أمكن جعله على وزن من الأوزان العربية أم لا .

(٣) علي نبيل : العرب وعصر المعلومات . عالم المعرفة (١٨٤) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت ١٩٩٤ ، ٤٦٤ ص ، ص ٣٣١.

حياة ابن الأعرابي ومؤلفاته :

جاء ذكر ابن الأعرابي في الفهرست في النحويين واللغويين الكوفيين ، فذكر ابن النديم أنه : « أبو عبد اللّه محمد بن زياد الأعرابي ، قرأت بخط أبي عبد اللّه بن مقلة ، قال أبو العباس ثعلب : شاهدت مجلس ابن الأعرابي وكان يحضره زهاء مائة إنسان وكان يسأل ويقرأ فيجيب من غير كتاب . قال : ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتابا قط . ومات بـ « سُرَّ من رأى » ، وقد جاوز الثمانين . وقال أبو العباس : قد أملى على الناس ما يحمل على أجمال ، لم ير أحد في علم الشعر أغزر منه ...»[1] .

ومات ابن الأعرابي سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، وله من الكتب :

- كتاب الألفاظ .
- كتاب الأنواء .
- كتاب تنسيق الأمثال .
- كتاب الخيل . مخطوط إسكوريال ثان ١٧٠٥ ، نشره ليفي لافيدافي / ١٩٢٨] .
- كتاب الذباب .
- كتاب صفة الزرع .

---

(١) الفهرست لابن النديم ، صياغة حديثة ، محمد بن إسحاق النديم . تحقيق د . ناهد عباس عثمان ، ١٩٨٥، دار قطري بن الفجاءة . ٧٢٥ ص ، ص ١٣٦ - ١٣٧.

- كتاب صفة النخل .
- كتاب مدح القبائل .
- كتاب معاني الشعر .
- كتاب النبات .
- كتاب النبت والبقل .
- كتاب نسب الخيل .
- كتاب النوادر .
- كتاب نوادر بني فقعس .
- كتاب نوادر الدبيريين[1] .

كتاب البئر[2] : حققه وقدم له ووضع فهارسه د . رمضان عبد التواب .

وقد ذكر د . رمضان عبد التواب في مقدمة تحقيقه لهذا الكتاب ترجمة وافية لابن الأعرابي ، فتحدث عن مؤلفاته بالتفصيل والمصادر التي تحدثت عنه ، فمن شيوخ ابن الأعرابي : الكسائي ، وابن السكيت ، والطوسي . ويمكننا استنتاج أن ابن الأعرابي كان نحويًا عالما باللغة والشعر ، واستطاع أن يجمع هذه الطوائف من الألفاظ في فترة مبكرة .

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٧- ١٣٨.

(٢) بروكلمان ، كارل ، تاريخ الأدب العربي ، نقله إلى اللغة العربية د . عبد الحكيم النجار - جامعة الدول العربية ، دار المعارف ، ج ٢، ص ٢٠٥ ، (بدون تاريخ) .

إعادة تصنيف الكتاب من وجهة نظر هندسية :

أقوم هنا بإعادة تصنيف الكتاب من وجهة نظر هندسية ، وأدرس الألفاظ وأحللها هندسيًا ، وأقترح بعض المصطلحات الجديدة .

أ – تبعا لمستوى سطح الماء في البئر بالنسبة لسطح الأرض :

١ – ماء رَفَق : القريب الغِشاء القصير الرِّشاء[١] .

٢ – ماء باسط : بعيد[٢] .

٣ – ماء مُطْلِب : إذا أبى أن يُطلَب[٣] .

٤ – ماء عَضُوض : بعيد القعر[٤] .

دراسة الجدول – أ :

١ – بلغ عدد المفردات التي عبرت عن حالة (مستوى سطح الماء في البئر) أربع مفردات ، عبرت عن القرب والبعد بدرجاته .

٢– حاليًا تقسم الآبار حسب عمقها إلى قسمين :

– **آبار ضَحلة** : تصل أعماقها إلى ٣٥ م ، تستقبل المياه من التربة الجوفية الواقعة تحت تربة منفذة ، وقد تتلوث مياهها بالمياه السطحية الراشحة من خلال التربة .

– **آبار عميقة** : وهي التي يزيد عمقها عن ٣٥ م وتستقبل مياهها من الطبقة

---

(١) (٢) (٣) (٤) : كتاب البئر . أبو عبد اللّه محمد بن زياد الأعرابي . حققه وقدم له الدكتور رمضان عبد التواب . دار النهضة العربية . بيروت ١٩٨٣. ص ٦٠.

المائية الواقعة تحت طبقة غير منفذة ، واحتمال تلوث مثل هذه الآبار نادر [1] .

ويجب أن نلاحظ كيف أن صفة الضحلة لا تدل على قرب المستوى ، وأن كلمة « ماء رفق » تؤدي المعنى تماما ، أما الآبار العميقة فيمكن أن تعبر كلمة « ماء مُطِلب » ، أو « بئر طلوب » [2] ، عن المعنى بكل ارتياح وبحركية عالية تتجاوز الترجمة الحرفية التي خضعت لها الكلمة .

٣- اقتراح استخدام المفردات كمقابل لبعض المصطلحات الأجنبية :

المصطلح المقترح	**الترجمة كما وردت في بعض المراجع العلمية الحديثة**	**المصطلح**
ماء مُطِلب - بئر طلوب	(٣) بئر عميقة	Deep Well
	(٤) بئر عميق	Deep Well
ماء رَفَق	(٥) بئر ارتوازية غير تدفقية	Non Flowing Artesian

---

(١) داردكة خليفة ، هيدرولوجيا المياه الجوفية . دار البشير - ١٩٨٨، ٤٧٢ ص . ص ١٥٧.

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، دار المعارف - القاهرة ج . م . ع (بدون تاريخ) ، (طلب) .

(٣) مصطلحات علمية : مصطلحات الهندسة المدنية . إنكليزي - عربي - مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد - ١٩٨٢.

(٤) سلاوي محمد سعيد ، هيدرولوجيا المياه السطحية . (مصطلحات) ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، ط ١، ٦٠٦ص .

(٥) داردكة خليفة ، هيدرولوجيا المياه الجوفية (المصطلحات) ، دار البشير ، ١٩٨٨، ٤٧٢ص .

نلاحظ كيف أن نفس المصطلح Deep Well ترجم ترجمة حرفية بشكلين أحدهما خاطئ (بئر عميق) . ويجب أن نلاحظ أن هناك كلمات أخرى (باسط - عضوض) تصلح لحالات أخرى مختلفة، كمثل استخدام آلة في استخراج المياه مع بعدها حيث يستخدم مصطلح ماء عضوض أو باسط .

ب - تبعًا لغزارة ماء البئر أو ضحالته :

١ - بئر نَضُوض : وهي التي يجتمع ماؤها قليلًا قليلاً [1] .

٢ - بئر رَشُوح : وهي التي يجتمع ماؤها قليلًا قليلاً [2] .

٣ - بئر بَرُوض : وهي التي يجتمع ماؤها قليلًا قليلاً [3] .

٤ - مَكُول : وهي التي يجتمع ماؤها قليلًا قليلاً [4] .

٥ - السَّعْبَر : الغزيرة [5] .

٦ - الخِضْرِم : الغزيرة [6] .

٧ - العَيْلَم : الغزيرة [7] .

٨ - بئر ماهَة ومَيِّهَة : كثيرة الماء [8] .

٩ - قَلَيْذَم : إذا كانت كثيرة الماء [9] .

---

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) : كتاب البئر ص ٦٠.

(٥) ، (٦) ، (٧) : كتاب البئر ص ٦٤ .

(٨) كتاب البئر ص ٦٤.

(٩) كتاب البئر ص ٦٣ .

١٠ – عِدٌّ : ما كان نبضُهُ من الأرض يَجُمّ عشر قِيَمٍ إلى ثلاثين قامة [(١)] .

١١ – ماء مُدْرَع : قريب من المرعى [(٢)] .

١٢ – بئر ذَمَّة : قليلة الماء [(٣)] .

١٣ – بئر ناكِز : إذا قل ماؤها [(٤)] .

١٤ – الثّمْد : أن يكون كالبئر إلا أنه لا يكون من عيون إذا انقطع حفر ذراعين أو قامة فيخرج فيُشرَب أيامًا فينقطع [(٥)] .

دراسة الجدول – ب :

١ – بلغ عدد المفرادت المعبرة عن غزارة ماء البئر أو ضحالته أربع عشرة ، منها أربعة ألفاظ (نضوض – رشوح – بَرُوض – مَكُول) تعبر عن آلية بطيئة لتجمع المياه في البئر . وستة ألفاظ تعبر عن كبر الغزارة (السعْبر – الخِضْرِم – العَيْلَم – ماهَة (ميِّهة) – قَلَيْذَم – عِدٌّ) ، ولفظان للدلالة على تدني الغزارة (بئر ذَمَّة – الثّمْد) ، ولفظ للدلالة على تراجع الغزارة (ناكِز) ، ولفظ للدلالة على علاقة لماء البئر مع العشب من حولها (مُدْرَع) .

---

(١) كتاب البئر ص ٦٥ .
(٢) كتاب البئر ص ٦٠ .
(٣) كتاب البئر ص ٦٢ .
(٤) كتاب البئر ص ٦٤ .
(٥) كتاب البئر ص ٦٦ .

٢- اقتراح استخدام المفرادت كمقابل لبعض المصطلحات الأجنبية :

المصطلح المقترح	الترجمة كما وردت في بعض المراجع العلمية الحديثة	المصطلح
بئر رشوح	(١) بئر الرشح	Diffusion Well
بئر ماهة / ميهة	(٢) بئر فورية	Driven Well
عد	(٣) بئر ذاتي التدفق	Flowing Well
عد	(٤) بئر تدفقية	Flow Well
ماء ثمد	(٥) المياه تحت الأرضية	Under ground Water
بئر مرشحية	(٦) بئر مرشحية	Filter Well

يلاحظ أنني اقترحتُ « بئر رشوح » للمصطلح الأول ، أي هو بحد ذاته في خصائص تربته ووضع الماء الجوفي أن يرشح الماء إليه ، بالإضافة إلى أن كلمة (Diffusion) تتضمن معنى النشر ، أما المصطلح الأخير (Filter Well) فيتضمن

(١) السلاوي - مصطلحات .
(٢)المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق .
(٤) درادكة - مصطلحات .
(٥) المصدر السابق .
(٦) مصطلحات علمية : مصطلحات الهندسة المائية إنكليزي عربي - مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٤ م .

وجود أداة أو آلة ، ومن ثم فإن ترجمة المصطلح تعتبر معقولة (مرشحية ، فهي مصدر من مرشحة أي مصفاة) ، وقد اخترت كلمة (عد) للدلالة على (Flowing Well) لأنها تتضمن بالإضافة إلى ما ذكر في « كتاب البئر » معنى الماء الدائم الذي له مادة لا انقطاع لها [1] ، والملاحظ أيضًا أن الألفاظ العربية أكثر من المصطلحات الأجنبية المعبرة عن هذه الحالة ، والتي وجدتها في مراجع متخصصة ، ويمكن أن نستفيد منها للتعبير عن حالات جزئية عديدة .

جـ - تبعًا لتأثير ماء المطر على غزارة البئر :

١ - بئر قَطُوع : إذا كانت قَلَّتِ الأمطارُ قَلَّ ماؤُها [2] .

٢ - بئر واتِنة : إذا دام ماؤُها في المطر والقيظ [3] .

- دراسة الجدول - جـ :

١- عدد المفردات المعبرة عن حالة (تأثير ماء المطر على غزارة ماء البئر) مفردتان ، عَبَّرت إحداهما عن التأثر (قَطُوع) ، والأخرى عن عدم التأثر (واتِنَة) .

٢- اقتراح استخدام المفرادت كمقابل لبعض المصطلحات الأجنبية :

(١) اللسان (عدد) .
(٢) كتاب البئر ص ٦١ .
(٣) كتاب البئر ص ٦٣ .

المصطلح المقترح	الترجمة كما وردت في بعض المراجع العلمية الحديثة	المصطلح
بئر واتِنة	(١) بئر ارتوازية	Artesian Well
	(٢) بئر ارتوازي	Artesian Well

يلاحظ الخطأ في كلمة (ارتوازي) من قبل مترجم المصطلح ، وفي الحالتين (بئر ارتوازية - بئر ارتوازي) ، اتجه المترجم إلى التعريب بأن أدخل اللفظ الأجنبي في اللغة ، في حين لدينا « بئر واتنة » تغطي المصطلح وتؤدي نفس المعنى ؛ لأن الواتن أيضا : الماء المعين الدائم الذي لا يذهب[٣] .

وهذا ينطبق على (البئر الارتوازية) التي تحفر في طبقة مائية مضغوطة ، فيرتفع الماء إلى أعلى من سقف الطبقة الحاملة للماء ، ويسمى هذا المستوى بالمستوى البيزومتري ، وفي بعض الحالات يرتفع مستوى الماء في البئر فوق سطح الأرض حيث يتدفق الماء . وفي الحالتين يكون معينا ، أي تراه العين .

د - تبعًا لحركة الماء في البئر :

١ - الثائِب : إذا استقِي ماؤها جَمَّت بماء آخر[٤]

٢ - بئر جَمُوم : سريعة رجوع الماء ، ويقال للماء إذا خرج من عيونه فارتفع في

---

(١) درادكة - مصطلحات .

(٢) السلاوي - مصطلحات .

(٣) اللسان (و ت ن) .

(٤) كتاب البئر ص ٦١ .

البئر : جم يجم جمًّا ، والماء نفسه الجم[1] .

٣ – الحِسْي : دائم لا ينقطع[2] .

٤ – نَيِّط : التي يخرج ماؤها من عُرْضِها[3] .

٥ – الظَّنُون : وهي التي يأتي ماؤُها مرة ويذهب أخرى[4] .

٦ – هُزْهُزُ : يهتز بالماء[5] .

– دراسة الجدول – د :

١– عدد المفردات المعبرة عن حالة (حركة الماء في البئر) ست ، عبرت عن حركات مائية مختلفة في البئر ، فللدلالة على استمرار رجوع الماء إلى مستواه الأصلي بعد نزح الماء مفردتان : (الثائِب – بئر جَمُوم) ، وللدلالة على حركة بطيئة للماء عبرالرمل : (الحِسْي) ، وللدلالة على قرب المستودع المائي فيدخل الماء من جوانب البئر : (نَيِّط) ، وللدلالة على عدم ثبات المستوى المائي في البئر : (الظنون) ، واللفظ السادس (هُزْهُز) ، للدلالة على حركة في ماء البئر .

٢ – تفيد مجموعة هذه الألفاظ في دراسة هيدروليكيا الآبار (حركة الماء في البئر وحوله) Well Hydraulies[6] .

---

(١) كتاب البئر ص ٦٢ .

(٢) كتاب البئر ص ٦٦ .

(٣) كتاب البئر ص ٦٤ .

(٤) كتاب البئر ص ٦١ .

(٥) كتاب البئر ص ٦٣ .

(٦) السلاوي – مصطلحات .

حيث يتم الربط بين الجريان في الآبار والهبوط في المستوى المائي أو السطح البيزومتري الذي ينتج عن عملية ضخ المياه من الآبار ، فالجريان الثابت المتوازن لايحدث فيه تغيرات مع الزمن إلا نادرا ، وبعد توقف عملية ضخ المياه في البئر يعود المستوى المائي إلى حالة الثبات وهو ما يدل عليه لفظ (الثائب أو الجموم) ، أما في الجريان غير الثابت ، فيعتمد هبوط المستوى المائي على الزمن منذ بداية الضخ ، ويمكن أن تعبر كلمة (الظنون) عن هذه الحالة .

٣ - اقتراح استخدام المفردات كمقابل لبعض المصطلحات الأجنبية :

المصطلح المقترح	الترجمة كما وردت في بعض المراجع العلمية الحديثة	المصطلح
الحِسْي	(١) المياه المعلقة	Perched Water

لأن (المياه) المعلقة هي المياه المتجمعة فوق الطبقات غير النفاذة التي تعلو مستوى المياه الجوفية والموجودة في نطاق التهوية ، ويرتبط تكوين هذه المياه بوجود عدسات بينية وعدسات صغيرة ذات نفاذية ضعيفة ، مثل : الطين والطمي ، والتي تحجز مياه الهطل المترشحة والمياه الفيضانية والمتكاثفة ، وتكون سماكتها عادة صغيرة لا تتجاوز (١ - ٢م) . فبالإضافة إلى ما ذكر في كتاب البئر عن (الحِسْي) ، فقد جاء في اللسان : « الحِسْي : حفيرة قريبة القعر ، قيل : إنه لا يكون إلا في أرض أسفلها حجارة وفوقها رمل ، فإذا أمطرت نشفه الرمل ، فإذا انتهى إلى الحجارة أمسكته »(٢) .

---

(١) درادكة - مصطلحات .

(٢) اللسان (ح س ي) .

وهكذا نرى كيف أن الكلمة معبرة تماما عن الحالة دون أن نضطر إلى هذا التركيب الغريب (المياه المعلقة) .

هـ - تبعًا لوضعية البئر بالنسبة للآبارالأخرى :

١ - بئر ضَغِيط : إذا كانت البئر إلى جنبها بئر أخرى تَضُرّ بها[١] .

٢ - بئر مَأْطورَة : إذا كانت البئر إلى جنبها بئر أخرى تَضُرّ بها[٢] .

- دراسة الجدول - هـ :

١- عدد المفرادت المعبرة عن حالة (وضعية البئر بالنسبة للآبار الأخرى) مفردتان (بئر ضَغِيط - بئر مَأْطورَة) .

٢- اقتراح استخدام المفردات كمقابل لبعض المصطلحات الأجنبية .

المصطلح المقترح	الترجمة كما وردت في بعض المراجع العلمية الحديثة	المصطلح
ظاهرة تضاغط الآبار	(٣) تداخل الآبار أو تأثير الضخ في بئر على بئر أو آبار أخرى متجاورة	Well interference
	(٤) تداخل الآبار	Interference of Wells

(١) ، (٢) : كتاب البئر ص ٦٢ .
(٣) السلاوي - مصطلحات .
(٤) رفاعي محمود فيصل . الهيدرولوجيا الهندسية . (مصطلحات) منشورات جامعة حلب - كلية الهندسية ، ١٩٨١ - ١٩٨٢، ٣٦٥ ص .

فيمكن أن نطلق على البئر منها بأنه بئر ضغيط أو بئر مأطورة ، والحالة يمكن أن تسمى بشكل أكثر أصالة (تضاغط الآبار) . ينتج عن هذه الظاهرة أن مستوى المياه الجوفية سوف يهبط بسرعة عند الضخ من هذه الآبار بنفس الوقت ، وكذلك فإن مخاريط الانخفاض لهذه الآبار سوف تتداخل مع بعضها .

و - تبعًا للمقطع العرضي للبئر .

١ - القَلِيب : إذا دَوَّر رأسها(١)

٢ - الحَفَر : الواسعة الرأس لأنها ربما تقوضت واتسع رأسها وربما كانت غير بعيدة القعر(٢) .

٣ - بئر سُكٌّ : إذا كانت ضيقة(٣) .

- دراسة الجدول - و :

١- عدد المفردات المعبرة عن حالة (المقطع العرضي للبئر) ثلاث مفرادت ؛ واحدة للتعبير عن المقطع الدائري : (القليب) . والثانية للتعبير عن اتساع المقطع العرضي العلوي للبئر : (الحفر) . والثالثة للتعبير عن ضيق المقطع : (سك) .

٢- اقتراح استخدام المفردات كمقابل لبعض المصطلحات الأجنبية :

---

(١) ، (٢) : كتاب البئر ص ٥٨.

(٣) : كتاب البئر ص ٦٢ .

المصطلح المقترح	الترجمة كما وردت في بعض المراجع العلمية الحديثة	المصطلح
بئر سُكٌّ	(١) بئر محفورة	Bored Well
	(٢) بئر محفورة	Bored Well

إن الآبار (Bored Wells) والتي يستخدم المثقب لحفرها ، وتتراوح أقطارها بين/ ٢٥٠ - ٦٠٠ / ملم ، حيث يتم دفعه داخل الأرض يدويا أو آليا ... وبعد أن يصل المثقب إلى الطبقة المائية يتم تغليف البئر بالأسمنت - تعبر عن هذه الحالة (بئر سك) أو (آبار سكاك) ، فقد جاء في اللسان : « إذا ضاقتِ البئر فهي سك ، وهي التي أحكم طيها في ضيق »[٣] .

ز- تبعًا للمقطع الرأسي للبئر :

١ - الشَّطُون : التى في جِرَابِها عِوَج لا يخرج دلوها إلا بحبلين[٤] .

٢ - بئر بَيُون : يَبِينُ حبلُها عن يد صاحبها لعِوَجٍ في جِرَابِها[٥] .

٣ - بئر زَوْرَاء : إذا كان في حَلْقِها عِوَج[٦] .

٤ - بئر دَحُول : إذا كان في حَلقِها عِوج[٧] .

---

(١) السلاوي - مصطلحات .

(٢) درادكة - مصطلحات .

(٣) اللسان - (س ك ك) .

(٤) كتاب البئر ص ٥٩ .

(٥) ، (٦) ، (٧) : كتاب البئر ص ٦١ .

٥ - بئر خَسِيف :   إذا أُنفذت في الجبل وهي التي خُسِفَ جَبَلُها[١] .

دراسة الجدول - ز :

١ - عدد المفردات المعبرة عن حالة (المقطع الرأسي للبئر) ، خمس مفردات ؛ ثلاث للتعبير عن عدم استقامة جدران البئر (الشُّطُون - بئر بَيُون - بئر زَوْرَاء) . مفردة واحدة للدلالة على عدم الاستقامة مع اتساع القطر (دَحُول) والمفردة الخامسة للدلالة على حفر البئر في أرض صخرية (بئر خَسِيف) .

٢ - اقتراح استخدام المفردات كمقابل لبعض المصطلحات الأجنبية .

المصطلح المقترح	**الترجمة كما وردت في بعض المراجع العلمية الحديثة**	**المصطلح**
(تصلح المفردات السابقة لتغطية هذا السجل)	(٢) سجل البئر - وصف وتمثيل مقطع البئر الرأسي	Well Log

حـ - حسب عمر البئر (بدء الحفر) :

١ - الفَقِيرُ :   هي التي فُقِرَ جَبَلُها فاتخذتْ حديثًا[٣] .

٢ - البَدِيُّ :   الجديد[٤] .

---

(١) كتاب البئر ص ٥٦ .

(٢) السلاوي - مصطلحات .

(٣) ، (٤) : كتاب البئر ص ٥٨ .

٣ – البَدْء : إذا ابتدأ حفر البئر[(١)] .

٤ – بئر لَقِيط : إذا كانت عادية فالتُقطت[(٢)] .

٥ – بئر خَفِيَّة : إذا كانت عادية فالتقطت[(٣)] .

– دراسة الجدول – ح :

١– عدد المفردات المعبرة عن (عمر البئر) خمس مفردات ، ثلاث تعبر عن حداثة الحفر (الفقير – البدي – البدء) ومفردتان للدلالة على قدم الحفر وإعادة استكشاف البئر (بئر لقيط – بئر خفية) .

٢– اقتراح استخدام المفردات كمقابل لبعض المصطلحات الأجنبية :

المصطلح المقترح	الترجمة كما وردت في بعض المراجع العلمية الحديثة	المصطلح
عادِيَّة – خَفِيَّة	(٤) بئر مهجورة أو قديمة	Abandoned Well
الفقير	(٥) الآبار الأفقية	**Horizontal Well**

فإذا كانت بئر قديمة يقابلها (عادية) وهي من الألفاظ الأصلية للدلالة على القدم الشديد ، فإن تم إعادة استكشافها فهي خفية أو لقيط . أما الفقير فهو بالإضافة إلى حداثة الحفر ، فإن صاحب اللسان ينص على : « الفقير : الآبار المجتمعة الثلاث

---

(١) كتاب البئر ص ٥٤ .
(٢) ، (٣) : كتاب البئر ص ٦٥ .
(٤) السلاوي – مصطلحات .
(٥) درادكة – مصطلحات ص ١٦١ .

فما زادت ، وقيل هي آبار تحفر وينفذ بعضها إلى بعض وجمعه فقر »[1] ، وهذه الكلمة يمكن أن تعبر عن « Horizontal Well » خير تعبير . وهي آبار تحفر بين الفترة والأخرى في الأسفل أو بالقرب من الجداول بهدف جمع المياه ، وتعتبر حرة التدفق .

ط – من حيث طريقة تبطين الجدران الداخلية للبئر :

١ – الطَّويُّ : والجمع أطواء[2] .

٢ – المَعرُوشة : إذا طويت بالخشب[3] .

٣ – المَزْبَورة : المطوية بالحجارة وغير الحجارة[4] .

– دراسة الجدول – ط :

١– عدد المفردات المعبرة عن « طريقة تبطين الجدران الداخلية للبئر » ثلاث مفردات : (الطَّويُّ – المَعْرُوشة – المَزْبُورة) ، عبرت عن المواد المستخدمة إن كانت حجارة أو خشبًا ونسبتها ، فالطوي يدل على البئر المطوية بالحجارة بشكل عام – في حين تشير المزبورة إلى طريقة الرصف بالحجارة أيضا ، و « الزبر : وضع البنيان بعضه على بعض »[5] . والمعروشة تبطن من أسفلها بالحجارة ، وتتم عملية التبطين بالخشب .

٢– اقتراح استخدام المفردات كمقابل لبعض المصطلحات الأجنبية :

---

(١) اللسان (ف ق ر) .

(٢) كتاب البئر ص ٥٨ .

(٣) ، (٤) : كتاب البئر ص ٥٩ .

(٥) اللسان (ز ب ر) .

المصطلح المقترح	الترجمة كما ورت في بعض المراجع العلمية الحديثة	المصطلح
طيُّ البئر	(١) الغلاف الحصوي للبئر	Gravel Pacleing of Well
الطَّويُّ / المطوية	(٢) بئر مغلفة أو مبطنة	Cased Well

ك – حسب طريقة الاستقاء من البئر :

١ – قَدُوح : التى لا يؤخذ ماؤها إلا غرفًا[٣] .

٢ – مَتُوح : إذا استُقِى بالدلو منها[٤] .

٣ – بئر نَزُوع : إذا كانت على بكرة تُنزع باليد نزعًا[٥] .

٤ – نَشُوط : التي حبلُها نشطة واحدة[٦] .

٥ – إنشَاط : إذا خرج دلوها بجذبة واحدة[٧] .

٦ – غَرُوف : إذا كان يُغرف منها باليد[٨] .

– دراسة الجدول – ك :

١ – عدد المفردات المعبرة عن (طريقة الاستقاء من البئر) ست مفردات ، تدل

---

(١) السلاوي – مصطلحات .

(٢) درادكة – مصطلحات .

(٣) كتاب البئر ص ٦١ .

(٤) ، (٥) ، (٦) ، (٧) : كتاب البئر ص٥٩ .

(٨) : كتاب البئر ص ٦٣ .

على الكيفية التي يتم بها الحصول على الماء من البئر ، فإذا كان يحصل على الماء باستخدام الأيدي فقط ، فهي (قدُوح - غَروف) ، فإذا استخدم الدلو والبكرة ، فهي (مَتُوح) ، فإذا استخدم الدلو دون البكرة ، فهي (نَزُوع) . أما التي تحتاج الى جهد كبير في جذب الحبل وإخراج الدلو فهي (نَشُوط) . والتي لا تحتاج إلى جهد كبير لإخراج الحبل فهي (إنْشَاط) .

٢- اقتراح استخدام المفردات كمقابل لبعض المصطلحات الأجنبية :

المصطلح المقترح	الترجمة كما وردت في بعض المراجع العلمية المختصة	المصطلح
غَرُوف	(١) بئر ارتوازية غير تدفقية	Non Flowing Artesian Well

ويلاحظ أن هناك فائضا من المفردات التي عبرت عن كل الحالات الممكنة الإضافية والجزئية ، والتي يمكن تطويرها للدلالة على استخدام أدوات وتقنيات معينة في استخراج المياه ، مثل كلمتي (متوح - نزوع) .

ل - حسب وجودها بالنسبة لسطح الأرض :

١ - بئر نَثُول : إذا اندفنت ثم أُخرج ترابُها وليس بجديد[٢] .

٢ - دَفِن/دِفَان : إذا اندفنت[٣]

(١) درادكة ، (مصطلحات) .

(٢) ، (٣) : كتاب البئر ص ٦٥.

- دراسة الجدول – ل :

١– عدد المفردات المعبرة عن حالة (وجود البئر بالنسبة لسطح الأرض) مفردتان ، تدل إحداهما (نثول) على بئر تم إزالة التراب منها وعنها . والأخرى (دفن / دفان) تدل على بئر قد اندفنت .

٢– اقتراح استخدام المفردات كمقابل لبعض المصطلحات الأجنبية :

المصطلح المقترح	**الترجمة كما وردت في بعض المراجع العلمية الحديثة**	**المصطلح**
نَثْل البئر	(١) كبس أو حقن البئر وذلك لتنظيفه	Surging of the Well
دَفِن – دِفَان	(٢) بئر مدفونة (مغطاة)	Buried Well

إن تعبير (نثل البئر) يعبر عن المطلوب من المصطلح ، وليست الترجمة العربية إلا شرحًا مطوّلًا للمصطلح .

م – حسب الصيانة المطبقة عليها :

١ – بئر سُدْم : إذا عُطِّلَت حتى تخرب[٣] .

---

(١) السلاوي – مصطلحات .

(٢) درادكة – مصطلحات .

(٣) كتاب البئر ص ٦٥ .

٢ – بئر مَجْشُوشَة : جُشُّوا بئركم : أي اكنُسُوها[١] .

٣ – مَجْهُورَة : إذا نُقِّيَتْ حتى تذهب حَمْأَتُهَا ويظهرَ حُرُّ طينِها[٢] .

– دراسة الجدول – م :

١ – عدد المفردات المعبرة عن « الصيانة المطبقة على البئر » ثلاث مفردات ؛ الأولى تعبرعن إنهاء عمل البئر وتعطيلها لسبب من الأسباب (بئر سُدْم) ، والثانية تعبر عن كنس البئر (بئر مَجْشُوشة) ، والثالثة تعبر عن التنظيف الدقيق (بئر مَجْهُورَة).

٢– اقتراح استخدام المفردات كمقابل لبعض المصطلحات الأجنبية :

المصطلح المقترح	الترجمة كما وردت في بعض المراجع العلمية الحديثة	المصطلح
جَهْر البئر	(٣) معالجة البئر	Well Treatment
	(٤) معالجة البئر أو تنشيط البئر	Well Treatment

ن – أسماء مكونات البئر وملحقاتها :

١ – الجَال/ الجُول : جانب البئر[٥]

٢ – النَّجِيثَة : تراب البئر[٦]

---

(١) ، (٢) كتاب البئر ص ٦٨ .
(٢) درادكة – مصطلحات .
(٣) السلاوي – مصطلحات .
(٤) كتاب البئر ص ٥٥ .
(٦) كتاب البئر ص ٥٧ .

٣ – الثَّلَّة : تراب البئر[1]

٤ – النَّبِيثَة : تراب البئر وكذلك النثيلة والثلة[2]

٥ – السَّفَاة : تراب البئر[3]

٦ – المَثَابة : مقام الساقي[4]

٧ – النَّعَامتان : خشبتان فيما بين العارضتين في كل جانب واحدة[5] .

٨ – الدِّعَامتان : إذا كان الزرنوقان من خشب فهما دعامتان[6] .

٩ – المِحْوَر : الذي تدور عليه البكرة من حديد كان أو خشب الوالج فيها[7] .

١٠ – الخُطَّاف : إذا كانت عارضتا البكرة وعَضُداهَا من حديد فهما الخطاف[8] .

١١ – العُقَاب : إذا كان في طَيِّ البئر حجر نادر يخرج من طيِّ البئر[9] .

١٢ – شَحْوَة البئر : فمها[10] .

١٣ – جِرَاب البئر : جوفها من أعلاها إلى أسفلها[11] .

---

(١) ، (٢) ، (٣) : كتاب البئر ص ٥٧ .

(٤) كتاب البئر ص ٦٩ .

(٥) كتاب البئر ص ٧٠ .

(٦) ، (٧) كتاب البئر ص ٧١ .

(٨) كتاب البئر ص ٧٠ ، ٧١ .

(٩) كتاب البئر ص ٦٥ .

(١٠) ، (١١) : كتاب البئر ص ٥٨ .

١٤ - بئر ذات طاقٍ : إذا كان فيها دُور وهي حروف نادرة[١] .

١٥ - المِحْرَث : يقال للذي يجري عليه الحبل من البكرة[٢] .

هكذا في الأصول كلها ،ولا توجد هذه الكلمة بهذا المعنى في المعجمات .

١٦ - المَرَس : اسم الحبل[٣] .

١٧ - عَرْش البئر : خشباتها التي يستظل بها وعليها يطرح الثمام[٤] .

١٨ - الإِزَاء : حجر يجعل في مصب الدلو ، لئلا يخرق الماءُ الحوض وهو في بئر الماشية والإبل ، وفي بئر الزرع[٥] .

١٩ - القُفُّ : مقام الساقي في أعلى البئر[٦] .

٢٠ - الشِّجَار : خشبتان على جانبي البئر عليهما عارضة ودون العارضة بقدر ذراع أو ذراعين عارضة أخرى[٧] .

٢١ - قَعْو : إذا كانت عارضتا البكرة وعضداها من خشب فهما قعو[٨]

---

(١) كتاب البئر ص ٦٧ .
(٢) كتاب البئر ص ٧١ .
(٣) كتاب البئر ص ٧٢ .
(٤) كتاب البئر ص ٦٧ .
(٥) كتاب البئر ص ٦٨ .
(٦) كتاب البئر ص ٦٩ .
(٧) كتاب البئر ص ٧٠ .
(٨) كتاب البئر ص ٧١ .

٢٢ – قَعْوُ قَبٌّ : خشبة مدورة عظيمة لها أسنان كأسنان الرحى[1] .

٢٣ – الزُّرْنُوقان : إذا كان الشجاران من بناء طين أو حجارة فهما الزرنوقان[2] .

٢٤ – القرنَان : تعلق القامة وهي البكرة من النعامة[3] .

٢٥ – البَكَرة : إذا كانت على ركية جرور فهي محالة الإبل[4] .

٢٦ – المحالة : كـل شيء تغير عن الاستواء إلى العوج فقد حال واستحال ، وهو مستحيل[5] .

دراسة الجدول – ن :

١– بلغ عدد المفردات المعبرة عن « مكونات البئر وملحقاتها » خمسا وعشرين مفردة ؛ منها ما عبر عن مكونات البئر ذاتها : كالجوانب والجدران وتراب البئر (الجال / الجول – النجيثة – الثلة – النبيثة – السفاة – العقاب – شحوة البئر – جراب البئر – بئر ذات طاقة) . ومنها ما عبر عن المنشآت الإضافية فوق البئر وحولها (المثابة – النعامتان – الدعامتان – المحور – القف – الشجار – قعو – قعو قب – الزرنوقان – القرنان – البكرة) .

٢– إن هذه الكثافة في الأدوات والتقنيات حول البئر تدل على أن العرب في

---

(١) ، (٢) : كتاب البئر ص ٧١ .
(٣) كتاب البئر ص ٧١ ، ٧٢ .
(٤) ، (٥) كتاب البئر ص ٧١ .

صحرائهم قد أقاموا العديد من المنشآت حول البئر وفوقها ، حسب نوع البئر ومنسوب المياه فيها ، لتسهيل الاستقاء وإيصال الماء إلى السطح .

أفعال تتعلق بالآبار

أ– من حيث عملية الحفر :

١ – امْتَعَق واعْتَمَقَ : إذا حفر إلى أسفل[١] .

٢ – لَجَّفَ : إذا حفر من أحد جنبيها[٢] .

٣ – فَطَرَهَا : إذا كان هو ابتدأها[٣] .

٤ – حفر حتى أصْلَدَ : إذا وقع على موضع صلب أو على حجر[٤] .

٥ – أكْدَى : إذا وقع على موضع صلب أو على حجر[٥] .

٦ – حَفَر فأَجْبَلَ : وقع على جبل[٦]

٧ – حفر فأشْهَب وأسْهَبَ : إذا وقع على رمل أو تراب يغلبه[٧] .

ب – من حيث انبثاق الماء :

١ – أنْبَطَها : إذا حفرها حتى يبلغ الماء ، والنَّبَط : أول ما يظهر من الماء[٨] .

---

(١) كتاب البئر ص ٥٤ ، ٥٥ .
(٢) ، (٣) كتاب البئر ص ٥٥ .
(٤) ، (٥) ، (٦) ، (٧) كتاب البئر ص ٥٦ .
(٨) كتاب البئر ص ٥٥ .

٢ – حفر حتى أَعانَ وأعْيَنَ : حتى استخرج الماء[1] .

جـ – تبعًا لفساد الماء في البئر :

١ – عَرْمَضَ الماء : إذا تغير الماء في القليب .[2]

٢ – سَجِسَ الماء : إذا تغير الماء في القليب[3] .

٣ – أجِنَ وأسِنَ : الآجِن الماء المتغير الطعم واللون[4] .

٤ – طَحْلَبَ : إذا علت الماءَ خضرة[5] .

٥ – عَرْمضَ : إذا علت الماء خضرة[6] .

٦ – غَلْفَقَ : إذا علت الماء خضرة[7] .

د – إذا قل ماء البئر :

١ – غار يَغور غَوْرًا : إذا قل ماء البئر[8] .

٢ – أقطع الماء : وهو مُقْطِع وقاطِع وقد قَطَعَ[9] .

٣ – أصابتِ الناسَ قُطْعَةٌ : إذا غار ماؤهم . وأقطع الماء ، وهو مقطع وقاطع وقد قطع[10] .

---

(١) كتاب البئر ص ٥٦ .
(٢) ، (٣) كتاب البئر ص ٦٦ .
(٤) ، (٥) ، (٦) ، (٧) : ص ٦٧ .
(٨) كتاب البئر ص ٦٤ .
(٩) ، (١٠) كتاب البئر ص ٦١ .

هـ - إذا طويت بالحجارة :

١ - زَبَرْتُهَا زَبْرًا : طويتها بالحجارة[١] .

٢ - ضَرَسْتُها ضَرْسًا : طويتها بالحجارة[٢] .

و - أفعال تتعلق بثبات المستوى المائي في البئر :

١ - بَحْرُها لا يُنكف : إذا لم يُنْزَح ماؤها[٣] .

٢ - بَحْرُها لا يُنكش : إذا لم ينزح ماؤها[٤] .

٣ - بَحْرُها لا يؤبى : إذا لم ينزح ماؤها (لا ينقطع من كثرته[٥]) .

٤ - بَحْرُها لا يُغضْغضَ : اذا لم ينزح ماؤها[٦] .

٥ - بَحْرُها لا يُفَرَّض : إذا لم ينزح ماؤها[٧] .

٦ - بَحرُها لا يُفْثَجُ : إذا لم ينزح ماؤها[٨] .

ز - أفعال تتعلق بالأدوات الملحقة بالبئر :

١ - التَّعْلِيَة : أن يُجذَبَ الحبلُ عن حجر ناتئ في جانب البئر[٩] .

---

(١) ، (٢) كتاب البئر ص ٥٩ .

(٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦) ، (٧) ، (٨) : كتاب البئر ص ٦٤ .

(٩) كتاب البئر ص ٦٥ .

٢ - مَرسَ الحبلُ : إذا وقع الحبل بين البكرة وعضديها ، فيقال : أَمْرَسَه أي أَخْرَجَه[١] .

دراسة الجدول (ص) :

١- عدد الأفعال المعبرة عن (عملية الحفر) سبعة أفعال ، للتعبير عن اتجاه الحفر الرأسي والجانبي : (امْتَعَق / اعْتَمَق - لَجَّفَ) ، ولتوقيت بدء الحفر : (فَطَر) ، وللتعبير عن نوعية التربة التي تحفر فيها البئر : (حفر حتى أَصْلَدَ - أَكْدَى - حفر فأجبل - حفر فأَسْهَب) .

٢- عدد الأفعال المعبرة عن (انبثاق الماء) فعلان ؛ أحدهما (أنبطَ) ، ويعبر عن الوصول إلى المياه واستخراجها بشكل عام ، والآخر (حفر حتى أعَان وأعْيَنَ) ، ويعبر عن خروج الماء متدفقًا « ظاهرًا تراه العين جاريًا على وجه الأرض[٢] » .

٣- عدد الأفعال التي تدل على فساد الماء في البئر سبعة أفعال ؛ يعبر فعلان عن تلوث الماء بشكل عام (عَرْمَضَ الماء - سَجِسَ الماء) ، وفعلان يعبران عن تلوث يتم تحسسه بتغير طعم الماء ولونه (أَجِنَ الماء - أَسِنَ الماء) ، ويبدو أن هذا التغير بسيط ؛ لأن الماء يشرب في هذه الحالة ، وفعلان عبرا عن تلوث ناجم عن نمو الطحالب (طَحْلَبَ - غَلْفَقَ) ، ويبدو أن الفعل (عرمض) يدل على نمو الطحالب في الماء .

٤- عدد الأفعال المعبرة عن تدنيٍّ غزارة البئر ثلاثة أفعال ؛ الأول يعبر عن تدني الغَزارة نتيجة انخفاض المستوى المائي في البئر (غار) ، والثاني يدل على انعدامها

---

(١) كتاب البئر ص ٧٢ .

(٢) اللسان (عين) .

(أقطع الماء) ، والثالث يدل على التأثر الاجتماعي بحالة انعدام الماء (أصابت الناسَ قُطْعَةٌ) .

٥- عدد الأفعال المعبرة عن عملية طي البئر ، فعلان يعبران عن الطي بالحجارة (زَبَر - ضَرسَ) .

٦- عدد الأفعال التي دلت على ارتفاع الغزارة ستة أفعال ، منها ما دل على ثبات المستوى المائي في البئر بالرغم من استمرار الاستقاء منها (بحرها لا ينكف - بحرها لا ينكش - بحرها لا يؤبى - بحرها لا يغضغض - بحرها لا يُفَرَّض - بحرها لا يفثج) .

وكلمة بحرها تعني ماءها ؛ وهي كناية عن تحسسهم ، وكأن هذه البئر تأخذ من بحر ، وهذا من التحسس صحيح ؛ فالمياه الجوفية تمتد تحت سطح الأرض فيما يسمى البساط المائي .

٧- وهناك فعلان يتعلقان بالأدوات الملحقة بالبئر (التعلية - مَرَس الحبل) . وقد بلغ مجموع الأفعال المتعلقة بالبئر تسعة وعشرون فعلًا عبرت عن أدق الحالات ، وهذا الاستقصاء اللغوي يدل - حسب اعتقادي - على درجة عالية من الاستقصاء الإجرائي العملي ، وإلا فما الحاجة إلى مثل هذه الأفعال ؟

إن هذه الأفعال يمكن أن تفيد في مجال التأليف العلمي بدلًا من التغريب الأسلوبي الذي أخضعت له اللغة العربية .

ع - صفات ذاتية فيزيائية للماء :

١ - ماء نَمير : إذا كان يوافق الشاربة عذبًا كان أو غير ذلك[١] .

---

(١) كتاب البئر ص ٥٧ .

٢ – ماء شَريب : عَذْب[١] ؛ فيه مرارة وملوحة ولم يمتنع من الشرب[٢] .

٣ – ماء مَأْجٌ : ملح وقد مَؤُج يمؤجُ مؤوجة ، ومياه مَأْجَة[٣] .

٤ – ماء داوٍ : إذا عَلَتْه جلَيْدَةٌ من طول الترك ، قيل : قد دوى يدوي تدوية[٤] .

٥ – الصَّرَى / الصِّرَى : يقال ماؤها صرى فاستق من غيرها[٥] . وهو الماء الذي طال استنقاعه[٦] .

– دارسة الجدول – ع :

١– عدد المفردات المعبرة عن صفات فيزيائية للماء خمس مفردات ، اثنتان تدلان على إمكان شرب هذا الماء (ماء نمير – ماء شريب)، وواحدة تدل على ملوحة الماء (ماء مأج) ، وأخرى تدل على تلوثٍ بالهواء والتراب (ماءٌ داوٍ) ، والأخيرة تدل على الماء المستنقع منذ فترة بعيدة ولا ينصح بشربه (الصرى) .

٢– اقتراح استخدام المفردات كمقابل لبعض المصطلحات الأجنبية :

---

(١) كتاب البئر ص ٥٨ .
(٢) لسان العرب (ش ر ب) .
(٣) كتاب البئر ص ٥٨ .
(٤) ، (٥) : كتاب البئر ص ٦٧ .
(٦) لسان العرب (ص ر ي) .

المصطلح المقترح	الترجمة كما وردت في بعض المراجع العلمية الحديثة	المصطلح
ماء شَريب	ماء صالح للشرب [1]	Drinking Water
الصرى	ماء غير نظيف أو ماء يستعمل [2]	Waste Water
ماء داوٍ	مياه ملوثة [3]	Polluted Water
ماء مَأْج	مياه مالحة [4]	Saline Water

---

(١) السلاوي - مصطلحات .

(٢) السلاوي - مصطلحات .

(٣) درادكة - مصطلحات .

(٤) درادكة - مصطلحات .

خاتمــة

إن قراءة النصوص التراثية قراءة جديدة ، والخروج منها بتجديد ، لهي من المهمات الأساسية والأصيلة ، وإن في نصوصنا العلمية واللغوية التراثية ثراء وأبعادًا لا حدود لها ، تحتاج إلى إعادة استكشاف وتحليل بعد أن مرت بمرحلة النشر الأولى منذ بدايات هذا القرن .

ومن خلال البحث في هذا الكتاب وجدت أن البعد الهندسي قائم في البعد اللغوي ، فكان أن استطعت أن أعيد تصنيفه على أساس موضوعات هندسية ، وأن أفيد من هذا التصنيف في اقتراح بعض المصطلحات . فبالنسبة للجانب المصطلحي من البحث فإني أوصي بالآتي :

أن تكون مهمة وضع المصطلح جماعية تتقاسمها كل الأطراف التي ستتعامل مع المصطلح ، ويكون اللغويون واحدًا من هذه الأطراف .

متابعة تطور استخدام هذه المصطلحات لإدخال التعديلات المناسبة إن اقتضى الأمر .

وأضم صوتي إلى صوت الدكتور نبيل علي ، والدكتور جميل الملائكة ، الذي يرى أنه « لا بديل عن استغلال تكنولوجيا المعلومات وبشكل مكثف لتعويض تخلفنا في مجال العمل المصطلحي ، فقد بات واضحًا للجميع عجز الوسائل التقليدية أمام المطلب المصطلحي المتدفق ، ويمكن لتكنولوجيا المعلومات أن تقدم دعمًا حقيقيًا للأنشطة الرئيسية للعمل المصطلحي في اقتناء مصادر المعلومات

وتحليل المادة المعجمية وتوثيق المصطلح وإجراء ونشر قوائم المصطلحات ..»[1] .

لقد أقر مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي ضرورة استقراء التراث العربي ما استعمل منه وما استقر منه من مصطلحات عربية صالحة للاستعمال الحديث ، وما ورد منه من ألفاظ معربة . وكان هذا البحث محاولة في هذا الاتجاه وما قمت به من اقتراح لبعض المصطلحات إنما هو خطوة في طريق تحتاج إلى متابعة ؛ لأن وضع المصطلح ليس عملية فردية ، بل قرار جماعي يصدر عن مؤسستنا العربية المعنية بهذا الأمر .

---

(١) د . علي ، نبيل ، العرب وعصر المعلومات . ص ٣٧٥ .

المصادر والمراجع

١- كتاب البئر . أبو عبد اللّٰه محمد بن زياد الأعرابي . حققه وقدم له الدكتور رمضان عبد التواب . دار النهضة العربية - بيروت ١٩٨٣.

٢- الفهرست . محمد بن إسحاق النديم ، صياغة حديثة ، تحقيق د . ناهد عباس عثمان ١٩٨٥. دار قطري بن الفجاءة .

٣- تاريخ الأدب العربي . كارل بروكلمان . نقله إلى العربية د . عبد الكريم النجار . جامعة الدولة العربية ، دار المعارف . (بدون تاريخ) .

٤- لسان العرب . ابن منظور . دار المعارف ، القاهرة . ج . م . ع (بدون تاريخ) .

٥- جغرافية الوطن العربي الكبير . د . صلاح الدين علي الشامي ، و د .فؤاد محمد الصقار . ط ٢. منشأة المعارف . الإسكندرية .

٦- مجلة عالم الفكر . مج ١٩ عدد (٤) ١٩٨٩ : تعريب المصطلح العلمي - قاسم السارة .

٧- العرب وعصر المعلومات . د . نبيل علي ، عالم المعرفة (١٨٤) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت ١٩٩٤.

٨- هيدرولوجيا المياه الجوفية . خليفة درادكة . دار البشير ١٩٨٨.

٩- هيدرولوجيا المياه السطحية (المصطلحات) . محمد سعيد سلاوي . الدار

الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان . ط ١.

١٠- مصطلحات علمية : مصطلحات الهندسة المدنية .إنكليزي - عربي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد - ١٩٨٢.

* * *

الفهرست

لابن النديم

تح . د . شعبان خليفة
ووليد محمد العوزة

عبد المحسن العباس*

ترجع علاقتي بكتاب الفهرست إلى أيام دراستي في أكسفورد، عندما كنت طالبا في السنة الأولى في قسم الرياضيات، وجاءني أحد الزملاء الإنجليز، الذين يحضرون لنيل رسالة الدكتوراه في الفقه، بصفحات مصورة من كتاب الفهرست، يسألني أن أترجم له بعض النصوص من الكتاب. والحقيقة أنني وجدت نفسي عاجزًا، فآليت على نفسي اقتناء نسخة من الكتاب، في محاولة للاطلاع على تراث أمتي الذي أجهله، فاشتريت نسخة من كتاب الفهرست، مصورة عن نسخة فلوجل، دون هوامشه وتعليقاته التي

---

* باحث من مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن.

أُضيفت إليها هوامش أحمد تيمور باشا ؛ فوجدتها نسخة بائسة صعبة القراءة ، ذات ألغاز مُعميّة ، فطرحتها ولم أعد إليها .

وفي بداية عام ١٩٩٦، أخبرني أحد زملائي بأن هناك طبعة جديدة صدرت في القاهرة محققة تحقيقا علميا رصينا ، وأن المحققين يدركان واقع التحقيق القاصر لتراثنا تماما ، ويشعران بمدى الحاجة إلى إخراجه في صورة صحيحة مبرأة من الخطأ والتصحيف . ومما أثار فضولي استخدام المحققين ألفاظًا مثل : دراسة ، تحقيق ، بيوجرافية ، ببليوجرافية ، وببليومترية .

وحدث أن زرت معرض الكتاب في القاهرة في ذلك العام ، أعني في سنة ١٩٩٦، وحصلت على نسخة بجزأيها . ولأول وهلة تجتاحني غبطة وأنا أحتضن الكتاب مغادرا المعرض ؛ لقراءة أبرز كتاب يروي قصة الكتاب الإسلامي العربي .

ومما لا شك فيه أن كتاب الفهرست هو في الحقيقة جمهرة الكتاب العربي منذ نشأته حتى نهاية القرن الرابع أو بداية القرن الخامس الهجري[(١)] فهو موسوعة يرى فيها القارئ ثراء الأمة الإسلامية في مختلف صنوف المعرفة ، وبلوغها مبلغا لم يكن قط عند أية أمة سابقة من الأمم ، ويتتبع قارئ الفهرست بوادر تدوين الكتب ، وكيف اتسعت فصارت نهجا ، ثم أضحت ثقافة متكاملة متماسكة الجذور ، وظلت تنمو وتزدهر في كل علم وفن .

والذى يروم النزول إلى ميدان التحقيق ، ينبغي أن يتحلى بشروط ثلاثة : « أولها : لغته التي نشأ فيها وأن يكون محيطا بأسرارها الظاهرة والباطنة . وثانيها : ثقافة أمته التي ينتمي إليها وارتضع لبنَها يافعا ، وذلك عن طريق الإيمان بها والعمل بها والانتماء إليها .

---

(١) تعاقبت أيدي النساخ على كتاب الفهرست فأضافت إليه إضافات أخرى طالت القرن الخامس الهجري .

وأخيرًا: القابلية على تملك ضبط أهوائه.

وهذه أركان وأعمدة ثقافة المحقق، وبدون هذه الأركان ينتقص بنيان ثقافته، وتصير مجرد معلومات ومعارف وأقوال مطروحة مفككة.

والنازل إلى ميدان التحقيق عليه أن يقسم منهجه في التحقيق إلى شطرين: شطر في تناول المادة، وشطر في معالجة التطبيق.

فشطر المادة يتطلب قبل كل شيء جمعها من مظانها على وجه الاستيعاب المتيسر، ثم تصنيف هذا المجموع، ثم تمحيص مفرداته تمحيصا دقيقا، والتمرس بنهج النساخ في كتابتهم، تلافيا للوقوع في الوهم واللبس بين ما هو حواشٍ وشروح على هامش النسخة أو إضافات من بعض النساخ، وبين ما هو من صلب الكتاب؛ وذلك بتحليل أجزائها بدقة متناهية، وبمهارة وحذق وحذر، حتى يتيسر للدارس أن يرى ما هو زيف جليا واضحا، وما هو صحيح مستبينا ظاهرا، بلا غفلة وبلا هوى وبلا تسرع.

أما شطر التطبيق فيقتضي ترتيب المادة بعد نفي زيفها وتمحيص جيدها، باستيعاب أيضا لكل احتمال للخطأ أو الهوى أو التسرع، ثم على الدارس أن يتحرى لكل حقيقة من الحقائق موضعا هو حق موضعها، لأن أخفى إساءة في وضع إحدى الحقائق في غير موضعها خليق أن يشوه عمود الصورة تشويها بالغ القبح والشناعة»[1].

إن عملية تحقيق كتاب الفهرست هذه ليست هينة ولا يسيرة؛ لأن المسألة ليست قراءة نص عابر من النصوص بل هي قراءة متأنية لعمل له طبيعته الخاصة

(١) المتنبي: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، أبو فهر محمود محمد شاكر، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٧/١٩٨٧.

ونظامه الذي ارتآه المؤلف ، ولا يكفي الإلمام الواسع باللغة العربية واللغات التي تُرجمت منها كتبها إلى اللغة العربية فحسب ، وإنما يلزم لها معرفة دقيقة بكتب الأسلاف ؛ من تفسير القرآن وعلومه على اختلافها ، إلى دواوين حديث رسول الله ﷺ وشروحها ، إلى ما تفرع عليه من كتب مصطلح الحديث ، وكتب الرجال إلى كتب الفقهاء في الفقه وأصول الفقه ، وكتب الملل والنحل ، ثم كتب الأدب والبلاغة وكتب النحو واللغة والتاريخ ، وكتب الفلسفة وأبواب العلوم ؛ كالطب والصيدلة والكيمياء ، والجبر والحساب والفلك ، والنبات ، والبيزرة والبيطرة ، إلى ما تبعها من العلوم ؛ إلى جانب المعرفة بعلوم الفهرسة الكتاب ، ولا أقول مصطلحاتها ، فمن البديهي أن من لا يعرف المصطلح لا يصلح للتصدي إلى تحقيق هذا الكتاب .

يقع تحقيق الكتاب في جزأين ، يشتمل الجزء الأول على المقدمة (١٢١ ص) والنص المحقق (٧١٣ ص) ، والجزء الثاني يشمل الفهارس فقط (٩٦٤ ص) . وأود أن أذكر هنا بأني سوف لا أتعرض للمقدمة في هذه المراجعة ، وإنما أتركها إلى وقت لاحق بإذن الله تعالى ، وأما الفهارس فهي ليست بشيء ؛ وذلك لتفشي الأخطاء في النص تفشيا فاحشا ، إلى جانب الطريقة الغريبة في استخدام نظام الإحالة على الفصل دون الصفحة ؛ بيد أني سأحاول التعامل مع النص المحقق من كتاب الفهرست فحسب .

ومهما يكن من أمر ، فإن الحكم هنا يرتبط بالعمل فقط ، ولم يكن قصدي منه انتقاد المحققين ؛ لأنني توخيت الأمانة العلمية والولاء لتراثي في نقدي لهذا التحقيق ، والمستوى الذي ظهرت فيه هذه الطبعة .

وقد لاحظت عدم إحاطة المحققين بمنهج النديم في داخل النص، ولم يستفيدا حتى من إرشاداته في التحري عن الصواب، كما في صفحة ٢٥٣، أو التدخل في النصوص التي ينقل عنها، كما في صفحة ٣٦٥، أو التعويل على كتّاب ليسوا ممن يختص بالعلم، كما في صفحة ٤٨٣... إلخ.

وسأحصر نقدي في جانب الأخطاء الفنية، والتي تشمل قراءة النصوص وإهمال ضبطها وتقسيم النص إلى فقرات، وعلامات الفصل والترقيم... إلخ. وسألتزم في بيان بعض الأخطاء الواردة في النص وتصويبها وضبطها.

إن التحقيق هو إحكام تحرير النص من التصحيف والتحريف والخطأ والنقص والزيادة، بقراءته قراءة صحيحة يكون فيها متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تمت على يد مؤلفه. فتحقيق النص هو إخراجه بصورة مطابقة لأصل المؤلف أو الأصل المقارب للصحيح الموثوق، إذا فقدت نسخة المؤلف. فعمل المحقق في المخطوطة لا يزيد على قراءتها قراءة صحيحة، وشرح غوامضها، وتفسير ألفاظها التي تحتاج إلى تفسير، والتعريف بمصطلحاتها، وذلك بغية إيضاح النص وفهمه والإفادة منه، وإماطة اللثام عن غوامضه ؛لإعانة القارئ على فهم الكلام المقروء.

ومما لا شك فيه، أيضا، أن الفهم الصحيح للنص يضيء للمحقق طريق الوصول إلى إخراج نسخة تكون أقرب ما تكون إلى نسخة المؤلف؛ لأن قصور الفهم سيؤدي إلى أخطاء في تشويه الصواب. ولا يخفى أيضا أن تحقيق عمل ضخم كهذا تكتنفه صعوبات شتى، لعل أبرزها كثرة أسماء الأشخاص والكتب والأماكن، وضرورة ردها إلى أصلها وكتابتها وتوحيدها واختيار

الصيغة المصيبة من النص. ومن الطبيعي أن يتطلب التحقيق بعض الإجراءات في كتابة النص كي تستقيم العبارة والإحالة إلى الصفحات التي وردت – أحيانا – فيها الأسماء والعناوين مختلفة، ورسمها رسما صحيحا؛ فعلى سبيل المثال وليس الحصر جاء في صفحة ٤٢٣: وكان يجاوره في الدرب الروندي الذي عمل كتاب الدولة، وكان يجتمع إليه الروندية لأبناء أدولة.

الصواب: وكان يجاوره في الدرب الراوندي (انظر صفحة ١٩٢) الذي عمل كتاب الدولة، وكان يجتمع إليه الراوندية، لإبانة [كتاب] الدولة (أي ليشرح كتاب الدولة إلى أتباعه من الراوندية).

فإنَّ ثمة عثرات يصاب بها النص نتيجة لأوهام النساخ، وعلى المحقق أن ينتبه لها؛ فعلى سبيل المثال – وليس الحصر – ما جاء في صفحة ٢٤٣: «علي ابن عيسى بن داود الجراح، وكان بمنزلة من الرياسة يجل وصفها، ومن الصناعة والعفة بما هو أشهر وأظهر، ووزر للمقتدر ثلاث دفعات نسبة إلى الحسن. وتوفي ...».

وهنا ينبغي اتخاذ بعض الإجراءات في إعادة كتابة النص، في الأقل في الهامش، لتستقيم عبارته كما يلي:

علي بن عيسى بن داود الجراح، وكان بمنزلة من الرياسة يجل وصفها، ومن الصناعة والعفة بما هو أشهر، وأظهر نسبه إلى الحسن [بن علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)]، ووزر للمقتدر ثلاث دفعات. وتوفي ...

أو: علي بن عيسى بن داود الجراح. وكان بمنزلة من الرياسة يجل وصفها، ومن الصناعة والعفة بما هو أشهر، ووزر للمقتدر ثلاث دفعات، وأظهر نسبه إلى

الحسن [بن علي بن أبي طالب (كرم اللّٰه وجهه)] . وتوفي ...

وفي صفحة ١٦٥: وروى عن سيف عن شعيب بن إبراهيم بن ...،
الصواب : وروى عن سيف : شعيب بن إبراهيم [١] .

وتحقيق كتاب مثل كتاب الفهرست ينبغي أن يقوم به متخصصون في مجالات عدة ؛ منهم متخصصون في العلوم التي وردت في الفهرست ، ومتخصصون في مجال الكتب والمكتبات والتوثيق ، وتتضافر الجهود فيه لإخراج نسخة مبرأة من الأخطاء ، ومحققة تحقيقا كاملا للاستفادة من دراستها دراسة وراقية وقياسية للحركة العلمية آنذاك ، وتحليل المتغيرات التي طرأت عليها (دراستها دراسة ببليومترية) .

وقد كتب الأستاذ رضا تجدد - رحمه اللّٰه - في مقدمة تحقيقه لكتاب الفهرست (صفحة ج) : « ومع كل هذا فإني أعترف صراحة بأن الكتاب لا يزال بحاجة إلى النظر والتدقيق والدراسة والتحقيق ، ولا يستوفي حقه إلا بقيام لجنة من فطاحل العلماء الأخصائيين في الأدب والشرائع والعلوم العقلية لاستكشاف المتباقية فيه من المبهمات والمعضلات ، وتهذيبه كما كان متداولا في سوق الوراقين ببغداد في عهد مؤلفه العبقري رحمه اللّٰه » .

وحبذا لو أن كل عالم بفن ومتبحر فيه يتجه إلى تحقيق المخطوطات التي تتصل بفنه وتخصصه ، ليخرج العمل أكثر إتقانا ودقة ، مما لو تصدى له شخص

---

(١) انظر : تاريخ الطبري ، والتمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان . انظر أيضا : كتاب الردة والفتوح ، وكتاب الجمل ومسير عائشة وعلي ، لسيف بن عمر التميمي ، تحقيق وتقديم الدكتور قاسم السامرائي ، لايدن ، سمتسكامب ، ١٤١٥/ ١٩٩٥.

آخر له وجهة علمية أخرى .

وقد جاء في مواضع كثيرة من الفهرست ، أن النديم قد أعد كتابه سنة ٣٧٧هـ ، أو كما يسميه المحققان تاريخ الإقفال ، ثم يكتشف المحققان بعد قراءة الفهرست « قراءة واعية متأنية وتطبيق معايير علم الببليوجرافية النقدية ، أن ما وصل إلينا من هذا العمل هو المسودات فقط ، ولم تصل إلينا النسخة النهائية » .

وهنا ينبغي على المحقق - كما أسلفنا - تمحيص مفردات النص تمحيصا دقيقا (أي مفردات المؤلف ومفردات النساخ) ؛ وذلك بتحليل أجزائها بدقة متناهية ، حتى يتيسر له أن يرى ما هو زيف جليًا واضحًا ، وما هو صحيح مستبينًا ظاهرًا . فأحيانا تواجه المحقق أشكالٌ من الرسم يختلف الواحد منها عن الآخر ، وقد يؤدي ذلك إلى شيء من الوقوع في اللبس والقراءة الخاطئة . وقد وردت في الفهرست مفردات للنساخ وأحيانا للقراء ، أثبتها المحققان دون الإشارة إليها في الهامش وكأنها من صلب النص ، فمن ذلك - على سبيل المثال وليس الحصر - ما جاء في ص ١٤٨، عند ذكر كتاب التصاريف للكشي ، فقد كتب الناسخ أو قارئ ما لنسخة الفهرست المحفوظة في مكتبة تشستربيتي ، وبخط دقيق ومغاير للنسخة لفظة : « رأيته » ، أو كما جاء في ص ١٥٢ عند ذكر ابن جني ، فإن سنة الوفاة لم ترد في مخطوطة تشستربيتي : وتوفي يوم الجمعة من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة . فكان أولى بالمحققين أن يشيرا إلى ذلك ، أو أن يضعاها بين حاصرتين ، وذلك بغية الفصل بين ما جاء عند النديم في الأصل وبين ما ذكره النساخ المتأخرون .

والشيء ذاته جاء في صفحة ٢٣٩ عند ذكره للمرزباني : ومولده في

جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين ومائتين، ويحيا إلى وقتنا هذا، وهو سنة سبع وسبعين ولا ثمائة - كذا، والصواب: ثلاثمائة - ونسأل اللّٰه له العافية والبقاء بمنة وكرمة - أي بمنه وكرمه - وتوفىَ - أي وتوفي - رحمه اللّٰه، سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

إن إضافة الناسخ هنا واضحة كوضوح الشمس.

وكذا في صفحة ٣١٥: أبو نصر بن نباته التميمي... وتوفي بعد الأربعمائة، وكان مخفيا، نحو أربعمائة [ورقة].

ومما هو جدير بالذكر هنا، توحيد صيغة التسليم على آل بيت رسول اللّٰه ﷺ التي استخدمها النديم، فنرى المحققين تارة يستخدمان: رضي اللّٰه عنه - عنهم، وتارة: كرم اللّٰه وجهه. وتارة: عليه - عليهم السلام. فصيغة التسليم تعتمد على الناسخ. فإذا كان الناسخ من الشيعة فالتسليم عنده: عليه - عليهم السلام، أما إذا كان الناسخ من أهل السنة، فصيغة التسليم عنده: كرم اللّٰه وجهه، أو رضي اللّٰه عنه - عنهم إلخ.

ومما يؤخذ على المحققين، أنهما لم يعيرا أي اهتمام في تحقيقهما لكتاب الفهرست، بعد صفّه، فأهمَلاه ولم يراجعاه البتة، فعلى سبيل المثال - وليس الحصر - نرى في فقرة محمد بن عبد الملك الزيات (ص ٢٢٢) عدم توالي السطور، فلقد جاء السطر الثالث بعد الأول والسطر الثاني بعد الثالث. وكذلك الحال في ص ٢٥٤ عند الحديث عن خشكنانجه الكاتب، فقد جاءتِ السطور متخالفة أيضا، إذ جاء السطر الثالث بعد الأول والثاني بعد الثالث، كذلك في صفحة ٣٨٦ عند الحديث عن خلافة قرمط... إلخ.

ومما يؤسف له كذلك تفشي الأخطاء والتصحيفات والتحريفات، مما يجعل حصرها صعبًا، فتارة نراهما يُقران التحريف، وتارة يخطّئان المصادر الأخرى الصحيحة، بل يتصرفان بتغيير الصواب وتثبيت الخطأ في القراءة والتصحيح. ولا عذر للمحققين إن تركا أمر الضبط بالشكل إلى مصففي الحروف أو الذين يضربون على الآلة الكاتبة وغفلا عنهم؛ فتصحيفات وأخطاء أولئك العاملين لا حصر لها، وبالتالي تؤدي بالمحققين إلى ما لا تحمد عقباه.

وفي الكتاب من أخطاء أنصاف الأميين، من العاملين على آلات الكتابة: المسافات داخل اللفظة الواحدة، ففي ص ٧٣: «رهائن حتف أو جبته مقادره». والصواب: رهائن حتف أوجبته مقادره (جاء في ص ١٦١: واجبته).

أو ص ٥٣٦: صاحب جو مطريا (والصواب: جومطريا).

أو ص ٦٦١: الفار قليط (والصواب: الفارقليط).

أو ص ٦٧٩: فمات بعد مد يده (والصواب: مات بعد مُديدة)، وغير ذلك الكثير.

ولا يسلم كتاب من عبث النساخ وتصحيفهم وتحريفهم، فترى النساخ قد غيروا في نقط الحروف أو حركاتها مع بقاء صورة الخط أو رسمه أو قرأوا الشيء بخلاف ما أراده مؤلفه وعلى غير ما اصطلح عليه، أو ربما زادوا في كلماته أو نقصوا منها، أو حتى في تبديل بعض كلماته.

ومثلُ كتاب الفهرست كمثل أي كتاب بغير خط مؤلفه، فالمحقق، عليه أن يقرأ النسخ قراءة واعية متأنية فاحصة.

فقد أحدث النساخ جملة من التصحيفات والتحريفات في مواضع كثيرة من كتاب الفهرست لم يتنبهِ المحققان لها، منها على سبيل المثال - وليس الحصر - : كتاب «التنبيه على حدوث التصحيف» لحمزة بن الحسن الأصفهاني، والذي جاء مصحَّفا باسم: «التنبيه على حروف المصحف» (ص ٢٥٤).

ومن جانب آخر نرى المحققَين يتماديان في التصحيف، فقد جاء في صفحة ٩٣: فقال الأثرم: مثقل استعان بذقنه. فقال يعقوب هذا تصحيف، إنما هو بذقنه، الصواب: فقال الأثرم: مثقل استعان برقبة. فقال يعقوب: هذا تصحيف، إنما هو بذقنه.

ومما يؤخذ على المحققَين، أيضا إثبات الخطأ في النص مع العلم أن اللفظة قد وردت صحيحة عند النديم وعند المحقِّقِين الآخرين، فعلى سبيل المثال - وليس الحصر - ما جاء في صفحة ٢١٥: وتصحيف خمسة خمسة، والصواب بالطبع: وتصحيف خمسة خمشة بالشين المثلثة - أو ما أثبته المحققان من التحريف في صفحة ٥٤٨: ثابت بن قرة... وكان صديقنا غير أن استصحبه محمد بن موسى، والصواب: ثابت ابن قرة، وكان صيرفيًّا بحَرّان، استصحبه محمد بن موسى. كما أثبته المحققان في الهامش عن فلوجل. فكيف نفسر لفظة «صديقنا» والنديم بريء من استخدامها. والجملة، كما أثبتها المحققان لا معنى لها؛ هذا إلى جانب أن ثابت بن قرة توفي سنة (٢٨٨هـ/ ٩٠١م)... إلخ. وغيرها كثير جدًّا.

ومما ينبغي ذكره هنا أن المحققَين عند نقلهما من تحقيق الأستاذ تجدد،

نراهما ينقلان دون مراجعة المنقول، فعلى سبيل المثال - وليس الحصر - نراهما في صفحة ٢٤ قد نقلا لوحة كتابة الكشتج مقلوبة ! أو يغيران في مواضع اللوائح والجداول كما جاء في صفحة ١٢ عند الكلام على القلم الحميري، الذي أثبته المحققان بعد كلام صاحب الفهرست عن الخط المكي والمدني، وقد أسقط المحققان من نسختهما أيضا صورة الخط المكي والمدني، إلى جانب إثباتهما أخطاء الأستاذ تجدد في قراءته للنص[١].

إن الإهمال الواضح في القراءة الصحيحة يؤدي إلى تفشي الأخطاء والتصحيفات والتحريفات، خاصة أولئك المحققين الذين يقتصرون في تحقيقهم على ذكر الفروق في النسخ المطبوعة والأخطاء الواردة فيها مع العلم أنها الصواب دون إصلاحها، نحو: ص ١٨، حيث ينقل المحققان في الهامش عن نسخة فلوجل: م، ت، ف: (قلم الموصبح)، أي نقل المحققان خطأ الأستاذ تجدد، مع العلم أنه قد جاء عند فلوجل «المدمج». وفي كثير من الأحايين، لا يتوخى المحققان نقل الهوامش بأمانة، انظر على سبيل المثال - وليس الحصر -: ص ٢٦: تج (الأدلة) ولكن جاء عند تجدد «الأولة»، ص ٥٠: تج (مفنفا) ولكن جاء عند تجدد «مفننا»، ص ٨٣: (خاطياه) ولكن جاء عند تجدد «وخاطبه»، ص ٤٩١ هامش (٥) تج (اثنا) [يضيف تجدد في هامشه: كذا

---

(١) اعتمد المحققان اعتمادا على تحقيق المرحوم الأستاذ تجدد، في أخطائه وهوامشه، اللهم إلا النزر اليسير. ونشرت دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع في بيروت في عام ١٤١٥/١٩٩٤ طبعة أخرى للفهرست، اعتنى بها وعلق عليها الشيخ إبراهيم رمضان، دار الفتوى - بيروت، وفيها كثير من نسخة فلوجل تصحيفاتها وتحريفاتها وأخطائها، اللهم إلا بعض الهوامش.

في الأصل]، ص ٤٩٧ هامش (٣) م ت ف (حولوه)، ولكن جاء عند م، ت، ف « حملوه »، ص ٥٢٥ هامش (٢٧) م، ت، ف (توقعات)، لكن جاء عند فلوجل « توقفات »، كذلك يذكر المحققان في صفحة ٩٠، هامش (٩٩) م، ت، ف (والله ما ملك أبو الأصمعي دابة إلا في ثوبه)، ولكن جاء عند م، ت، ف « والله ما ملك أبو الأصمعي قط دابة ولا جمل إلا على ثوبه ». وقد أسقط المحققان كثيرا من الهوامش، فعلى سبيل المثال - وليس الحصر - هامش ٢٢ في صفحة ١١٣. وأحيانا يعزوان الخطأ إلى المحقق الآخر ويثبتان الخطأ في النص وفي الهامش، نحو هامش ٣٤ في صفحة ٢٥٣، فقد أثبت المحققان في المتن « كتاب منية الكتاب »، وأثبتا في الهامش: م ت ف (منية) ولكن جاء عند فلوجل: « منبه » وليس (منية). ومن الجدير بالذكر هنا أن الأستاذ تجدد، رحمه الله تعالى، في تحقيقه، حاول جاهدا أن يعطي رسم الحروف وصورتها كما وردت في نُسَخه المعتمدة دون الإعجام، فعلى سبيل المثال - وليس الحصر -: جاء في صفحة ٤٨٣، هامش ١٠: تج. (مرمر الحرمي)، ولكن الذي جاء في نسخة تجدد « مرمر » وليس (مرمر) كما ذكر المحققان، ومثل هذا يرد بكثرة. وجاء في صفحة ٦١٠ هامش (٤) تج (أسماء الفرس)، لكن جاء عند تجدد « أسمار الفرس ».

ولابد من الإشارة هنا، أيضا، إلى أن المحققَين يقحمان في الهامش أمورا ليست في المصادر التي ينقل منها، مثل ما جاء في هامش صفحة ٢٢٣: (٩٦) .. الزركلي: الأعلام ج ١: ٢٧٢ أحمد ... وزير من كبار الكتاب. والخمر. توفي سنة ٢٠٨= ٨٢٣. أولا لفظة الخمر لم ترد عند المرحوم

الزركلي، وثانيا أن الرجل توفي سنة ٢١٣/ ٨٢٨. وهذه الأمور ترِد كثيرا بحيث يصعب حصرها.

وأحيانا كثيرة يعطي المحققان أرقاما للهوامش دون إثباتها (انظر على سبيل المثال - وليس الحصر - صفحة ٢٣٩ هامش ١٨٧، الاضطراب في هوامش صفحة ٢٤٠).

ومما يثير الإزعاج عدم توحيد الهوامش والنص، وقد وردت بكثرة، وهو عين الإهمال وعدم الاكتراث، فعلى سبيل المثال - وليس الحصر - نرى المحققَين قد أثبتا في الهامش «أبي بن كعب»، أما النص فقد أثبت المحققان: أبي بن يعب؛ أو ما جاء في صفحة ١٢٤: أخبار أبي عبيدة، الصواب: أخبار أبي عصيدة (وذكر المحققان في الهامش نقلا عن القفطي: ويعرف بأبي عصيدة).

كذلك يأتي المحققان بعلامات ليست في النسخ الأخرى من المخطوطة، نحو ما جاء في صفحة ٣٠: فيكون ف. ر. ش. ت. ث. ح. ذ. ظ، فإذا بلغ ظ، كتب الحرف الأول من الأصل وهو هكذا ( ) ونقط تحته ثلاث نقاط هكذا فيكون ...، والصواب: فيكون ق. ر. ش. ت. ث. خ. ذ. ظ، فإذا بلغ ظ، كتب الحرف الأول من الأصل وهو هذا ( )، ونقط تحته نقاط هكذا فيكون ...

ومما يؤخذ على المحققَين عدم ذكرهما للعناوين الكاملة للكتب والرسائل - التي ذكرت في النص والتي قد حُققت ونُشرت - وإثبات العنوان الصحيح الكامل في الهامش؛ فمن ذلك على سبيل المثال - وليس الحصر - ما جاء في

صفحة ٨٨:

٧٦- كتاب العققة ، الصواب : كتاب العققة [والبررة]

كذلك في صفحة ٩١: ٦- كتاب الفرق ، الصواب : كتاب الفرق [بين أسماء الأعضاء من الإنسان والحيوان] ، وصفحة ٩٩: ٣١- كتاب التعازي ، الصواب : كتاب التعازي [والمراثي] ... إلخ .

ومما يؤسف له أن المحققَين قد حشدا داخل النص البيانات الوراقية لبعض المخطوطات دون ذكرها في الهوامش ، على سبيل المثال - وليس الحصر - ص ٨٥: ٩- كتاب القوافى [للأخفش الأوسط] (مطبوع ، نشرته (كذا ، الصواب : نشره) عـزة حسن . دمشق ، وزارة الثقافة ، ١٩٧٠) . أو ص ١٨٥: كتاب التعازي ، [للمدائني] ، مطبوع نشره (كذا ، الصواب : نشرته) ابتسام الصفار وبدري فهد ، النجف ، ١٩٧١. أو مثلا كتاب الأزمنة [لقطرب] . (مخطوط المتحف البريطاني . طبع ونشر تباعا في مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد الثاني) ، فما جدوى ذكر مكان المخطوطة وهي قد نشرت ؟

وجاء في صفحة ١٤٠: ٤- كتاب المختار [مخطوط ، تشستربيتي ٣٥٣٨] . أولا جاء في الأعلام ٥: ٣٠٨: « كتاب المختار في علل النحو » ، وثانيا أن كتاب المختار هذا لم يأت في خزانة مكتبة تشستربيتي تحت رقم ٣٥٣٨، وإنما « كتاب المصابيح في تفسير القرآن العظيم » لأبي الحسن محمد ابن أحمد بن كيسان المتوفى ٢٩٩هـ . فكتاب [المختار في علل النحو] ليس بالكتاب المرقم أعلاه وإنما هو كتاب المصابيح .

أو على سبيل المثال أيضا - وليس الحصر - ما جاء في صفحة ٤٢٥ تحت رقم ٥٨- : كتاب أماني محمد في الفقه، وجاء عند حاجي خليفة ٥: ٢٦٨: «أمالي محمد بن الحسن... الكيساني».

ومما يؤخذ على المحققَين عدم الالتزام بتوحيد الأسماء والمواقع والأمكنة فعلى سبيل المثال وليس الحصر: تارة يأتي الاسم جم الشير بن أونجهان، وتارة جم الشيد بن أونجهان، وتارة جم بن أونجهان والصواب: جم الشيد = جمشيد، أو سفيان بن سحتان، وتارة شعبان بن سحتان (٤٢٦- ٤٢٧)، إضافة إلى أن المحققَين لم يعرّفا بالأماكن والمواضع.

وهناك بعض المواضع التي تتطلب التعليق عليها، خاصة تلك القراءات الشاذة التي تحتاج إلى تعليق، كما جاء في الصفحات ٤٩- ٥٠ حيث يورد صاحب الفهرست القراءات الشاذة واللحن، ولم يشرِ المحققان إلى اختلاف القراءات. وأحيانا يورد المحققان القراءة الصحيحة في النص دون أن يأخذا في الاعتبار مغزى النديم من إيراده للآية التي لُحِنَ فيها، نحو: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى﴾، فقد ذكر النديم القراءة الشاذة: (تبت يدا أبي لهب وقد تب ما أغنى) التي لم يثبتها المحققان! فما الفرق، إذن، في القراءة ولماذا أوردها النديم، وما هو وجه الخطأ فيها؟!

وجاء في قراءة الشعر، فعلى سبيل المثال وليس الحصر:

في ص ١١:

كلمون هو ركني ... هلكة وسط المحلة

الصواب:

كـلـمـون هـدّ ركـنـي هـلـكـه وسـط المحـلـه

أو كما جاء في ص ٢١:

لنـا نـوماء مـا يمـل حـديثـهـم أمنيون مأمون غيبا ومشهدا

يغيروننا من علمهم ....

الصواب :

لنـا نـدماء مـا يمـل حـديثـهـم أمينون مأمونون غيبا ومشهدا

يفيدوننا من علمهم ....

وجاء البيت في المصادر الأخرى :

لنـا جلسـاء ما نمـل حـديثـهـم ألباء مأمونون غيبا ومشهدا

أو : وأرحم يسفر عن ضده

والصواب : وأدهم يسفر عن ضده

أو ص ٧٢ : وكذاك العدد لم يعد قد قا ل جميلا ...

الصواب : وكذاك العدو لم يعد قد قا ل جميلا ...

أو ص ١٦١: ومجمع زور لا يكام زائره، والصواب كما جاء في ص ٧٣: ومجمع زور لا يكلم زائره.

أو ص ٢٦٠:

ألمم بزينب أن الركب قد أفداد / قل العزاء لئن كان الرحيل.

والصواب :

ألمم بزينب أن الركب قد رقدا / قل العزاء لئن كان الرحيل غدا.

إلى آخره من هذه الأخطاء المملة في قراءة المحققين للشعر.

ومما يؤخذ على المحقَقين عدم توحيد النصوص والربط بين أجزائها؛ فبعض النصوص المحققة تحتاج إلى تعليقات تنظيمية تربط بين أجزائها وعناصرها في الحاشية. فقد تمر عند المؤلف مسألة عارضة في موطن من كتابه، ويمر بها سريعا محيلا إلى تفصيل القول فيها في موضع آخر سيأتي أو العكس. ومن المفيد هنا أن يشير المحققان إلى مكان هذا الموضع من الكتاب في حاشية التحقيق، فإن ذلك يؤدي إلى تنظيم وتنسيق لمادة الكتاب واتصال عناصره بعضها ببعض. وصاحب كتاب الفهرست يحيل كثيرا في مواضع متفرقة من الكتاب. فعلى سبيل المثال، وليس للحصر، جاء في صفحة ٢١٣:

محمد بن حجر: ابن سليمان، وكان حجر من أهل حران .... وله كتب مدونة.

كاتب العباس: ابن محمد بن علي بن عبد الله بليغ مترسل ... وله رسائل مجموعة.

وجاء في صفحة ٢٢٨ برقم ٩- : محمد بن حجر [بن سليمان] كاتب العباس بن محمد.

وهنا ينبغي الإشارة في الهامش، على الأقل، إلى أن كاتب العباس هو محمد بن حجر بن سليمان.

وجاء في صفحة ٢١٨:

سعيد بن هارون الكاتب، شريك سهل بن هارون في بيت الحكمة.

وجاء في صفحة ٢٢٨ برقم ١٦- : سعيد بن هريم ، شريك سهل بن هارون على (كذا ، الصواب : في) بيت الحكمة .

وجاء في صفحة ٦٢٧: ابن وحشية الكلداني (١٠) : وهو أبو بكر أحمد ابن على بن المختار بن عبد الكريم بن جرثيا بن بدنيا بن برناطيا (١١) ابن عالاطيا الكسدائي الصوفي ، من أهل قسين... ومعني الكسدائى (كذا ، الصواب : كسداني) نبطي (جاء في هامش (١٠) يوسف اليان سركيس ، معجم... جـ ١: ٢٨١ ...) .

وجاء في صفحة ٧٠٩: ابن وحشية (٧٢) : أبو بكر أحمد بن على بن قيس بن المختار بن عبد الكريم بن حرثيا بن دينار من بوراطيا الكزداني (٧٣) ، من أهل جنلاء (كذا ، الصواب : جنبلاء) . وقسين . أحد فصحاء النبط بلغه (كذا ، الصواب : بلغة) الكسدانيين (هامش (٧٢) الأعلام جـ ١: ١٧٠) .

فالمحققان هنا لم يشيرا في الهامش إلى اختلاف النصين في الكتاب الواحد ، أو إلى الاختلافات التي وردت في بقية النسخ من المخطوطة .

ومما يزيد الطين بلّة كثرة الأخطاء الطباعية ، وبوجودها ظهرت الأخطاء الإملائية ، هذا إلى جانب كتابة الياء وكأنها ألف مقصورة بدون نقطتين ، نحو : على وعلي ؛ إلى وإليّ ، كما جاء على سبيل المثال وليس للحصر في ص ١٠٩: بعث إلى الخليل بطلب كتابي ، والصواب : بعث إليّ الخليل يطلب كتابي . أو عدم التمييز بين استخدام (ة) و (ه) نحو ما جاء- على سبيل المثال وليس الحصر ، في صفحة ٢٤٣: ابنة أبو القاسم ، والصواب ابنه أبو القاسم ؛ أو كتابة الهمزة ، نحو الدوئلي والصواب الدؤلي إلخ .

ولا تكاد تخلو صفحة من الأخطاء في علامات الترقيم ، فبدلا من توضيح النص وإجلاء غموضه يصبح النص وكأنه قد كتب بلغة لا تمت إلى العربية بشيء ، اللهم إلا بحروفها ، هذا إلى جانب المشكلة التي يرثها من ينقل عن تحقيق آخر فيخطئ في المواقع ذاتها إلى جانب أخطائه .

كذلك لم يميزِ المحققان ما هو جزء من الفقرة وما هو عائد لفقرة أخرى ، فعلى سبيل المثال - وليس الحصر - ما جاء في ص ٣٠٧ تحت فقرة أبي تمام : « لم يزل شعره غير مؤلف ... إلى أيام الصولي ، فإنه عمله على الحروف نحو ثلاثمائة ورقة . وعمله أيضا : ١- علي بن حمزة الصبهاني (كذا) فجود فيه على غير الحروف بل على الأنواع . ٢- عبد اللّٰه بن محمد العتبي ، خمسون ورقة . ٣- أحرم بن حميد الطوسي ، سبعون ورقة . ٤- أخواه حمدون وداود ، شعراء ، خمسون ورقة لكل واحد . ٥- عبد اللّٰه بن عبيد اللّٰه العايشي ، خمسون ورقة . ٦- أبو نهشل ، شاعر مقل . ٧- أبو نصر ، شاعر مقل . ٨- محمد بن حميد ، شاعر مقل » .

الصواب : « لم يزل شعره غير مؤلف ... إلى أيام الصولي ، فإنه عمله على الحروف نحو ثلاثمائة ورقة . وعمله أيضا علي بن حمزة الأصبهاني ؛ فجود فيه على غير الحروف بل على الأنواع » . أما بقية الأسماء الواردة ، أعني : عبد اللّٰه ابن محمد العتبي ... إلى قوله : ٨- محمد بن حميد ، شاعر مقل . فهؤلاء لم يعملوا شعر أبي تمام وإنما هم شعراء آخرون ، وينبغي ترتيبهم كما يأتي :

أبو تمام ...؛ عبد اللّٰه بن محمد العتبي ، خمسون ورقة ، عبد اللّٰه بن عبيد اللّٰه العائشي ، خمسون ورقة ؛ أحرم / أخرم (نسخ : إسحاق) بن حميد

الطوسي ، سبعون ورقة ، أبو نهشل ، شاعر مقل ، أبو نصر ، شاعر مقل ؛ محمد ابن حميد ، شاعر مقل [هؤلاء أخوة أحرم / أخرم (نسخ : إسحاق) بن حميد الطوسي] ، إبراهيم بن إسماعيل بن داود الكاتب ، سبعون ورقة ، سقط من نسخة المحققين ، أخواه حمدون وداود ، شعراء ، خمسون ورقة لكل واحد ، البحتري ...

كذلك ما جاء في ص ١٤٤: ١- كتاب الترجمان في معاني الشعر ، ويحتوي على كتاب حد الأعراب .

٢- كتاب حد المديح . ٣- كتاب حد النجدة .

٤- كتاب الحلم والرأي ....

الصواب : ١- كتاب الترجمان في معاني الشعر ، ويحتوي على :

أ- كتاب حد الإعراب . ب- كتاب حد المديح . ت- كتاب حد النجدة .

٢- كتاب الحلم والرأي ....

ومما هو جدير بالذكر هنا تشجيع النديم للنساخ وللقراء بإضافة ما يرونه من إضافات تلحق في مواضعها من الكتاب ، إذ ورد في صفحة ٣٩٧: « .. هذا ما رأيناه من كتبه . وزعم بعض الزيدية أن له نحوا من مائة كتاب ولم نرها ، فإن رأى ناظر في كتابنا شيئا منها ألحقها بموضوعها (كذا ، الصواب : بموضعها) إن شاء الله تعالى » . ولكن المحققَين لم يوردا اختلافات النسخ في الهامش .

وترد، في بعض الأحيان، زيادات في نسخ دون غيرها من نسخ الفهرست، دون أن يثبتها المحققان أو يشيرا إليها؛ فعلى سبيل المثال وليس للحصر، ما جاء من الزيادات في مخطوطة تونك الهندية، صفحة ٣٧٣: عبد اللّٰه بن داود ... وله من الكتب ...، وجاء في نسخة تونك: عبد اللّٰه بن داود وله من الكتب: ١- كتاب القضاء والقدر.

أو ما جاء في صفحة ٧٤: أبو عدنان السلمي، فقد أضاف ناسخ مخطوطة (شهيد علي باسطنبول) كتاب النحويين إلى تآليفه.

كذلك صفحة ٤٠٧ عند ذكر ابن المعلم فقد أضافت نسخة تونك ٢٧ كتابا من كتبه تجاهلها المحققان.

أو ما جاء في صفحة ٤٨٤: أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد أبي الثلج (الصواب: ابن أبي الثلج)، (انظر صفحة ٤٨١) الكاتب، وله من الكتب ...

أما نسخة تونك فجاء فيها: أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أبي الثلج الكاتب، وله من الكتب: ١- كتاب الأيمان. ٢- كتاب النذور.

وجاء في نسخة ١٩٣٥، عند الحديث عن أبي الحسن أحمد بن علي (ص ٢٥٥): ٤- كتاب ديوان شعره.

وقد أسقطت بعض النسخ كثيرا من الأسماء والعناوين الواردة في الفهرست، فمثلا، وليس للحصر، أسقطت نسخة تشيستربيتي أخبار أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ص ١٣٧)، فكان على المحققَين أن

يشيرا إلى ذلك في الهامش.

وفي الوقت ذاته يضيف الناسخ أو أحد القراء بعض البيانات أو التعليقات المهمة مما ينبغي إضافتها والتنبيه عليها في الهامش؛ فعلى سبيل المثال - وليس الحصر - ما جاء في صفحة ٥٥٤ عند الحديث عن كتب سهل بن بشر، وأثبته فلوجل في النص وأضافه تجدد في هامشه بعد ذكرهما للكتاب العاشر: «قيل لي: إن الروم تعظم كتاب الجبر والمقابلة وتصفه».

وترجع أهمية الإضافة إلى:

أولا: أن الكتاب لم يأت ذكره إلا في نسخة تشستربيتي.

ثانيا: أصبح في علمنا أن هناك كتابا آخر لسهل بن بشر يعرف بكتاب الجبر والمقابلة.

لا أريد الإطالة هنا ولكني أكتفي بالقول بأن الكتاب بشكله هذا لا يمكن الاعتماد عليه ولا يُركن إلى ما فيه.

* * *

العلامة محمد بهجة الأثري

خاتمة الرواد

هلال ناجي*

ذكريات من الماضي

كان الأثري - رحمه الله - من أخدان أبي ، كلاهما وُلد في رصافة بغداد عام ١٩٠٢ م ، وأَتمّا قراءة القرآن في الكتاتيب ، وهما في السادسة من عمرهما . ثم تزاملا في مراحل الدراسة الابتدائية بمدرسة البارودية ، حيث كانت تقيم أسرة أبي ويقوم جامعها (١) . وتزاملا في المدرسة السلطانية ، وهي مدرسة ثانوية ، كانت تدرِّس العلوم العصرية باللغة التركية ، إبّان الحكم العثماني ، فأَتقنا اللغة التركية .

---

* باحث تراثي معروف ، نشر له المعهد أكثر من بحث في مجلته ، كما نشر له مستدركًا على الجزء الأول من المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع .

(١) جامع أحمد المصرف في محلة البارودية برصافة بغداد .

وكان من غرائب هذا التجاور والتزامل، أن اتفقت هواياتهما، فمال كل منهما إِلى تجويد الخط ورسم الخرائط. وعمد الأَثري إلى أخذ خط النستعليق[1] بالذات عن المرحوم علي بن درويش، الخطاط البغدادي الشهير.

وكان من ثمار تجويد الأثري الخطّ وعنايته به أن ترجم بالمشاركة كتاب الدكتور سهيل أنور المعنون: «الخطاط البغدادي علي بن هلال»، وألحق به تعليقات فنية وتاريخية وأدبية نفيسة[2].

وكان من ثماره أَيضا أن انصرف السيد الوالد في النصف الثاني من حياته إِلى تَوْرَخَةِ الخط العربي، فصدرت تصانيفه الشهيرة: مصور الخط العربي[3]، وبدائع الخط العربي[4]، و «موسوعة الخط العربي»[5].

وكان من ثمار حبّهما «رسم الخرائط» أن عكف الأثري على رسم خارطة «صورة الأرض» التي وضعها الجغرافي العربي «الشريف الإدريسي» للملك النورماندي روجار الثاني - ملك صقلية - وكان المستشرق كونراد ملر قد وحّد أجزاءها السبعين الواردة في كتاب الإدريسي «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» ورسم أَسماء المدن والمعالم الجغرافية بالحروف اللاتينية، فانصرف الأثري بمشاركة صديقه المرحوم «جواد علي» إِلى إِعداد صيغة عربية مصححة على الأُصول المخطوطة - مصوِّبين كثيرًا من تحريفات ملر - ثم كتب الأَثري أسماء الأَعلام بخطه الجميل، ونهد المجمع العلمي العراقي إلى طبع هذه الخارطة بمطبعة المساحة

---

(١) النستعليق: كلمة مركبة من النسخ والتعليق، وهو نوع من الخط العربي شُغف به كُتّاب المشرق الإسلامي.

(٢) صدر الكتاب عن المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٨.

(٣) صدر الكتاب عن المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٨.

(٤) صدر الكتاب عن وزارة الثقافة والإعلام في بغداد سنة ١٩٧٢.

(٥) صدرت منها أربعة أجزاء في الثمانينيات، عن وزارة الثقافة والإعلام العراقية.

طباعة ملونة حسنة عام ١٩٥١ . ثم أَعادت جمعية المهندسين العراقيين طبعها بعد ذلك[١] . وأعدَّ الأثري معجما سمّاه « معجم الأقاليم » ، عرَّف به بأَعلام خارطة الإدريسي ، وهي تناهز ثلاثة آلاف علم جغرافي[٢] .

صداقة منذ الطفولة ، وتزامل في الدراسة الابتدائية والثانوية ، وتجاور في الأحياء[٣] ، وتماثلٌ في الهوايات - حتى في الفروسية واقتناء الخيل - جمعت بين العلامة الأَثري وبين أبي - رحمهما اللّه - هذا ما وعيته من ذكريات الماضي . وتعبيرًا عن هذه الصداقة الموغلة عبر الزمن ، صَدَّر الأثري بقلمه كتاب السيد الوالد المعنون : « بدائع الخط العربي » في ١٣٩١/٩/٢٧ هـ بما نصه : « أَخي وصديقي الأَقدم « لقد مَثَّلْتَ في كتابك فطرتك الفنية المطبوعة ، وأَبرزت فيما استحدثت فيه ذوقك وجهدك وعلمك ، ودلّلت على ذلك كله بما حشدت فيه من روائع الخطوط والزخارف ، مما أبدعته العبقرية العربية ، وشارك فيه المسلمون ، وظلَّ حبيسًا في زوايا الخزائن الخاصة والعامة ، وبما بحثتَ فأحسنتَ بحثه من تاريخها وأطوارها وفنونها ومبدعيها في كلّ عصر ومصر ... وإذا كتابك معرض تزهي فيه عرائس الفن العربي ، ومورد للعلم يزكو فيه الخصب والخير . فللّه أنت ، وللّه مسعاك ، نفع اللَّه أمتك بما قدمت إليها من خير ، وجعل منك المثال والقدوة للأجيال . يتأسون بك في السيرة ، ويتابعونك على الإقبال على ما يبعث مجد الأمة ، ويجدّد شباب الحضارة العربية الإسلامية من المساعي المجدية » .

---

(١) أعلمني المرحوم الأثري أنه أعاد النظر في تلك الخارطة وحققها مجددًا منفردًا مُزيلًا كثيرًا من غموضها وتحريفها . ولم تطبع لظروف قاهرة .

(٢) مازال المعجم مخطوطا .

(٣) في مطلع حياته سكن الأثرى محلة جديد حسن باشا القريبة من محلة البارودية . وفي نصفها الثاني استقرّ بمحلة نجيب باشا ، حيث عاش السيد الوالد الثلث الأخير من عمره .

إن هذه الصلة الوطيدة بين الراحلَيْن، دفعتهما إلى دعم عملاق الشعر الشعبي في العراق - الملّا عبّود الكرخي -، إذ كتب الأَثري مقدمة الجزء الأَول من ديوان الكرخي الصادر في بغداد سنة ١٩٣٣. ورسَم السيد الوالد أغلب لوحاته الفنية الكاريكاتورية وذيَّلها باسمه. وسرّ إعجابهما بهذا الشاعر الفحل - رغم عامية شعره - أَنه كان عَلَمًا في مواجهة الطغاة والمستغلين والمحتلين في زمنه، وأَنه كان مُعَبِّرًا عن ضمير الشعب العراقي، ولم يَجُدِ الزمان حتى اليوم بمن يخلفه.

وإلى هذه الصداقة الضاربة بجذورها عبر الزمن بين الراحلَيْن، أَشار الأَثري في قصيدة وجّهها إليّ عام ١٣٨٦ هـ؛ إذ قال*:

يا ذاكرينا سلمتم للوفاء وقد ... كان الوفاءُ على الإنسان عنوانا

كنزٌ من الحُبِّ مذخورٌ لكم أبدًا ... في خافقي وهو يربو فيه مُذْ كانا

درى الوفيُّ أبوكم منه رَيِّقَهُ ... وزادكم قُربنا علمًا وإيمانا

وأَدْوَم الحبِّ ما وَطَّدْتَ تالِدَهُ ... بطارفٍ فَرَسا أُسًّا وأَركانا

وهكذا امتدت فروع هذه المودة الوطيدة من الأَب إلى الابن، فتخذتُ من العلّامة الأَثري - رغم فارق السنّ الكبير بيننا - أخًا كبيرا، وصديقا كريما. تُسعدني دعوته إلى دورنا كُلَّما أوْلمنا لوفدٍ أو زائر يؤم بغداد من أَعيان الفكر والأَدب وأَعلامهما، أو احتفينا به، أو أَقمنا حفلا مهمًّا في «اتحاد المؤلفين والكُتَّاب العراقيين»، الذي كان لي شرف رئاسته في سنوات خلت، فكان الراحل الكبير دُرَّة تلك المجالس وشيخها والمتصدّر فيها، يَأْنَسُ الحُضّار بعلمه وحديثه. كان ذلك

* أثبتنا نص القصيدة بخط الفقيد، حفظًا لأُنموذج من خطه الجميل، وتوثيقًا لبحثنا هذا.

في السبعينيات وبواكير الثمانينيات ، وقد وثَّقَتْ ذلك عشراتُ الصور مما نعتزّ به .

أَطراف من سيرته التعليمية :

وانتمى الفتى محمد بهجة بن محمود بن عبد القادر بن أَحمد بن محمد الديار بكري[1] ، إلى المدرسة الرشدية العسكرية ليتخرج ضابطا في الجيش العثماني ، لكنه مرض فتركها .

ثم انتسب إلى المدرسة السلطانية حيث درس العلوم العصرية باللغة التركية ، وبقي فيها حتى احتلَّ الإنكليز بغداد في آذار ١٩١٧.

وبسقوط بغداد عطلت المدارس ، ولم تبق فيها غير مدرسة واحدة هي مدرسة « الإليانس الإِسرائيلي » ، ولرغبة أَبيه في تعليمه الفرنسية والإنكليزية أَلحقه بها ، ومعه حفنة من الطلبة المسلمين ، ثم تركها بعد سنة إثر خلاف حاد مع إِدارتها .

وكأنّ العناية الإلهية شاءت له أن يتفرغ لدراسة العلوم الإِسلامية على شيوخ جلة فضلاء ، ليبزَّ بها أَقرانه . هؤلاء الشيوخ هم :

١ - محمود بن علي مدرِّس مدرسة مسجد أحمد بوشناق باشا .

٢ - الشيخ عبد المحسن الطائي المدرِّس في المدرسة النعمانية .

---

(١) كان جدُّه الأَعلى أحمد أغا من عرب ديار بكر بن وائل ، الواقعة ضمن أراضي الجمهورية التركية حاليا . هاجر إلى العراق إِثر خلاف مع واليها وتوطن « إربل » مدة ، ثم انتقل إلى بغداد ، وبنى له فيها خانا قرب المدرسة المستنصرية . واحترف هو وابنه وحفيده من بعده التجارة مع سكان شمال العراق - إربل والسليمانية - وتجارة الخيل التي كانت ترسل إلى الهند .
أمّا والدته فهي السيدة زينب بنت محمد أمين ، وكانت تركية الوالد تركمانية الوالدة .
وكان الأَثري بكر أَبويه ، توفيت أُمّه وهو في الثالثة عشرة من عمره . وتوفي والده عام ١٩٣٠ مفلوجا ، بعد أن عاش مُنَغَّص الحياة ، ولم يُعَمَّر .

٣ – الشيخ الفقيه الشاعر قاضي بغداد علي علاء الدين الآلوسي ، وقد دَرَس عليه علوم اللغة والأَدب . ورغم أن دراسته على هذا الشيخ الجليل لم تدم غير ستة أَشهر لإصابة الشيخ بفالج – رحمه اللّه – إلاّ أَنه ترك أثرًا عميقا في نفس فتانا الغضَّة .

٤ – في تلك المدة شرع في تلقي القراءات السبع عن الحافظ الشاعر عثمان الموصلي ، وصدرًا من شرح أَلفية ابن مالِك على الأُستاذ منير القاضي ، المدرِّس في مدرسة عثمان أفندي ببغداد آنذاك .

٥ – ثم كانتِ الانعطافة الكبرى في حياته الدراسية ، حين قصد علّامة العراق السيد محمود شكري الآلوسي ، ولازمه أَربعة أَعوام ، فأخذ عنه العلوم العربية والإِسلامية . ودلَّه شيخه على عيون المراجع المخطوطة ، وحبَّب إليه نسخها ومعارضتها ونقضها ، فكان لذلك الأُسلوب أثره في تنمية مواهبه ومعارفه وفي حثّه على البحث والتأليف والنشر . وفارق العلَّامة الآلوسي دنيانا عام ١٩٢٤، فلم يأخذ صاحبنا بعده عن أحد غير محاضرات في أصول الفقه تلقَّاها على الشيخ الفقيه أَمجد الزهاوي ، رحمه اللّه .

وبعد وفاة شيخه الآلوسي اعتمد على نفسه في تطوير ثقافته وعلمه ، حتى صار باحثًا موسوعيا بجدارة .

ترك الشيخ محمود شكري الآلوسي في نفس الأَثري وفي فكره أَبلغ الأَثر عقيدةً وعلمًا وعملًا .

فأمّا العقيدة فقد وضحت باعتناقه مذهب شيخه السلفي ، مُنَزِّهًا الإِسلام عمّا ران عليه من شوائب . فقد نشر الأَثري كتاب شيخه « تاريخ مساجد بغداد وآثارها » ، بعد أن هَذَّبه . تعرَّض فيه لطائفة من أَدعياء الدين ، فرفعوا عليه الشكوى

الجزائية عام ١٩٢٧، فمثُل أَمام محكمة جزاء بغداد ، ونفى التهمة عن دعوته الإِسلامية الإِصلاحية[(١)] .

وبدا ذلك واضحًا فيما كتبه وحاضر به عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيما بعد ، وعن حركة الإِصلاح الديني في نجد ، في المائة الثانية عشرة للهجرة .

وأما العلم والعمل فقد :

١ - عَدَّ نفسه - وهو جدير بذلك - القَيِّم على آثار شيخه الآلوسي ، فحرَّر وحقّق وشرح ونشر الكثير منها على امتداد حياته ، حتى في أَعوامه الأخيرة .

وكان ذلك آية من آيات وفائه لشيخه ، وسنذكر هذه المصنفات في موضعها من بحثنا هذا .

٢ - صَنَّف كتابًا عن سيرة شيخه ، وأَعلام الأُسرة الآلوسية ، وسمه بـ (أَعلام العراق) صدر في القاهرة سنة ١٩٢٦.

٣ - حاضر طلبة معهد الدراسات العربية العليا في القاهرة ، عن شيخه ، ثماني محاضرات بعنوان : « محمود شكري الآلوسي وآراؤه اللغوية »[(٢)] .

٤ - ومما يتصل بهذا المطلب نشره رسائل تاريخية ، كان الأَب أَنَستاس ماري الكرملي قد بعثها إلى الإِمام الآلوسي ، وهي وإن كانت رسائل إِخوانية إلاّ أَنها تكشف وتشفّ عن مكانة الإِمام في زمنه[(٣)] .

---

(١) جريدة - البلاد - ١٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٧.

(٢) صدرت في القاهرة سنة ١٩٥٨ في مطبوعات المعهد .

(٣) نشرها في مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الثالث ، الجزء الثاني ١٩٥٥، ص ٢٩٥- ٣٠٨. وقد ذيَّلها بتعليقات نفيسة .

لماذا لُقِّبَ بـ « الأَثري » ؟

ويثور سؤالٌ عن لقبه هذا ، ما قصته ؟ وموجزها أنه وهو يقرأ على شيخه القاضي علي علاء الدين الآلوسي ، عَرضت له عبارة في كتاب فقه حنفي عنوانه « مراقي الفَلَاح » ، قال صاحبها وهو الطحطاوي مُحَشِّي الشرنبلاليّ ما خلاصته : « إذا عُجِن عجينٌ بماء ثم تبينتْ نجاسة هذا الماء ، فعلى صاحبه الحنفي إمَّا أن يبيعه إلى شافعي ، وإمّا أن يطرحه إلى كلب » . فأذهلته العبارة ورفض فقهًا يكتب مثلها . قال له شيخه : وما تريد أن تقرأ ؟

قال التلميذ : أُريد أن أَتعلم فقه الإِسلام في صحيحه .

قال الشيخ : أَنت إذن أَثري ؟ فسأله التلميذ : وما الأَثري ؟

قال الشيخ : الأَثري هو الذي يتبع آثار الرسول محمد ﷺ قولًا وفعلًا .

أَجاب التلميذ : هذا ما أَطلبه .

وشرع التلميذ يقرأ بتوجيه شيخه كتاب « الشهاب في الحكم والآداب » للقاضي القُضاعي . وهو أَحاديث شريفة مختارة ، فحفظها من غير أَسانيد . وعاج بعدها إلى كتب صحاح السُّنَّة والمسانيد ، واتخذ من لفظة « الأَثري » لقبًا له طولَ حياته .

شيء عن حياته الأُسرية :

تزوج الأَثري من فتاة دِمَشْقية هي السيدة شهيرة توفيق نظيف ، حفيدة نظيف باشا والي ولاية دمشق في العهد العثماني . وذلك أَوائل عام ١٩٣٤ . وانتقلت إلى رحمة اللَّه في عام ١٩٩٣ . ووَلدت له من فراشه ثلاثة ذكور هم : زاهر ، وسناء ، وياسر . وثلاث إناث هنَّ : نهى ، وزينب ، وعالية .

وظائفه :

مارس تدريس العربية في الثانوية المركزية ببغداد، من سنة ١٩٢٦ حتى عام ١٩٣٦، ثم ندبه المرحوم ياسين الهاشمي، رئيس وزراء العراق، للسفر إلى القاهرة للاطلاع على قوانين وزارة الأَوقاف، ومناهج التعليم في الأَزهر الشريف، ضمنَ وفد كبير من الطلاب والنواب. وإِثر عودته رفع تقريرًا عما كلِّف به، مقترحًا الإِصلاحات التي رآها لإِصلاح أَوقاف العراق، ونظام كلية الإِمام أَبي حنيفة، فعُهِدتْ إِليه مديرية أَوقاف بغداد. وبعد قيام انقلاب بكر صدقي سنة ١٩٣٦، ثم سقوطه بعد أَشهر بمقتل قائد الانقلاب، وتسلُّم جميل المدفعي رئاسة الوزارة، أَبدى رغبته في عدم الاستمرار في وظيفته. فنُقل إِلى وظيفة التفتيش الاختصاصي بديوان وزارة المعارف في تشرين الأَول (أكتوبر) ١٩٣٧، ولبث فيها حتى قامت ثورة مارس ١٩٤١ على الإِنكليز. وحين أَيَّد الثورة الوطنية بشعره واندحر الثائرون بعد شهر من قيامها، واحتل الإِنكليز بغداد، فُصل من وظيفته لمدة خمسة أعوام، ونُفِي مع الأَحرار إِلى معتقلات الفاو، فسامراء، فالعمارة، وبقي فيها نحو ثلاثة أَعوام. ثم أُطلق سراحه من سجنه فعاد إِلى بغداد. وظلَّ مفصولًا من عمله، معتزًّا بكرامته، حتى صدرت إِرادة ملكية بتعيينه عضوًا في المجمع العلمي العراقي، في الرابع من يناير ١٩٤٨. وأُعيد إِلى وظيفته السابقة بديوان المعارف. وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، عُيِّن مديرًا عامًّا للأَوقاف، فشرع بتشييد عمائر الأَوقاف، وإِعمار المساجد، وإِصلاح نظم الأَوقاف، حتى التاسع من شباط (فبراير) ١٩٦٣، حيث تقاعد عن العمل الإِداري وانصرف إِلى البحث والتحقيق والنشر.

مناصبه المَجْمَعِيَّة :

١ - انتُخِب عضوًا مؤازرًا في المجمع العلمي العربي بدمشق ، سنة ١٩٣١.

٢ - انتُخب عضوًا مراسلًا في مجمع فؤاد الأَول للغة العربية بمصر ، سنة ١٩٤٨، ثم عضوًا عاملًا فيه سنة ١٩٦١.

٣ - اختير سنة ١٩٤٨ عضوًا في المجمع العلمي العراقي ، وظلَّ فيه حتى سنة ١٩٦٣.

٤ - لمّا أُعيد تشكيل المجمع العلمي العراقي في نيسان ١٩٧٩، أُعيد ضمّه إِليه حتى وفاته .

٥ - اختير سنة ١٩٨٠ عضوًا مشاركًا في أَكاديمية المملكة المغربية .

٦ - اختير سنة ١٩٨٠ عضوًا مؤازرًا في مجمع اللغة العربية الأُردني .

جهوده العلمية :

كان الأَثري - رحمه اللَّه - رجلًا متعدِّد جوانب المعرفة . وكان إِلى تبحُّره في العربية يتقن التركية كواحد من أَبنائها ، ويلمُّ إِلمامًا جيِّدًا بالإنكليزية والفرنسية .

وقد تتلمذ على جلّة فضلاء تقدَّم ذكرهم ، وثقَّف نفسه تثقيفًا ذاتيًا معمَّقًا .

وكان من أثر ذلك أن تجلَّت ثقافته الموسوعية ، فبرز مُحقِّقًا ، ولغويًّا ، ومؤرِّخًا ، وجغرافيًّا ، ومؤلِّفًا ، ومترجمًا ، وصحفيًّا ، وناقدًا ، وشاعرا ، وهي صفات نادرًا ما اجتمعت لفرد . وإنَّ من حق العلم علينا أن نجلو - بالإِيجاز الممكن - كلّ صفحة من هذه الصفحات ، استكمالاً لما سعينا إِليه من التعريف بجهوده العلمية والأَدبية .

الأَثري مُحقّقاً

عُرف الأَثري بأَنه كان من أَعلام التحقيق على امتداد العالم العربي والإِسلامي .

لكن مُنعم النظر في تحقيقاته ، التي سنوردها مفصَّلة فيما بعد ، يجد فارقًا أَساسيًّا بين تحقيقاته التي سبقت عام ١٩٥٠، وبين تحقيقاته التي تلتها .

ففي المرحلة الأُولى ، لم يكن يلتزم قواعد التحقيق العلمي المعروفة في زمننا هذا ، وإنّما كان يحاول إِخراج النصّ سليمًا - ما وسعه ذلك - مُوَشَّحًا بشروح وتعليقات . ولم تخلُ هذه النشرات من عثرات كثيرة . هذه التحقيقات هي :

١ - أدب الكُتّاب : تأليف أبي بكر محمد بن يحيى الصولي .

غُني بتصحيحه وتعليق حواشيه ، ونظر فيه شيخه السيد محمود شكري الآلوسي ، وطُبع بالمطبعة السلفية بمصر ، سنة ١٣٤١ هـ .

٢ - مناقب بغداد : تأليف أبي الفرج ابن الجوزي .

صححه وعلّق هوامشه ، بغداد ، مطبعة دار السلام ، ١٣٤٢ هـ .

٣ - الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر : تأليف محمود شكري الآلوسي . شرحه الأَثري . المطبعة السلفية بمصر . القاهرة ١٣٤١ هـ .

٤ - بلوغ الأَرَب في معرفة أَحوال العرب : تأليف محمود شكري الآلوسي . حققه وعلّق عليه . ووقع في ثلاثة أجزاء ، طُبع أول مرة سنة ١٩٢٤ .١٩٢٥

ونال عليه جائزة جمعية الأَلسن الشرقية في ستوكهولم .

٥ - تاريخ نجد : تأليف محمود شكري الآلوسي .

حققه الأَثري وعلّق عليه . طُبع طبعتين ، مقدمة الطبعة الأولى مؤرخة ١٣٤٣هـ ، أمّا الطبعة الثانية فقد صدرت سنة ١٣٤٧ هـ = ١٩٢٨ م .

وقد أُلحقَ بها تتمة ، حَبَّرها أحد علماء نجد ، هو الشيخ سليمان بن سحمان ، تضمنت تصويبات وإِضافات على كثير مما ورد في الطبعة الأُولى . واستغرقت الصحائف ١٢٤ - ١٤٥ منها .

٦ - السواك : لمحمود شكري الآلوسي .

نص قصير . شرحه الأَثري ونشره في مجلة الحرية الصادرة في بغداد سنة ١٩٢٤. الجزآن (١ - ٢) ، السنة الأولى ، ص ٦٧ - ٧٠.

٧ - شرح « لوح الحفظ في حساب عقد الأصابع » . تأليف : علي بن عبد القادر بن شعبان . نشره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، سنة ١٩٢٥، المجلد الخامس ، الجزء الثاني ص ٧٠ - ٧٩.

٨ - تاريخ مساجد بغداد وآثارها . تأليف محمود شكري الآلوسي .

هذّبه وحققه الأثري . بغداد ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٧ م .

٩ - شرح منظومة محمود النسب وأَخبار أَخيار السلف .

المنظومة للشيخ أحمد المالكي ، والشرح لمحمود شكري الآلوسي .

حققها الأَثري ، ونشرها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٢٣ م ،

المجلد الثالث ص ١٠٥ - ١١٠.

١٠ - أُمُّ الرَّجَز: لأَبي النجم العجلي.

حققها ونشرها في مجلة المجمع العلمي العربي، سنة ١٩٢٨. المجلد الثامن. ج ٨ ص ٤٧٢ - ٤٧٩.

في المرحلة الأولى - كما قلنا - لم يكن يأخذ بقواعد التحقيق العلمي الحديثة، من وصف النسخة المخطوطة المعتمدة، ومعارضتها بغيرها، وترجمة أَعلامها، وتخريج شواهدها ونصوصها، وغير ذلك.

فقد لاحظت، على سبيل المثال، أَنه في «أدب الكُتاب» للصولي، قد وقع في أَوهام كثيرة، حتى في أَسماء الشعراء منها:

ص ٩٨: أَحمد بن ثور: والصواب حُميد بن ثور.

ص ٦٣: عبد السلام بن رعيان الحمصي: والصواب عبد السلام بن رغبان، وهو ديك الجن.

ص ٥٣: أبو هفان عبد اللّه بن أَحمد المهتزمي: والصواب المهزمي العبدي، من عبد القيس.

ص ٦٠: عصابة الجرجاني: والصواب عصابة الجرجرائي، نسبة إِلى جرجرايا.

ص ٦٥: عبد الصمد بن المعدل: والصواب: ابن المعذل.

ص ٦٦: أَبو الهندي وهو أَشعث اليربوعي: صوابه أَبو الهندي أَزهر بن عبد

العزيز بن شبث بن ربعي ، كما ورد في كنى الشعراء ، لمحمد بن حبيب ، أَو عبد الله ابن ربعي بن شبث بن ربعي ، كما ورد في طبقات ابن المعتز .

وتتبع ما ورد في هذا الكتاب من تصحيف وتحريف وأَخطاء ، يخرج عن مطلبنا ، غير أَني واجد العذر للأَثري ، إذْ حرَّرهُ في العشرينيات ، وهو بعدُ شاب لم تصلب قناته ، ولم تَشْتَدّ معرفته ، فوقع فيما وقع فيه .

لكنّه في المرحلة الثانية بدءًا من عام ١٩٥٠ ، تغيّرت تحقيقاته تغيّرًا جوهريًا ، فاتّسمت بالجمع بين مذهبين : مذهب المعاصرين في تحقيق النصوص ، ومذهب قُدامى المحققين في الشرح والتعليق ، وإِزالة غموض النصّ وتفسيره ، بما لا نظير له إِلاّ عند ندرة من المعاصرين . لقد حقق في المرحلة الثانية الكتب التالية :

١ - كتاب النغم ، ليحيى بن علي بن يحيى المنجم ، طبعه المجمع العلمي العراقي في بغداد ، سنة ١٩٥٠ . والرسالة صغيرة وقعت في (١١) صحيفة ، قدّم لها د . جواد علي بمقدمة طويلة ، ظنَّ فيها أَن الرسالة تُنشر لأَول مرة ، وكانت في زوايا الإِهمال . وهو كلام نبهت إِلى خطئه في كتابنا « أربعة شعراء عباسيون » ص ١٩٥ - ١٩٦ ، إذ سبق للمستشرق « فارمر » أن نشر هذه الرسالة عن المخطوطة البريطانية ذاتها ، في كتابه الموسيقى العربية في كتاب الأَغاني المطبوع في لندن سنة ١٩٤٠ . لكنّ المهم في الأَمر أَنه ابتداءً من عام ١٩٥٠ ، بدأت معالم النضج والدقة والالتزام بالمنهج العلمي الحديث في التحقيق واضحة في تحقيقاته .

٢ - خريدة القصر وجريدة العصر : تأليف العماد الأَصبهاني الكاتب ، وقد نَشر أَجزاءَها السبعة بين عامي ١٩٥٥ - ١٩٨١ .

٣ - النحت وبيان حقيقته ونبذة من قواعده : تأليف محمود شكري الآلوسي .

حققه الأَثري ، المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٨.

٤ - كتاب الماء وما ورد في شربه من الآداب : تأليف الآلوسي .

حققه الأَثري ، مجلة الأَكاديمية المغربية ، ١٩٨٥.

٥ - ذرائع العصبيات العنصرية في إِثارة الحروب وحملات نادر شاه على العراق في رواية شاهد عيان : تأليف عبد الرحمن السويدي .

حققه الأَثري ، المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨١.

٦ - تفسير أُرجوزة أبي نُواس في تقريظ الفضل بن الربيع وزير الرشيد والأَمين : تأليف ابن جنّي .

حققه الأَثري ، وطبعه مجمع دمشق سنة ١٩٦٦ م ، ثم أَعاد طبعه سنة ١٩٨٠.

٧ - كتاب عين الحياة في علم استنباط المياه : صنّفه أَحمد بن عبد المنعم الدمنهوري .

حققه الأَثري ، أَكاديمية المغرب ١٩٨٩، ولم أقف عليه ، لكنني وقفتُ على الدراسة الممتعة التي قدّم بها الكتاب وعنوانها « علم إنباط المياه الخفيّة عند العرب » ، وكتاب « عين الحياة في علم استنباط المياه ومؤلفه » . تضمنت مقدمة وافية وتعريفًا شاملاً بالمؤلف ، مجلة المجمع العلمي العراقي ج ١، المجلد ٣٩، ص ٥ - ٢٨.

٨ - مقدمة كتاب « نزهة الأَرواح وروضة الأَفراح » لمحمد بن محمود

الشهرزوري . حققها ونشرها الأثري ، ضمن كتاب « نصوص فلسفية مهداة إلى إبراهيم مدكور » رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، القاهرة : ١٩٧٦. ووقع تحقيقه في الصحائف (١٣٥ - ١٧٤) .

٩ - فتاوى أو تحقيقات لغوية ونحوية نادرة : تأليف الآلوسي .

حققها الأَثري ، مجلة أكاديمية المغرب ١٩٨٩ ، العدد السادس ، ص٦٣ - ٨٣.

١٠ - عقوبات العرب في جاهليتها وحدود المعاصي التي يرتكبها بعضهم : تأليف الآلوسي . حققه الأَثري ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ٣٥ ج ٢، ص٣ - ٨٥، ١٩٨٤.

١١ - شرح أُرجوزة الأَلوان : وهي أُرجوزة قصيرة نظمها الفقيه علي بن أبي العزِّ الحنفي الدمشقي ، (ت ٧٩٢ هـ) ، وشرحها السيد محمود شكري الآلوسي . وقد حقق الشرح والنص المرحوم الأَثري ، وما زال مخطوطًا .

١٢ - العقد الثمين في مباحث التضمين : تأليف العلامة الآلوسي .

حققه الأَثري . وما زال مخطوطا .

١٣ - مقامات يحيى بن سعيد بن ماري ، الطبيب البصري معاصر الحريري ، المتوفى سنة ٥٨٩ هـ . وهي ستون مقامة ، حققها الأثري ، وما زالت مخطوطة . وتسمى المقامات المسيحية ؛ لنصرانيته .

١٤ - النُّقْط : تأليف ابن جماعة حققه الأَثري ، وما زال مخطوطًا .

في هذه الكتب والفصول المحققة المنشورة في المرحلة الثانية ، اتضح منهج الأَثري في التحقيق ، وهو منهج تتلخص خطوطه الرئيسة في الآتي :

منهج الأَثري في تحقيق النصوص :

١ - وصف المخطوطة أو المخطوطات المعتمدة ، ومظنة وجودها ، والتعريف بها تعريفًا حَسَنا .

٢ - إثبات النماذج المصورة من المخطوطات المعتمدة .

٣ - توثيق عنوان المخطوط وتحقيق مؤلفه .

٤ - الإِفاضة في الترجمة لمؤلف الكتاب من المهد إلى اللحد ، مع الدقة والتوسع في ذكر آثاره مخطوطة ومطبوعة ومفقودة .

٥ - إنه يعرض في مقدمته لفوائد الكتاب الذي يحققه ، وما يقدمه في بابه .

٦ - يضع - في الأكثر - أَرقام صحائف المخطوطة بين قوسين ، أَو عضادتين ، توثيقا للنص ، في موضعها من المتن ، وليس على هامش الصفحة .

٧ - تنماز تحقيقاته بدقة الضبط وشكل الكلمات بما قلَّ نظيره .

٨ - ترجمة الأَعلام بشكل دقيق وموسع ، والإحالة على مظان تراجمهم .

٩ - شرح الأَلفاظ الغامضة الواردة في النص ، وتفسير غريب الشواهد . وكان يتوسع في ذلك توسعًا لا نظير له حتى يُصبح التحقيق شرحًا للنص وحاشية عليه .

١٠ - تصويب ما وقع فيه الناسخ من تصحيف أو تحريف أو سهو بالرجوع إلى الأُمَّهات القديمة .

١١ - تخريج الأشعار حيثما وجدت ، ونسبة ما لم ينسب منها ، وإِتمام أشطارها من دواوين أصحابها ، ومن المعاجم ، والكتب الأخرى .

١٢ - تخريج الآيات القرآنية الكريمة وترقيمها، وتخريج الأَحاديث الشريفة.

١٣ - الاستدراك على نفسه - في آخر الكتاب - فيما يكون قد فاته.

١٤ - صنع الفهارس المتعددة بشكل علمي دقيق يُيَسِّر الانتفاع من الكتاب.

تلك هي الملامح الرئيسة لمنهج الأَثري في تحقيق النصوص، ومنها يبدو بوضوح أَنه اتبع فيها قواعد المنهج العلمي الحديثة، أو أَضاف إليه التوسع في الشروح حتى صحّ القول إِنها أَشبه ما تكون بحواشي علماء السلف على كتب من سبقوهم.

نظرة في تطبيقه لمنهجه:

إِن تدقيق النظر في مدى انطباق منهج الأَثري في التحقيق على تحقيقاته أمرٌ يقتضي كتابًا برأسه، لكننا هنا سنحاول تدقيق الفقرة الأُولى من منهجه، وهي المخطوطات التي كان يعتمدها في تحقيقاته، وهل حرص على جمعها من مظانها المختلفة أم كان يكتفي ويجتزئ بما يقع تحت يده منها؟

لقد وجدنا الأَثري يعتمد أحيانا مخطوطة واحدة - وهي ليست بخط المؤلف - رغم وجود مخطوطات ثلاث للكتاب الذي يحققه. وهذا ما صنع في نشرته لـ «تفسير أُرجوزة أَبي نواس في تقريظ الفضل بن الربيع»؛ لقد اعتمد مخطوطة مكتبة عارف حكمة بالمدينة المنورة، ولم يستطع الوقوف على مخطوطتي المتحف البريطاني رغم أن المخطوطة التي اعتمدها حديثة العهد[1].

(١) الصفحة ١١ من مقدمة الكتاب.

ومثله صنع في تحقيقه كتاب « عين الحياة في علم استنباط المياه » ، لأَحمد بن عبد المنعم الدمنهوري ، فقد صرّح بأن من الكتاب ثلاث نسخ مخطوطة في خزائن الكتب بمصر : نسخة في الخديوية ضمن مجموع ، والثانية بخط المؤلف ناقصة من آخرها وخالية من الأشكال المصورة ، والثالثة في الخزانة التيمورية كتبت في حياة المؤلف وهي مقروءة عليه ، وعليها تصحيحات بقلمه . وقد صرّح الأَثري أَنه اعتمد النسخة الثالثة فقط في تحقيق النص[1] . وهي مسألة فيها نظر ، إذ الأَصوب في رأينا اعتماد نسخة المصنف رغم نقصها ، واستكمالها من النسخة الثالثة الأتم .

وفي تحقيقه كتاب « حملات نادر شاه على العراق في رواية شاهد عيان » ، وهو في أصله فصول من كتاب صنّفه عبد الرحمن بن عبد اللّه السويدي (ت ١٢٠٠ هـ) عنوانه « حديقة الزوراءِ في سيرة الوزراء » ، ومنه مخطوطتان : واحدة في المتحف البريطاني في لندن ، والأُخرى في مكتبة عارف حكمة بالمدينة المنورة ، وقد اعتمدها معا ، وهو أمر لاغبار عليه .

وفي تحقيقه مقدمة كتاب « نزهة الأَرواح وروضة الأَفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة » لشمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري (ت بعد سنة ٦٨٧ هـ) ، وقد صار تحقيقه لهذه المقدمة ضمن كتاب « نصوص فلسفية مهداة إلى إِبراهيم مدكور » . وقد طبع الكتاب في القاهرة سنة ١٩٧٦، ووقعِ تحقيقه في الصحائف (١٣٥ - ١٧٤) .

فإن كتاب (نزهة الأَرواح) هذا قد نشر كاملاً في جزءين بتحقيق خورشيد

---

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ٣٩، ج ١ ص ١٣.

أَحمد، عن دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن في الهند سنة ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م، وهي السنة ذاتها التي نشر فيها الأَثري «مقدمة الكتاب»، فلسنا نستطيع تحديد السابق منهما. وقد اعتمد المحقق الهندي في تحقيق الكتاب كاملاً ثلاث مخطوطات:

مخطوطة الآصفية وهي مكتوبة سنة ١١٩١ هـ، ومخطوطة مكتبة سالارجنك وهي مكتوبة ٩٧٢ هـ، ومخطوطة مكتبة جون رايلاند في مانشستر بالمملكة المتحدة، كتبت سنة ١٢٢٢ هـ، وفي آخرها إِشارة الى أَنها نقلت من نسخة مخطوطة محفوظة في متحف لندن. وإِنّ كثيرًا ممّا تقدم وصفه لم يتيسّر للأَثري الوقوف عليه.

وفي تحقيقه «كتاب النغم» لابن المنجم اعتمد المخطوطة اللندنية الفريدة الوحيدة. ولم يعرف أن الكتاب قد نشر محققا قبل نشرته بعشرة أعوام.

أمّا كتب شيخه محمود شكري الآلوسي التي حققها وهي: النحت، الماء وما ورد في شربه من الآداب، عقوبات العرب في جاهليتها، فتاوى وتحقيقات لغوية ونحوية نادرة؛ فقد كانت مخطوطاتها فريدة وحديثة وبخط شيخه الذي عاصره، ومتى كانت نسخة المؤلف الوحيدة بخطه بين يدي المحقق كان الأمر في قراءتها سهلاً بيّنًا.

يبقى بعد هذا الحديث عن أجلّ أَعمال الأَثري في ميدان التحقيق، وأَخلدها ذكرًا، وأدقّها وأوسعها وأكبرها شهرة وأَعني تحقيقه كتاب «خريدة القصر، وجريدة العصر» فقد صدر الجزء الأول منه، القسم العراقي يحمل تاريخ ١٩٥٥،

وهو سهو صوابه ١٩٥٦، إذ تحمل مقدمة المحقق تاريخ ٢٣ شباط ١٩٥٦. وهذا الجزء، وقد وقع في ٤٣٧ صحيفة، حققه وضبطه وشرحه وكتب مقدمته الأَثري - رحمه اللّٰه - وأَعدّ أَصله وشارك في تحقيقه ومعارضة نسخه وصنع فهارسه د. جميل سعيد - رحمه اللّٰه - وقد اعتمد المحققان في تحقيق هذا الجزء: مخطوطة المتحف البريطاني ومخطوطة طهران.

وصدر الجزء الثاني بتحقيق الأَثري وحده سنة ١٩٦٤، في ٤٣٩ صحيفة، معتمدًا المخطوطتين السابقتين، عن المجمع العلمي العراقي.

ثم صدر المجلد الأَول من الجزء الثالث بتحقيقه سنة ١٩٧٦، في منشورات وزارة الإعلام العراقية، وعدته ٤٧٥ صحيفة. وقد ذكر الأَثري في مقدمته أَنه اعتمد مخطوطتي طهران وباريس، وهما مكملتان لبعضهما، وأَنه استطاع رفد مواضع النقص في بعض التراجم بما وفرته له المصادر القديمة التي نقلت نصوصًا كاملة من هذا الكتاب.

وعن وزارة الثقافة والفنون العراقية صدر المجلد الثاني من الجزء الثالث بتحقيقه وشرحه سنة ١٩٧٨، في ٦٠٢ صحيفة، معتمدًا مخطوطتي باريس وطهران أيضًا.

أمّا الجزء الرابع فقد صدر هو الآخر بمجلدين. وكان المحقق يرغب أن يكون كلّ مجلد جزءًا مستقلا، ويؤكد أنه حقق القسم العراقي من الخريدة في ستة أجزاء وقد اعتمد في تحقيق هذا الجزء مخطوطتي الفاتيكان وباريس. وكشف بثاقب نظره سَقْطًا في مخطوطة الفاتيكان مجهول المقدار. وتمنى أن يملك أحد نسخة تامة من الجزء، أو يظفر بها في مكان ما فيصل ما انثلم ويكمل النقص مشكورا.

وقد صدر المجلد الأول من الجزء الرابع سنة ١٩٧٣ عن وزارة الإِعلام العراقية

في ٤١٧ صفحة ، أَردفها بفهارس في سبعين صفحة . وأمّا المجلد الثاني من الجزء الرابع فقد صدر سنة ١٩٧٣ أَيضا عن الوزارة ذاتها واستغرق الصحائف ٤٢١ - ٧٧٦ ثم أَلحقه بـ ٥١٤ صفحة من الفهارس .

إن القدرة الإلهية شاءت أن تُيسِّر للأَثري - رحمه اللّٰه - أمنيته في الظفر بالسقط الذي تنبه إليه ، ووفق إلى استكمال النقص من مخطوطة في مكتبة نور عثمانية في الآستانة . وهكذا صدر ما سمّاه « تكملة خريدة القصر وجريدة العصر » قسم شعراء العراق ، عن المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٨١ . وقد صدّرها بمقدمة ثم أَلحق بها أُنموذجات من المصوَّرة المعتمدة ، واستغرق النص الصحائف ٧٧٣ - ٩١٠، مراعيًا التسلسل السابق في المجلد الثاني من الجزء الرابع .

إنّ ملاحقة الأَثري مخطوطات الخريدة في شتّى أَرجاء المعمورة ، واستنفاذه الطاقة في كتاب امتدّ العمل فيه ربع قرن من الزمن ، جعله جديرًا بالظفر بجائزة الملك فيصل العالمية في الأَدب العربي التي نالها سنة ١٩٨٦ عن تحقيق هذا الكتاب .

جهوده في إصلاح قواعد الإِملاء العربي :

كانت مشاركته الأُولى في درس هذا الموضوع في المؤتمر الثقافي العربي الأول الذي عقدته جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٧ في بيت قري في لبنان . ثم طرح رأيه متّصلا في بحث أَرسله عام ١٩٥٥ إِلى مجمع اللغة العربية في القاهرة ، استجابة لطلب المجمع في بحث موضوع « تيسير قواعد الإِملاء » في المؤتمر الثاني والعشرين المنعقد بالقاهرة ورغبتهم في أن يشاركهم الأَعضاء المراسلون بإبداء الرأي في هذا الشأن . وكان ما طرحه في بحثه هذا في غاية الوجاهة والعلمية وصحة التعليل . والطريقة المثلى - كما رآها - تتلخص في أصل عام هو : أن نقطع صلة الكتابة

بأقيسةِ النحاة وأُصول الصرفيين من علماء البصرة والكوفة ، ولهجات القبائل قطعا تاما ، فلا نفكر فيها أَبدا ، وأن نقيمها بعد ذلك على أَساس التطابق بين الأَصوات ورسم صورها أو رموزها المخصوصة بها ، فنرسم كلّ صوت بنقشه الدال عليه ، ونستعين بالشكل أَحيانا حين لا تستبين القرينة ...، وأن نتَّخذ للهمزة رمزًا مستقلًّا يلزم صورة واحدة في كلّ موضع ترد فيه كسائر الحروف .

وقد أَسّس رأيه هذا على أَقوال بعض كبار علماء العربية كالفرّاء (ت ٢٠٧ هـ) . ففي مسألة كتابة الهمزة صرّح بأَنه : يجوز أن تكتب أَلفًا في كل موضع . وفي مسألة كتابة الأَلف المتطرفة [التي تكتب ألفًا مرة ، وياءً أُخرى] قال بأَن جماعة من النَحاة قالوا بكتابة الباب كُلّه بالأَلف ؛ حملاً للخط على اللفظ ، ومنهم : أبو علي الفارسي في مسائله الحلبية ، والبطليوسي (ت ٥٢١ هـ) في الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري (٩٢٦ هـ) في شرحه مناهج الكافية[(١)] .

الأَثري لغويًا

كان الأَثري من أَعلام اللغويين في زمنه . وللبحث اللغوي عنده ثلاث صور : الأُولى : بحث لغوي خالص . والثانية : بحث لغوي يجيء عَرَضًا عبر تعليقاته

---

(١) انظر نصّ بحثه هذا في مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الرابع ، الجزء الأول ١٩٥٦، ص ٣٢٠- ٣٢٦. وانظره بعنوان « تيسير الإملاء العربي » في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، المجلد ١٢، ص ١٠٩- ١١٤، القاهرة ١٩٦٠.
ثم أُعيد نشر هذا البحث بعنوان : « رأي في قواعد رسم اللغة العربية » في كتابه نظرات فاحصة ص ١١- ١٩.

وشروحه . والثالثة : صناعة معجم لغوي .

فأمّا صناعة المعاجم : فقد صنع معجمًا لغويا واحدًا سماه « معجم الآلات والأَدوات » ما زال مخطوطا .

وأمّا بحوثه اللغوية الخالصة فهي ممّا ألقاه في دورات مجمع الخالدين بالقاهرة ثم نشر في المجلات المجمعية بالتفصيل التالي :

١ - « الآلة والأَداة في اللغة العربية في ضوء عبقرية اللغة ومطالب التمدن الحديث »[1] .

وهذا البحث من أجود وأَدقّ ما تفتقت عنه عبقريته ؛ فقد وجد أَنّ صياغة اسم الآلة في كتب النحو مقصورة على ثلاثة أوزان وهي : مِفْعَل ومِفْعَلة ومِفْعال . وبعد أَن أَوضح مدى الضرورة إلى التوسع في مفردات الحضارة الحديثة وما يجدّ فيها انتهى إلى القول بأَنّ أَوزان أَسماء الآلة والأداة لا تنحصر في ثلاثة كما توهم قاعدة النحاة ، وإنما هي كثيرة - وقد أَوردها بعد ذلك تفصيلاً - وقرّر أَن العرب قد اشتقت عليها كلها من الأفعال المتعدية واللازمة ، ومن الثلاثية وغير الثلاثية ، ومن المصادر ، ومن أَسماء الأَعيان ، وكشف سرّ ذلك . ثم قرّر إِضافة أوزان أُخَر اشتق عليها العرب إِلى مثلث : مِفْعلة ومفعل ومفعال . تنفيسًا للّغة من كَرْب التضييق عليها من غير مسوّغ ، وفتحًا للمسالك الكلامية أمام الناطقين بها من غير نظر إلى كثرة أو قلة ، مادام كلام العرب قد جرى به ، كما هو مذهب الكوفيين في إجازة

(١) نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بمصر سنة ١٩٦٢، ثم في مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٣.
ثم أُعيد نشره في كتاب « نظرات فاحصة » ، بغداد ١٩٩١، ص ٢١- ٧٨.

القياس حتى على المثال الواحد المسموع . وبعد رحلة شاقة مضنية متشعبة واغلة متعمقة في المعجم العربي أَضاف أوزانا للآلة والأَداة ، ودعا إلى إِباحة الاشتقاق منها ، وعدة هذه الأوزان الاشتقاقية (٢٤) وزنا اشتقاقيا صاغ عليها الأَقدمون من صحاح أَسماء الآلات والأَدوات والمرافق المئين من الأَلفاظ الفصيحة . وقد أَقرّ مجمع اللغة العربية في مصر أَربعة أوزان منها ، وأَضافها إِلى الأَوزان الثلاثة المعروفة ، ولم يقرّ الأوزان الباقية .

٢ – الأَلفاظ الحضارية ودلالاتها وأَمثلة منها(١) .

خلاصته : أَنه رأى كثيرًا من أَلفاظ الحضارة في كتب الأَقدمين ليس لها وجود في معاجم اللغة . وهي أَلفاظ مهمة لها دلالات تاريخية ترشد إلى أَشياء ذات شأن في علائقنا بالأمم ، سكت عنها التاريخ ، وأَفصحت عنها هذه الأَلفاظ . لكنّ معاجمنا اللغوية لم تأبه لها ، أو أَبهت لشيء منها ، وساقت الكلام عليها غامضا ، فضيمت بالتحريف أو التصحيف أو بالتغيير . وتعذر تمييز الصحيح من السقيم ، وسَمَّتْهُ المُعَرّب ولم تنصّ على أصله . ودعا إِلى ردّ الأَلفاظ إِلى أُصولها ردًّا يصوّر دلالاتها التاريخية .

وساق خمسة شواهد في حديثه لتكون مَنْبَهَةً لما يريده ، وهي :

١ – القرسطون .

٢ – البرفرا .

---

(١) بحث أَلقاه في الدورة الخامسة والثلاثين لمجمع اللغة العربية في القاهرة . ونشر في مجلة المجمع سنة ١٩٦٨، ص ١٤٥– ١٦٠. وأُعيد نشره في كتاب نظرات فاحصة ص ١٦٧– ١٨٣.

٣ - الممزَّج .

٤ - الكنكلة .

٥ - الجغانة .

وانتهى بعد التعليل والتدليل إلى أَن :

القرسطون : ميزان توزن به الأَشياء الدقيقة ، وهي من أَصل يوناني .

والبرفرا : الأُرجوان الأحمر . وأصلها يوناني .

والممزّج : نسيج حرير موشّى بالذهب . من اليونانية .

الكنكلة : آلة طَرَب هندية .

الجغانة : آلة طَرَب . والكلمة أصلها فارسي .

٣ - كيف تُستدرك الفِصاح في المعاجم الحديثة[١] .

خلاصته : أَنه عرض لأَلفاظ معدودة من فِصاح اللغة ضيمت بالاستعمال فَعُدِل بدلالاتها عن جهتها . وهذه الأَلفاظ هي :

١ - أَنجب : إذا جاء بولدٍ نجيب .

ولا يصحّ استعمالها بمعنى : نَسَلَ أو نَجَلَ .

٢ - نفى لفظة « الهروب » من مصادر « هَرَبَ » . وقال : إِن مصادره : الهَرَبُ

---

(١) بحث ألقاه في مجمع اللغة العربية بمصر سنة ١٩٧١، ونشر في مجلة المجمع ص ٢٦٧- ٢٨٠، ثم نشر في السنة ذاتها في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، الجزء الثالث من المجلد السادس والأربعين ، ص ٤٦٣- ٤٧٨. ثم أعيد نشره ثالثة في كتاب « نظرات فاحصة » ص ١٤٩- ١٦٥.

والمهرب والهربان، لا غير.

٣ - (الصَّمَدُ) وحده مصدر لـ (صَمَدَ) ولا وجود للفظة الصمود في المعاجم، وإن استعمال (الصمود) مصدرًا لِصَمَدَ بمعنى الثبات خطأ شائع.

ثم انتهى إلى القول بأَن الاستدراك على المعاجم الأُصول سهلٌ ميسور حينا، وصعب بل عسيرٌ أحيانًا أخر؛ سهل ميسور حين يتصل الأَمر بالمولّد والمعرّب مما لم يدوَّن في المعاجم الأُصول، ويظفر به في كتب غيرها، ويجمع من مظانّه المعتمَدة، ويدوَّن في المعجم الحديث. وهو صعبٌ، بل عسير غاية العسر حين يتصل الأَمر بالفِصاح، يُظن أَنها فاتت الأَوائل، وتُحسب حين يُظفر بها في كتاب من غير كتب اللغة صيدًا أفلت من شِبَاك القنّاص، فيُسارع إلى قيدها، وتقبل قبل أن يتبين مصدرها ومورِدها. وفي مثل هذه الحالة رأى الأَثري أَنه لا يجوز في نظره الأَخذ منها والاحتجاج بها لصحّة شيء أو استدراكه.

٤ - تحرير المشتقات من مزاعم الشذوذ[١]:

خلاصته: أَن اللغة إلهامٌ وتوقيف، حتى إذا ما استبحرت الأُمة في التمدن، عمدت فيها إلى المواضعة والاصطلاح والتصنيع والتفريع، واشتقت لفظًا من لفظ، وفرّعت الفروع من الأُصول، من غير أن تخرج عليها، جارية في ذلك على إلهام فطرتها. ثم مضى إلى القول بأنّ النحو العربي لم يستغنِ إطلاقًا عن المتابعة والتعقب لاتساع اللغة العربية وغزارة مادتها. وحين غلب التقليد في عصور التخلف، وقف النحو في جملة ما وقف من الأَشياء عند ما انتهى إليه.

---

(١) بحث أَلقاه في مجمع اللغة العربية بمصر سنة ١٩٧٤. وأَعادت نشره مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق في المجلد التاسع والأربعين، ص ٧١٦- ٧٥٨.

ورأى أَن النحو العربي على جلالة ما انتهى إلينا من كتبه ، لا يمتنع على التعقب والملاحظة والتجديد ، فما تزال بعض قوانينه مفتقرة إِلى استقراءٍ جديد ، لتحريرها ووضعها في نصابها الصحيح ، ومردُّ ذلك الى أمر فوق قدرة الإنسان ، ذلك هو تعذّر الإِحاطة التامة بجميع لغات القبائل ولهجاتها مع عظيم ما ضاع منها . ورأى أَنه من ضياع هذه الكثرة الكاثرة من اللغة كان منشأ الاضطراب في أقوال النحاة ، ثم اصطراعهم وتعدد مذاهبهم . وكان من ذلك أَن عزلوا طوائف من الأَلفاظ عن القواعد العامة ، ودوَّنوها على أَنها شواذ على غير قياس .

ومن أَهم ما استرعى نظره في كتب النحاة واللغويين : دعوى الشذوذ التي تلحق بالمشتقات . ثم قصر كلامه على الأَلفاظ التي زعموا شذوذها في بابَيِ اسم الفاعل واسم المفعول ، فبذل جهدًا خارقًا واعيًا عميقا مُستبطِنًا المعاجم ، ودواوين اللغة ، لينفي الشذوذ عن المشتقات وليردّها إلى القياس بما تَهَدَّى إليه من النظر والملاحقة في بحث ممتع شائق ، ودقيق رائق .

ثم انتهى إِلى القول بأَنه قد اعتمد أَصلين فيما قد تدارسه .

فأَمّا الأَصل الأَول : فهو القانون اللغوي العام الذي استقرّ في فطرة العرب ، وصدروا عنه في كلامهم ، تصريفه وإعرابه ، سجية وطبعا ، وأَجروه في ذلك قياسًا مُطَّردًا لا يتوقف ، بقوة الطبع ورهافة الحسّ .

وأمّا الأصل الثاني : فهو التهدّي بالأُصول التي لم تدوَّن في دواوين اللغة بالفروع التي وردت في كلام الفصحاء ، عن طريق الروايات الصحيحة ، والبناء عليها فيما أوردتُ وناقشتُ من مزاعم الشذوذ . وقد تنبّه إلى هذا الأَصل أبو علي الفارسي وحكاه عنه تلميذه ابن جنّي إذ قرّر : «إِن الفرع يدل على أصله ،

والوصف يهدي إلى فعله ، فإذا صحّتِ الصفةُ فالفعل حاصل في الكف » .

وهذا البحث اللغوي المحض من أمتع وأدقّ وأَجمع وأَجود وأَفيد البحوث التي حَبَّرها الفقيد في حياته .

٥ - مزاعم بناء اللغة على التوهّم [1] :

تساءَل الأَثري ابتداءً : هل بُني في اللغة العربية شيء من الأَلفاظ المشتقات على التوهّم ؟ ثم عرض لمزاعم البناء على التوهم ، فبَدَّدها وأَبطلها . وقد حصر ما أَصابه منها في أقوال النحاة واللغويين في سبع فقرات هي :

١- توهم حذف الحرف الزائد .

٢- توهم حذف الحرف الأصلي .

٣- توهم التغيير .

٤- توهم زيادة الحرف الأَصلي .

٥- توهم أَصالة الحرف المتحول .

٦- توهم أَصالة الحرف الزائد .

٧- العطف على التّوهم .

ثم قال : « وأَفرغ الآن للأَنواع الستة ، وأُرجئ بحث النوع السابع إلى وقت

---

(١) بحث أَلقاه في مؤتمر مجمع اللغة العربية في مصر سنة ١٩٧٦، ثم نشرته مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، في الجزء الرابع ، من المجلد الحادي والخمسين ، ص ٧١٩- ٧٥٢، الصادر سنة ١٩٧٦. وأُعيد نشره في كتاب « نظرات فاحصة » ص ١٢١- ١٤٧.

آخر أُعالجه فيه[1] » . وقد كان موفقًا تمام التوفيق في بحثه ، وإن لاحت في أثنائه حدّة في نقده آراء المخالفين .

٦ - أَصالة المعجمية العربية :

أكّد الأَثري أَن المعجم اللغوي العربي ولد في البصرة في كتاب « العين » ، ومبدعه الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي ، ونفى ما ذهب إليه بعض كتاب « دائرة المعارف الإسلامية » من تأثر الفراهيدي بالمعجم الهندي السنسكريتي تارة ، وبالمعجم اليوناني تارة أُخرى ، مشككين بقدرة العقل العربي على الابتكار . ونفى أن تكون للفراهيدي أَية صلة أو معرفة باللغة الهندية ، وأَنه لا توجد بيّنة ثبوتية واحدة تؤيد هذا الرأي القائل . ثم نفى ما زعمه بعضهم من تعلم الفراهيدي اليونانيةَ من حنين بن إِسحاق . وقال : إِنَّ اللقاء بين الرجلين لم يحدث قط ، لأَن الخليل توفاه اللّه سنة ١٧٥ هـ ، وحنين ولد سنة ١٩٤ هـ . وقال : إِن العقل العربي كما ابتكر معاجم الأَلفاظ ابتكر معاجم المعاني .

ولاحظ ظاهرة غريبة فنبّه عليها هي أنّ صُنّاع دواوين اللغة لم يسمّوها باسم المعجم على الإِطلاق منذ وضع الخليل بن أَحمد كتابه وحتى أوائل زمننا هذا . فقد سمّوا كتبهم : كتاب العين ، كتاب الجيم ، الجمهرة ، تهذيب اللغة ، المحيط ، المحكَم ، المخصص ، البارع ، الصِّحاح ، المجرَّد ، العُبَاب ، مقاييس اللغة ، المجمل ، متخيَّر الأَلفاظ ، أَساس البلاغة ، لسان العرب ، فقه اللغة ، الغريب المصنَّف ،... إلخ . فلم يُذكر مع واحدٍ منها اسم المعجم . ولكن في أَواسط القرن العشرين بدءوا

---

(١) هذه العبارة مثبتة في مجلة المجمع الدمشقي ص ٧٢٤، وساقطة في كتاب « نظرات فاحصة » .

يطلقون على ما يصنفون من هذا النوع مصطلح « معجم » . فظهر معجم « متن اللغة » ، ومعجم « أَلفاظ القرآن الكريم » ، والمعجم الوسيط ، وسواها . واستغرب أَنَّ مصطلح « المعجم » ، الذي هو من صميم العربية ، جذرًا واشتقاقًا ، أَغفله جميع اللغويين ، حتى قرننا هذا ، في حين اصطنعه غيرهم من المصنفين في عدد من العلوم والفنون ، فسمّى أبو يعلى أحمد بن على الموصلي (ت ٣٠٧ هـ) ، مؤلَّفًا له « معجم الصحابة » . وسمّى البغوي معجمين ألّفهما في أَسماء الصحابة « المعجم الكبير » ، و « المعجم الصغير » .وسمى الحافظ السَّلَفِي كتابًا له باسم « معجم السفر » . وأَلَّف الطبراني كتابًا في الحديث النبوي سمّاه « المعجم الكبير » . وظهر مصطلح المعجم هذا في علوم وفنون أُخَر ، كما في معجم الشعراء ، ومعجم الأُدباء ، ومعجم الألقاب في فنّ سِيَر الأَعلام .

ثم انتقل إلى تأصيل مادة « معجم » . ولاحظ على كتابات بعض المعاصرين أَنهم يستعملون لجمع المعجم لَفْظَيْ : معاجم ومعجمات . ورأى أَنَّ لفظة المعجمات تصحّ وصفًا للأَلفاظ (أي الأَلفاظ المنقوطة) فحسب . أمّا المعاجم فهي للكتب التي تحصي مفردات اللغة ، وتضبطها وتذكر معانيها وترتّبها على نسق الحروف ، والكتب التي تصنف في الموضوعات وترتّب موادها على نَسَق الحروف .

ثم انتقل إلى تأصيل مصطلح « المعجمية » في الاستعمالات الحديثة ، فرأى أَنها تدخل فيما سمّاه النحاة المتأخرون بـ « المصدر الصناعي[1] » .

---

(١) أَلقى الفقيد أَصل هنا البحث في ندوة « المعجمية العربية » التي عقدها المجمع العلمي العراقي في شباط (فبراير) ١٩٩٢، ونشر البحث في كتاب المجمع الذي ضمّ أَبحاث هذه الندوة .

٧ - الأَلوان في الفصحى والدراسات العلمية واللغوية[1] .

قال الأثري : إنّ الفصحى واكبتِ الدراسات والبحوث ، ووافتِ الباحثين والمؤلفين بالمادة الوافرة من الأَلفاظ اللونية يقضون بها أَوطارهم فيما يبحثونه ، ويمتدُّون بها فيما يكتبونه ، وأَوفت على الغاية . وأَنه أَحصى في الفصحى بضع مئين من الأَلفاظ اللونية ، شملت الوجود ومختلف كائناته ، وأَن هذه الألفاظ تؤلف معجمًا بالغ الشأن ، يُلَبِّي حاجات الباحثين والمؤلفين في الدراسات اللونية . ثم أَجرى مقارنة بين العربية والإنكليزية في هذا الخصوص ، فأَثبت أَن الألفاظ اللونية في الإِنكليزية قليلة جدا ، بإِزاء الأَلفاظ اللونية في العربية الفصحى . وأَنَّ هذه الألفاظ الإِنكليزية لا تنهض مفاردها بالفصل التام بين الأَلوان ، وتمييز درجاتها ، وما بينها من الفروق الدقيقة . لذلك التُجئَ عند إِرادة ذلك التركيب : تركيب اسم اللون بالإِنكليزية من لفظين أَحيانًا ، ومن جملة أَحيانا ، وأَقام الدليل على ذلك . وهذا يؤيد تميُّز الفصحى بالثراء والاتّساع .

ثم عرض للأَلوان ، كما وردت عند اليونان ، وما ورد منها في القرآن الكريم . ثم عرض للأَلوان الخمسة : الأَبيض والأَسود والأَحمر والأَصفر والأَخضر ، التي قال بعضهم : إِنَّها أَصلُ الأَلوان ، فقال : إِنَّ العرب قد أَلحقوا بكل لون من هذه الأَلوان الخمسة أَلفاظا كثيرة مختلفة فقالوا : أَبيضُ يَقَقٌ ، وأَبيض لهق ولهاق ، وأَبيض وابص ووبّاص ، وأَبيض دلِصٌ ودلامص ، وأَبيض برّاق ، وأَبيض خالص وناصح ، وأَبيض صَراح وصُراح ، وأَبيض حرٌّ هجان ، ثم جعلوا لكل أَبيض من

(١) هي في الأَصل محاضرة أَلقاها الفقيد في الندوة المفتوحة التي عقدها المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٩٣، ثم طبعها ضمن كتاب «محاضرات الندوات المفتوحة» ، بغداد ١٩٩٣، ص ٥- ٣٧.

مخلوقات اللّه من إنسان أو حيوان أو نبات أو جماد ، اسمًا خاصًا سمّوه به .

وكذلك فعلوا مع الأَسود والأَحمر والأَصفر والأَخضر . ثم تساءل : ماذا أَراد العرب من هذه الألفاظ التي ألحقوها بالألوان الخمسة تخصيصًا ؟ وما رأي علماء اللغة في هذه الملحقات لهذه الأَلوان الخمسة ؟ ثم أَجاب : إنّ فريقا قليل العدد من علماء اللغة ذهبوا إلى أن هذه الأَلفاظ التوابع « مؤكِّدات » ، وفريقًا يقول : إنّهن « أَلفاظ وصفية » ، يُراد بهنّ تسمية درجات الأَلوان ، وهنّ على حالات شتّى مختلفات . وذهب إلى دعم رأي الفريق الثاني ، وأقام الدليل عليه .

تلك خلاصة محاضرة الفقيد الراحل ، وهي خاتمة محاضراته ، فقد أَقعده المرض في السنتين التاليتين عن الإسهام في ندوات المجمع العلمي المفتوحة ، حتى توفاه اللّه .

٨ – إنَّ ما أَوجزناه يمثل أَبرز الأَبحاث اللغوية التي حَبَّرها الفقيد الكبير طيلة حياته . لكن ثمة مقالات لغوية كتبها ، تتلوها في الأَهمية نذكر منها :

أ – نظرة في إصلاح الفاسد من لغة الجرائد .

مجلة لغة العرب – المجلد الرابع ، ص ٧ – ٢٠، بغداد ١٩٢٦.

ب – ملاحظات لغوية .

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ١٢، ص ٤٩٧ – ٥٠٢، ١٩٣٢م.

ج – ناتق لا فاتق (تصحيح لفظة في معجم تهذيب اللغة) .

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد الخمسون ص ١٩٧ – ١٩٨.

د - الرئيُّ بديل التلفزيون .

مجلة المجمع العلمي العراقي - الجزآن ٣، ٤، المجلد الأربعون ، ص ٣٩ - ٤٣، ١٩٨٩ م .

وكما قلنا في صدر هذه الفقرة فإنّ كثيرًا من جهوده اللغوية تناثرت عبر مقالاته . ولم تكن بحثا لغويا خالصًا . ولكن الصورة الثالثة من صور جهوده اللغوية تتمثل في « معجم الآلات والأَدوات » الذي صنّفه وما زال مخطوطا .

الأَثري مؤرخًا

كان للأَثري جهد محمود في كتابة التاريخ ، ولن نذكر هنا الكتب التي صنّفها غيره وقام بتحقيقها ، وضمّت معلومات ثمينة عن السياسة والخطط والأَحداث والإِدارة مما هو من صميم التاريخ ، لأنّ دوره فيها هو دور المحقق لا المصنِّف .

لكننا سنذكر هنا جهوده مؤرخا ، ويمكن تصنيفها بشكل عام ، في ثلاث فقرات :

أَولها : الكتب أو البحوث التي أرّخ فيها لبعض الأَعلام بتوسّع ، وهي :

١ - كتابه : « أَعلام العراق » وهو باكورة مؤلفاته . وفيه سيرة شيخه الإِمام محمود شكري الآلوسي ، وتراجم بعض نوابغ الأُسرة الآلوسية . طبع في القاهرة سنة ١٩٢٦.

٢ - بحثه المعنون : « عثمان بن سند مؤرِّخ داود باشا » .

نشره في مجلة « العالم الإسلامي » الصادرة في بغداد سنة ١٩٣٨ - السنة الأولى ج ٧ - ٨، ص ٤٤٦ - ٤٨٥. والجزآن ٩ - ١٠ ص ٥١٨ - ٥٣٠.

٣ - بحثه المعنون : « كاتب الدولتين النورية والصلاحية عماد الدين الأصبهاني الكاتب » ، نشر في المجلد الرابع ، من مجلة المجمع العلمي العراقي ص ٣ ٢١، ١٩٥٦ م.

٤ - محمد بن عبد الوهاب داعية التوحيد والتجديد في العصر الحديث .

صدر في مطبوع مستقل عن جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض . ثم أُعيد نشره في المجلة العربية الصادرة بجدّة ، سنة ١٩٨٥.

٥ - بحثه المعنون : « أَيام عبد العزيز الثعالبي في بغداد » وهي سيرة وذكريات(١) .

وثانيها : يضمّ البحوث التي عرض فيها نصوصا تاريخية وقَوَّمَها وهي :

١ - بحث عرض فيه وقَوَّم كتاب إِبراهيم فصيح الحيدري المعنون : « دراسة تاريخ نجد » .

٢ - بحث تناول فيه دراسات شيخه محمود شكري الآلوسي في تاريخ العرب ، وروادف لها تتصل بدعوة الإِصلاح الديني في نجد في المائة الثانية عشرة للهجرة .

وقد نشر البحثان طيّ الكتاب الأَول من « دراسات في تاريخ الجزيرة العربية » ،

---

(١) راجع كتاب الأستاذ أَنور الجندي المعنون : عبد العزيز الثعالبي - رائد الحرية والنهضة الإسلامية ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٤م، ص ١٠٨- ١٤٥.

الصادر عن جامعة الرياض سنة ١٩٧٩، ص ٣١٩ - ٣٣٣.

وثالثها : تضم تراجم صغيرة كتَب أَغلبها عند وفاة بعض الأَعلام ، وكان ينشرها في مجلة العالم الإسلامي التي رأس تحريرها ، فمن ترجم لهم باختصار فيها : الشيخ أَحمد عمر الإِسكندري ، وشاعر الإِسلام محمد إِقبال ، وعبد العزيز الرُّشيد ، والشيخ أَحمد الزرقا ، وترجم للشيخ صالح التميمي ، مجلة المعلم الجديد ، بغداد ١٩٤٥، ص ١٨٢ - ١٨٦؛ ولطه الراوي في مجلة عالم الغد - بغداد ١٩٤٧، ص ٦ - ٨. وكلمته عن الدكتور جواد علي ، عضو المجمع ، المنشورة في مجلة المجمع العراقي م ٣٩، ج ١، ص ٣٨٤ - ٣٩٤.

الأَثري جغرافيًا

تتلخص جهود الأَثري الجغرافية في أَربعة آثار :

أَولها : « خارطة صورة الأَرض » للشريف الإدريسي ، نشرها بمشاركة المرحوم جواد علي سنة ١٩٥١.

وثانيها : بحث عنوانه « الجغرافيا عند المسلمين والشريف الإدريسي » .

مجلة المجمع العلمي العراقي ، م ٢، ص ٤٩ - ٦٨، ١٩٥١ م .

وثالثها : معجم خصَّصه لأَعلام الأَقاليم والمدن والجبال والبحار والأَنهار المثبتة في خارطة « صورة الأَرض » للشريف الإدريسي .

وقد صنع لهذا المعجم مختصرًا سَمَّاه « مرآة الأَقاليم » . وما زال المعجم ومختصره في دنيا المخطوطات .

ورابعها: تحقيقه كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» للشريف الإدريسي. وقد نشر قطعة منه عنوانها «اليمامة ومسالكها»، في المجلة العربية، السعودية ١٩٧٩. وما زال الكتاب مخطوطا.

الأَثري مُصَنِّفًا

يمكن بشكل عام تجزئة مصنفات الأَثري إِلى ثلاثة أَقسام:

أولاً: قسم يضم كتبه التدريسية:

وهي كتب تقوم أَساسًا على الاختيار والجمع والشرح. فقد ذكرنا في صدر بحثنا أَنه مارس التدريس، والإِشراف التربوي، وتصنيف الكتب التدريسية. هذه المصنفات التدريسية صنّف بعضها منفردًا، وبعضها بمشاركة آخرين، وهي:

١ - الأَساس في تاريخ الأَدب العربي، بالمشاركة، جزآن.

٢ - المجمل في تاريخ الأَدب العربي، الجزء الأول، بغداد ١٩٢٩.

٣ - المدخل في تاريخ الأَدب العربي، بغداد ١٩٣١، وأُعيد طبعه مرات.

٤ - ديوان الأَدب، ثلاثة أجزاء، بالمشاركة، للصفوف الرابعة الإعدادية، بغداد ١٩٥٠.

٥ - ديوان الأَدب ثلاثة أجزاء، بالمشاركة، للصفوف الخامسة الإعدادية، بغداد ١٩٥٠.

٦ – القراءَة العربية للصف الثالث الابتدائي ، بالمشاركة ، بيروت ١٩٤٩ .

٧ – القراءَة العربية ، للصف الرابع الابتدائي ، بالمشاركة ، بغداد ١٩٥٠ .

٨ – القراءَة العربية ، للصف الخامس الابتدائي ، بالمشاركة ، بغداد ١٩٥٠ .

٩ – القراءة العربية ، للصف السادس الابتدائي ، بالمشاركة ، بغداد ١٩٤٩ .

وقد كان لهذه الكتب التدريسية أثر كبير في تربية أَجيال من الطلبة على المُثُل والقيم الإسلامية والعربية الرفيعة .

ثانيا : قسم ثان يضم مصنّفاته الأُخرى ، وهي :

١ – الاتجاهات الحديثة في الإسلام .

أَصله محاضرة ألقاها في بيروت ، وقد طُبعت ثلاث طبعات .

الأُولى : ضمن محاضرات مؤتمر الدراسات العربية في الجامعة الأَمريكية – بيروت ١٩٥١ .

والثانية : في القاهرة ، بإِشراف محب الدين الخطيب .

والثالثة : في مجلة (آفاق الإِسلام) في عمَّان ، سنة ١٩٩٤ .

٢ – الإِسلام والسلام .

بحث أَلقاه الفقيد في التاسع من مايو ١٩٨٧ ، في مجلس الدروس الرمضانية الحسنية ، التي اعتاد عقدها الحسن الثاني ملك المغرب ، في رمضان من كل عام .

نشر أَولا في كتاب « الدروس الحَسَنيّة » بالمغرب ، ثم طبعته وزارة الأَوقاف العراقية ، بعد حذف فقرات منه .

٣ – محمود شكري الآلوسي وآراؤه اللغوية .

محاضراته على طلاب معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة ، طبعت في مطبوعات المعهد بالقاهرة ، سنة ١٩٥٨ .

٤ – عبد المحسن الكاظمي .

وهي ثماني محاضرات ، ألَقاها في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ، ولم تطبع .

٥ – « نظرات فاحصة في قواعد رسم الكتابة العربية وبعض ضوابط العربية وتدوين تاريخ الأَدب العربي » ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ١٩٩١ .

ضمّ سبعة من بحوثه المقدمة إلى مجمع اللغة العربية في القاهرة . وقد وقفنا عندها تفصيلا في باب « الأَثري لغويا » .

ثالثًا : قسم ثالث ضمَّ مقالات كثيرة نشرها في الصحف والدوريات ، على امتداد سبعة عقود . وقد ضمَّها إِلى بعضها في كتاب مخطوط سماه « المقالات والخطب » . كما جمع محاضراته في كتاب مخطوط سمّاه « المحاضرات » .

ومقالاته الأَدبية تكشف عن دارس ناقد لبيب ذوّاقة . وهي في الأَعم الأَغلب تتّسم بالاختصار ، باستثناء ثلاثة بحوث ، وهي :

١ – بحثه المعنون : « الشاعر أَبو طاهر محمد بن حيدر البغدادي ، وكتاب قانون البلاغة المنسوب إليه »[1] .

---

(١) نشر هذا البحث في مجلة اللغة العربية بدمشق ، المجلد الأربعون ، ص ٧٥٠- ٧٧٣، دمشق ١٩٦٥.

وكتاب «قانون البلاغة» هذا كانت قد نشرته مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، في مجلدها السابع. ثم أَعاد نشره المرحوم محمد كرد علي في كتابه «رسائل البلغاء»[1]، ونشر ثالثة في الطبعة الرابعة من كتاب «رسائل البلغاء»[2]. وقد اعتمدت كل هــذه الطبعات على مخطوطـة الظاهريـة بدمشق.

ثم نشر «قانون البلاغة» نشرة علمية مستقلة، بتحقيق د. محسن غيّاض عجيل[3] اعتمد فيها مخطوطتَي الظاهرية والنجف. وقد أَثنى محقق الكتاب على دراسة الأَثري ثناءً عَطِرًا، لسبقها وتفرُّدها.

٢ - مقالته «في شعر الصنوبري»[4].

كان الباعث على كتابتها دراسة، نشرها الأَديب فوَّاز أَحمد طوقان، عنوانها وصف الطبيعة في شعر الصنوبري[5]. وكان كاتب الدراسة قد أَلحق بها جملة صالحة من شعر الصنوبري، فانصبت مقالة الأَثري على تصويب أَلفاظ أَو أوزان في بعض الأَبيات المختارة، واجتهد في ذلك اجتهادًا واضحًا.

وقد حدَث أن نشر الدكتور إِحسان عبَّاس ديوان الصنوبري في بيروت عام ١٩٧٠، ولم يكنِ الأَثري قد اطلع عليه، ممّا دفع الأُستاذ عبد المعين الملوحي إِلى التعقيب على مقالة الأَثري، وقال فيها: لا شك أن نشر الديوان جاء بعد نشر

---

(١) الطبعة الثالثة، ١٩٤٤.

(٢) القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٤.

(٣) بيروت ١٩٨١.

(٤) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد الخامس والأربعون، ص ٧٣٤- ٧٤٧، دمشق ١٩٧٠.

(٥) مجلة مجمع دمشق، المجلد ٤٥، ص ١٢٧- ١٤٢.

النماذج الشعرية التي اختارها الأستاذ طوقان ، كما جاء بعد ملاحظات الأستاذ الأَثري على هذه النماذج ، ولولا ذلك لخفف نشر الديوان كثيرًا من جهد المختار ، ومن جهد الناقد . وكانت رواية الديوان توافق ما ذهب إِليه الأثري حينا ، وتخالفها أحيانا[1] .

٣ - بحثه المجمعي المعنون : « إلى خطّ سير جديد في تدوين تاريخ الأَدب العربي »[2] .

وملخص البحث أنه نقد الطريقة الحديثة المأخوذة عن الأُوربيين في دراسة الأَدب العربي ، وتقسيمه وفاقًا لعصور تاريخية ، أَخضعوا فيها جملة إِنتاج العقل العربي لعوامل السياسة ..ولاحظ أَن هذا المذهب يوائم طبيعة الآداب الأُوربية عامة بوحداتها المتعددة ، والصغيرة ، وانفصال كل وحدة منها عن الأُخرى انفصالاً سياسيًّا وتاريخيًّا ولغويًّا وأَدبيًّا . ورأى أَنّ سعة الأَوطان التي نطقت بالعربية وترامِيها ، وطبيعة الأَدب العربي الخاصة تمنعان إِخضاعه لما أُخضعت له الآداب الأُوربية ، ولأن الأَحداث السياسية لا تحدث آثارها الحقيقية إلّا بعد زمن طويل من حدوثها . ورفض أن يكون الأدب تابعًا ذليلاً للسياسة .

ودعا إِلى التماس منهج آخر غير المنهج الأُوربي في دراسة أدبنا وكتابته . ثم قال : إِنّ أَدب كلّ أُمة تحكمه قوانين لغتها ، وروحها المتفرغ في هذا الأَدب . فالأَدب العربي يستمد وجوده واستمراره من روح الأمة ، وهو يتميّز بشخصية قوية

(١) مجلة مجمع دمشق م ٤٦ ج ١، ص ٢١٦- ٢٢١.

(٢) بحث قدّمه إِلى الدورة الرابعة والثلاثين لمجمع اللغة العربية في القاهرة ، المنعقدة في فبراير ١٩٦٨. ونشر في مجلة المجمع. ثم أَعاد نشره في كتاب « نظرات فاحصة »، ص ١٨٥- ٢٠٢.

قوامها الوضوح والصدق ، وبلاغها التأثير والإبداع . وأَن اللغة العربية وهي وعاء العقل العربي ومبدعاته ، تتميز بخصائص نشأت فيها من روح الأُمة العربية وتجاربها خلال الآماد التي اجتازتها ، وأَنها تميّزت بهذه الخصائص . وأَن هذه العربية تمتاز بالشحنات النفسية ، وطاقات الحياة النامية ، التي تعمل في باطنها فتغذيها وتمنحها القدرة البالغة في التأثير والإبداع . وذلك بما أَفرغته الأُمة العربية فيها من قوة روحها ورهافة حسّها ممّا انعكس في جملة أَلفاظها وتراكيبها فكانت منها « كالبروتوبلازم في خلايا الأَجسام العضوية » .

فروح الأمة هو القانون الحيّ الذي يحكم هذه اللغة العظيمة ، ويعمل في ضميرها دائمًا ، ويجدّد في شرايينها دَمَها النقيّ الحار ، طوال الأَزمان . وهو قانون أبدعه روحُ الأمة ومنه اشتُق ، ومن فعل هذا القانون في حياة اللغة العربية أنْ أصبحت لسان شعوب كثيرة دانت بالإسلام ، لأنها لغة الدين . فما كتبه عباقرة الشعوب الإسلامية بلغة القرآن ظلّ خالدا ، وقد أَدرك هؤلاء العباقرة عظمة العربية في نفوسهم فقدّسوها وقدّسوا العرب ، وقد أَدّى هذا القانون وظائفه حتى في عصور التدهور . ورأى أَنَّ الصورة العامة التي صورتها أَقلامُ المؤرخين للأَدب العربي بعد سقوط بغداد ، وحتى عصر النهضة الحاضر ، وهي صورة مظلمة . فقد سمّوا هذه الفترة بالفترة المظلمة ، وتحدثوا عن أَدبها حديثا مُجملاً دون التمييز بين صفاتها ، ودون تبيُّن مواقف الملوك والسلاطين من العرب والإِسلام والعربية . وعرضوا للأَدب العربي في الوطن العربي دون الوطن الإسلامي الناطق بالعربية ، فنشأت عن ذلك أَخطاء جمّة . فوصف أَدبها بالركود ، وركود اللغة العربية ركود موت . وتساءَل : هل هو كذلك حقا وصدقا ؟ فنفى ذلك . ووعد أن يتناول تفاصيل ملامح الصورة الحقيقية لهذا الأَدب في وقت آخر .

وأقولُ : إنّ هذا البحث قد بدا لي مبتورا ، فالأثري حين رفض الاستدلال بالمنهج الأُوربي الحديث في دراسة الأَدب العربي وتقسيمه إلى عصور ، لم يجئنا ببديل عنه . فما هو خط السير الجديد في كتابة الأَدب العربي الذي دعا إليه ؟ هذا السؤال بقي بلا جواب ربع قرن وزيادة ، حتى غادر الأَثري دنيانا .

وأمّا مقالاته الأَدبية المختصرة فأبرزها ممّا له علاقة بالشعر والشعراء .

١ - الشيخ حسين العشاري[(١)] .

بغداد ، مجلة لغة العرب ، المجلد الرابع ، ص ٥١٤ - ٥١٩ و٥٧٩ - ٥٨٣، ١٩٢٦ م .

٢ - ابو إسحاق الغَزّي وديوانه .

القاهرة ، مجلة الزهراء ، ١٣٤٥ هـ ، ص ٢٢٨ - ٢٤٢.

(وأهم ما فيه كشف خلط شعر الغزي بشعر الأُموي الأَبيوردي) .

٣ - رواية « مجنون ليلى » معجزة الأَدب الحي .

وهي مسرحية شعرية شهيرة للشاعر الكبير أَحمد شوقي ، أُعجب بها الأَثري فنشر مقالاته في مجلة الأَماني البغدادية ع١ س ١ ، ص ٥ - ٦ و ٣٢، وع٣ س ١ ، بغداد - ١٩٣١، ص ٥ - ٦، وع ٤، س ١، ص ٥- ٦.

٤ - ديوان الشبيبي - (وهو الشيخ محمد رضا الشبيبي) .

---

(١) طُبع ديوانه فيما بعد بتحقيق عماد عبد السلام رؤوف ، ووليد الأعظمي ، مطبعة وزارة الأوقاف بغداد ، إِحياء التراث الإِسلامي ، ١٩٧٧م .

مجلة العالم الإسلامي السنة الأولى ج ٩ - ١٠، ص ٥٥٥ - ٥٥٩، بغداد ١٩٣٨.

٥ - أَضواء على شاعرية الماحي - (وهو الشاعر المصري الكبير محمد مصطفى الماحي).

مجلة مجمع اللغة العربية في مصر، العدد ٢٧، ص ٢٤٨ - ٢٥٢، القاهرة ١٩٧١.

٦ - «شمسو» - مسرحية بابلية للشاعر خالد الشواف.

مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثاني، ص ٣٥٣ - ٣٥٥، ١٩٥١ م.

٧ - ظلال الأَيام.

تقريظ لديوان الشاعر الشامي أَنور العطار.

مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثالث، ص ٤٥٠ - ٤٥٢، ١٩٥٤ - ١٩٥٥م.

٨ - ثلاث مقالات عقدها حول الشاعر العراقي عبد الغفار الأَخرس:

عنوان الأُولى: تعليق على نسبة منظومة إلى الشاعر عبد الغفار الأخرس.

مجلة المجمع العلمى العراقي، المجلد الثاني، ص ٣٧٤ - ٣٧٧، ١٩٥٢م.

ويدور المقال حول نفي نسبة منظومة نشرها د. داود جلبي في العدد ذاته من المجلة منسوبة للأَخرس.

وعنوان الثانية: حول منظومة منسوبة إِلى الشاعر عبد الغفار الأخرس.

وهو رد على رد الدكتور داود الجلبي المنشور في المجلد الثالث، ص٢٠٧ - ٢٠٨.

مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثالث، ص ٢٠٨ - ٢٠٩، ١٩٥٤م.

وعنوان الثالثة: قصيدة أَخرسية مجهولة.

مدح بها الأَخرس علي رضا باشا، أحد ولاة بغداد.

مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الأول، المجلد الثالث، ص ٢٠٩ - ٢١١، ١٩٥٤م.

الأَثري مترجماً

تنحصر جهود الأَثري في الترجمة في ثلاثة آثار:

الأَول: بحث ترجمهُ عن الإِنكليزية بالمشاركة عنوانه «الشريعة والمجتمع»، لـ «ديفيد دي سنتيلانو». نشر في مجلة العالم الإسلامي، الجزآن ٧- ٨، ص ١٧٧ - ٣٩٣ والجزآن ٩ - ١٠، ص ٤٧٣ - ٤٨٣، ١٩٣٨م.

والثاني: كتاب «الخطّاط البغدادي علي بن هلال، الشهير بابن البوّاب».

تأليف د. أ. سهيل أنور.

ترجمهُ عن التركية بمشاركة عزيز سامي. مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٨.

وَذَيَّلهُ منفردًا بتحقيقات وتعليقات نفيسة.

والثالث: رباعيات خليل اللّٰه خليلي - «الشاعر الأفغاني».

ترجمها شعرًا عن الفارسية ، ونشر بعضها في مجلة الإِخاء الطهرانية .

وخليل اللّه خليلي ، كان سفيرًا لأَفغانستان في بغداد في أواسط السبعينيات .

وكان من معارفي ، وقد طبعتُ له في بغداد سنة ١٩٧٥ رباعيات بالأَصل الفارسي . وقد ترجمها إلى العربية نظمًا السيد أَحمد حسين المروني ، سفير اليمن ببغداد .

كما ترجمها الى الإِنكليزية نثرًا السيد علاء الدين حمودي الجبوري ، رئيس قسم اللغات الأَجنبية في المستنصرية ، فكان الكتاب طريفا حقا إذ ضمَّ الأَصل الفارسي ، وترجمتين ، واحدة بالعربية ، والأُخرى بالإِنكليزية .

كما صدر له في بغداد كتاب آخر عنوانه « هراة : تاريخها ، آثارها ، رجالها » . وكان الشاعر السفير الأَفغاني قد أَهدى المرحوم الأَثري نسخة من كتابه الأَخير ، فكتب إِليه رسالة بليغة فاضت علمًا ، ذَيَّلَها بقصيدة من نفيس شعره ، نَشَرَتْها مجلة « الكتاب » أَيام رئاسة تحريرنا لها ، وهي من بدائع نثره وشعره[١] .

الأَثري صحفيًا

مارس الأَثري مهنة الصحافة مرة واحدة ، وذلك حين رَأَسَ تحرير مجلة العالم الإسلامي ، لسان جمعية الشبان المسلمين ببغداد سنة ١٩٣٨، لمدة سنتين .

وقد نشر في هذه المجلة على امتداد عامين ، عددًا كبيرًا من مقالاته ، بعضها

(١) مجلة الكتاب ، العدد العاشر ، السنة الثامنة ، ص ١٦٨- ١٧٠، ١٩٧٤ م .

تعريف ببعض الكتب التي صدرت في تلك المدة مثل كتاب : إِيطاليا في مستعمراتها ، وكتاب خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ، وكتاب رحلة إلى العراق ، للأمير مصطفى الشهابي ، والكتاب السنوي الثامن لمجمع الثقافة العلمية المصري .

وبعضها مقالات دينية إِسلامية مثل : أَسباب رفعة المسلمين وانحطاطهم ، والحق والخير في رسالة محمد ﷺ ، وظاهرة العناية بذكرى مولد النبي في العراق وأثر جمعية الشبان المسلمين فيها ، والظواهر الكونية في القرآن الكريم ، ومحنة فلسطين هي محنة العروبة والإِسلام ولا بد لها من نهاية ، وكيف نعلم القرآن ، وحديث الشهادات : علم بلا شهادة خير من شهادة بلا علم ولا عمل ، ومأساة القدس في الحروب الصليبية ، وغضبة الشاعر الأموي . وكانت مقالاته الإِسلامية هذه تحمل طابعًا إِصلاحيا عرف به .

الأَثري شاعرًا

بدأ الأَثري ينظم الشعر وهو في العشرين من عمره ، وظلَّ ينظمه حتى أَواخر حياته . وصدرت له ثلاث مجاميع شعرية :

عنوان الأُولى « ملاحم وأَزهار »[1] . قدّم لها الأُستاذ الشاعر عزيز أَباظة ، وضمت الأَبواب التالية : ينابيع الفيض ، ملاحم وأُمة تتحرر ، عناوين ومجد ، عبرات الوفاء والإِكبار ، ملامح وظلال ، قوارير وعطر ، طبائع ونوازع .

---

(١) صدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤، في ٤١٠ صحائف .

وعنوان الثانية : ملحمة الشهيد[1] .

وعنوان الثالثة : ديوان الأَثري - الجزء الأول[2] .

وقد صُدّر بمقدمتين : المقدمة الأُولى التي كتبها المرحوم عزيز أَباظة ، والثانية التي كتبها الأَمين العام المساعد لاتحاد المجامع العربية الدكتور عدنان الخطيب - رحمه الله - وقد ضمّ هذا الجزء ثلاثة أبواب هي : ينابيع الفيض ، والفصحى والشعر ، وأَغاني الحرية وملاحم التحرر .

أمّا الجزء الثاني فما زال ثاويًا في مطبعة المجمع العلمي العِراقي ، ينتظر انفراج أَزمة الورق .

والأَثري من عمالقة شعراء عصر النهضة الحديثة في العراق ، وعلى امتداد الوطن العربي .

ومجمل القول في شعره : أَنه جمع بين جزالة القديم ، وأَصالة الحديث ، فهو ينماز بمتانة أَلفاظه ولغته ، وبصوره المبتكرة ، وبِجَرْسِه المطرب ، وخياله المجنح ، وعواطفه المتَّقدة ، وبقدرة الشاعر الفذة على تطويع قوافيه . كما ينماز بالتجديد في معانيه . ويبدو تأثير القرآن الكريم على مضامين شعره وتعابيره واضحًا ، كما يبدو تأثير مخزونه الشعري الكبير من ديوان الشعر العربي القديم .

وفي شعره ظاهرتان : أُولاهما : قصائده الخمس في مدح اللغة العربية - سيدة

---

(١) صدرت في بغداد ، عن مديرية التطوير القتالي ، ١٩٨٢، في ٣٠ صحيفة ؛ وطبعت الملحمة بخطه الجميل .

(٢) من مطبوعات المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٩٠، في ٥٥٢ صفحة .

اللغات - والتغني بها. وهو أَمر تفرد به فيما نعلم.

وثانيتهما: قصائده الخمس في «الشعر كما يراه»، وهِي قصائد فريدة في بابها وحَرِيّة بالدراسة والتأمل. وخلاصة القول: إِن شعر الأَثري كان معبرًا عن حياته وآرائه أدقّ تعبير.

كتب صَدَّرها بمقدمات:

في أَحايين قليلة صَدَّر الأَثري بعض الكتب بمقدمات قيِّمة، وقد ثقفت من تلك الكتب بالآتي:

١ - مقدمة الجزء الثاني من ديوان الشاعر العراقي عبد الرحمن البَنَّاء، المعنون: «ذكرى استقلال العراق»، الصادر سنة ١٩٢٧.

٢ - مقدمة الجزء الأَول من ديوان عميد الشعر الشعبي المُلَّا عبود الكرخي، بغداد ١٩٣٣.

٣ - مقدمة ديوان رشيد الهاشمي، بتحقيق د. عبد اللّه الجبوري، بغداد ١٩٦٤.

٤ - مقدمة كتاب «الأَديب العبقري مصطفى صادق الرافعي» تأليف د. مصطفى نعمان البدري، بغداد ١٩٦٨.

٥ - تصدير «مذكرات عبد الجبار الرَّاوي»، بغداد ١٩٩٤.

تواقيعه المستعارة:

كان الأَثري لصراحته المعهودة يوقع مقالاته باسمه. لكنه في صدر حياته الأَدبية اتخذ اسمين مستعارين: أَحدهما: ابن حزم، والآخر: أبو عبادة الوليد.

فمقالته المعنونة : « خطط الشام » لمحمد كرد علي ، نشرها بتوقيع (ابن حزم)[1] .

وكذلك مقالته المعنونة : « غرائب الأَب أنستاس [الكرملي] : الأُوبرا وعباس كينه كينه »[2] ، نشرها بتوقيع ابن حزم .

ومقالته المعنونة « تمثيل أم خلاعة ، رحمة بالأَخلاق أَيتها الحكومة » ، نشرها بتوقيع أَبي عُبادة الوليد ، في بغداد سنة ١٩٣٥.

ونلاحظ عمومًا ندرة استخدامه التواقيع المستعارة .

مساجلاته الأدبية :

لا بُدّ من الإشارة إِلى أنّ مساجلاته الأَدبية هذه كانت في عنفوان شبابه ، ويمكن ترتيبها تاريخيا على النحو الآتي :

١ - مساجلاته مع الزهاوي الشاعر العراقي الكبير .

كان باعث هذه المساجلة نقد الزهاوي لمرثاة « شوقي » للشاعر إسماعيل صبري .

نشر الزهاوي نقده في جريدة العراق بتوقيع « شاعر عراقي كبير » . وقد انتصر الأَثري لشوقي ، إذ كان يكنّ له تقديرًا كبيرا ، بدا واضحًا في دفاعه عن قصيدة شوقي وفي مقالته المعنونة : « رواية مجنون ليلى معجزة الأَدب الحي » .

فردَّ على الزهاوي ردًّا قاسيًا . واستمرت هذه المساجلة ، وانتصر الشاعر

---

(١) جريدة العراق ، الصادرة في ٢٩ يونيو ١٩٢٧.

(٢) جريدة العراق ، الصادرة في بغداد في ١٣ كانون الثاني ١٩٢٨.

العراقي رشيد الهاشمي للزهاوي، فَرَدَّ عليه الأَثري. وقد بلغت هذه المساجلات ٢٩ مقالة[١]. وللأَثري - غير هذا - مقال عنوانه: «الشعر المرسل»، نقض فيه رأيا للزهاوي حول هذا اللون من الشعر[٢].

٢ - مساجلته مع الرصافي، الشاعر العراقي الكبير.

ودارت بينه وبين معروف الرصافي مساجلة مختصرة حول مسألة الحجاب، إذ نشر الأَثري مقالتين بعنوان: «أَنا والرصافي»، في جريدة الاستقلال بتاريخ ١٨، ١٩ كانون الأول - ديسمبر - ١٩٢٣.

فردّ عليه الرصافي ردًّا مهذبًا. وانتهى الأَمر عند هذا الحد.

٣ - مساجلته مع الكاتب البليغ أحمد حسن الزيات.

كان الزيات - رحمه اللّٰه - علمًا من أَعلام عصره. وكان قد انتدب للتدريس في العراق، فنشر عام ١٩٣٠ مقالة عن علاقة وضّاح اليمن بأُم البنين الأُموية[٣]. فنقض الأَثري مقالة الزيات هذه[٤]. وجرت بينهما مساجلة على صفحات جريدة البلاد العراقية. الزيات يؤكد التهمة مستندًا على نقول تاريخية وأَدبية[٥]، والأَثري يعدّ ذلك فِرْيَةً شعوبية فيكذبها ويكذب رواتها[٦].

---

(١) جريدة العراق بدءًا من العدد ٩٣٤، الصادر في ٢٣ مايو ١٩٢٣، ثم انتقلت المساجلة إلى جريدة العاصمة بدءًا من العدد ١٧٨، يونيو ١٩٢٣.

(٢) جريدة (المفيد) العراقية، العدد ٤١٣، ١٦ يونيو ١٩٢٥.

(٣) جريدة البلاد، في ١٧ يناير ١٩٣٠.

(٤) جريدة البلاد، في ٣١ يناير ١٩٣٠.

(٥) البلاد، في ٧ فبراير ١٩٣٠.

(٦) البلاد، في ١٤ و١٧ فبراير ١٩٣٠.

وقد جمعت هذه المساجلات في كتاب عنوانه « مأساة الشاعر وضَّاح » ، طبع في مطبعة العهد ببغداد ، سنة ١٩٣٥ . وهو نموذج من الإنشاء العالي البليغ . وعيب الأَثري في هذه المساجلات عصبيته الشديدة لقومه ، وتنزيهه إِياهم عن الأَخطاء البشرية .

خاتمة

إن الحديث عن « خاتمة الرُّوَّاد » قصيرٌ وإن طال . وما ذكرناه لا يمثل غير إلمامة بالخطوط العريضة لشخصية وعطاء الرائد الراحل .

وحين أَطبق العبقري الكبير جفنيه الإِطباقةَ الأَخيرة في بغداد التي ولد فيها ، وبها نِيطت عليه تمائمه ، في مساء كدر حزين ، وافق الثالث والعشرين من مارس (آذار) ١٩٩٦، ثم وُوري في ثرى المدينة التي أحبّها ، ران على نفوس كل محبّيه ، وعارفي فضله وعلمه ، همٌّ وحزنٌ عميقان مأتاهما أَنهم يودِّعون علم الأَعلام ، وخاتمة الرواد ، الوداع الأَبدي ، وإن الزمن بمثله لبخيل .

نموذج من خط الراحل الكبير

بغداد ١٥/١٢/١٣٨٦هـ

حبيبي الأستاذ الكريم

أحييك بأطيب التحيات، وأبعث إليك بأحر الأشواق، وأشكرك أجمل الشكر على طرفتيك: الخريدة، ومنهاج البلغاء، وهما من محاسن الكتب، ولاسيما الثاني، وإن كانت لي على تحقيقها مآخذ.. بعضها مهم، وربما نشرت مآخذي على الثاني لأهميته.

وبعد.. فهذه أبيات أملتها عليّ شمائلك، أرجو قبولها على علاتها، وغض الطرف عن ضعفها بجانب محاسنك، والله يرعاك:

سرت لطائفكم.. كالورد أردانا ... وناسمت وُدّنا شوقاً وتحنانا

وقد شممنا بها من عُرفكم أرَجاً ... ومن شمائلكم رَوْحاً وريحانا

إن الوداد الذي يُذكي وفاءكمُ ... طيباً، ويُسري إلينا الفوح ألوانا

عندي لكم منه ما يُغني شعورُكمُ ... عن أن نحدّ له وصفاً وتبيانا

كنزٌ من الحُبّ، مذخورٌ لكم أبداً ... في خافقي، وَهْوَ يربو فيه مذ كانا

درى الوفيُّ أبوكم منه رَيِّقَهُ ... وزادكم قُربُنا علماً وإيمانا

وأدومُ الحب، ما وثّقتَ تالده ... بطارف، فرسا أُسّاً وأركانا

يا ذاكرينا.. سلمتم للوفاء، وقد * ... كان الوفاء على «الإنسان» عُنوانا

حمدتكم، وقرينُ المجد فعلكمُ ... وزدت حمدكمُ مدحاً وشكرانا

«هلال».. ها أُنت ذا بدرٌ، فكيف إذا * ... أبدرت يوم غد، وازددت إعلانا

رجوت أن يملأ الآفاق نورُكمُ ... وأن تظلّ به الآفاقُ غُرّانا

محمد بهجة الأثري